



تأليف

آية الله العظامه العلامة الشيخ عبد الله الجوازي الأحملي

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ
مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

سرشناسه: جوادی آملی، عبدالله، ۱۳۱۲ -
عنوان و پدیدآور: الاسلام والبیئہ / تالیف جوادی آملی ؛ مترجم: سیدمقداد حیدری .
مشخصات نشر: قم: اسراء: ۱۳۸۷.
مشخصات ظاهری: ۳۴۶ صفحه. عربی .
شابک ۲-۲۸-۸۷۳۹-۹۶۴-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی: فیبا
یادداشت: کتاب حاضر ترجمه متن سخنرانی های آیت الله جوادی آملی درباره اسلام و محیط زیست به زبان عربی است.
موضوع: محیط زیست - حفاظت - جنبه های مذهبی - اسلام .
موضوع: اسلام و اجتماع.
موضوع: طبیعت - جنبه های مذهبی - اسلام .
موضوع: روابط اجتماعی - جنبه های مذهبی - اسلام .
رده بندی کنگره: ۱۳۸۷: ۵۰۴۳ الف ۸۶ ج / ۱۵۵ / BP۲۳۰
رده بندی دیویی: ۲۹۷ / ۶۵
شماره کتابشناسی ملی: ۱۶۵۹۱۴۹

- اسم کتاب: الاسلام والبیئہ
- المؤلف: آية الله الشيخ عبدالله الجوادى الآملى (دام الله العالی)
- المترجم: السيدمقدادالحیدری
- الناشر: دارالإسراءللنشر
- المطبعة: دارالإسراءللنشر
- الطبعة: الثاني
- تاريخ النشر: ۱۳۸۸ هـ. ش - ۱۴۳۰ هـ. ق
- الشابک: ۹۷۸-۹۶۴-۸۷۳۹-۲۸-۲
- الکمية: ۱۵۰۰ نسخة
- السعر: ۵۲۰۰۰ ریال

قم المقدسة، بلوار امین، زقاق رقم ۸، رقم المؤسسة ۱۳۷

الهاتف: ۶۶۴۱۶۲۱ - ۶۶۴۱۶۲۲ - ۲۹۳۱۱۷۸ الفاکس: ۶۶۴۱۶۲۱

البريد الإلكتروني: Publish_center@esraco.net

www.esra.ir

المحتويات

- ١٥ كلمة الناشر
- ٢٠ مقدمه
- ٢٠ جمال خلقه الإنسان و العالم
- ٢١ الإنسان أجمل مخلوق
- ٢٣ جمال عالم الخلق
- ٢٤ ضرورة الحفاظ على لوحة الخلقه البديعة
- ٢٥ جمال الإنسان في ضوء الكرامة و الخلافة
- ٢٧ الفصل الأول إعمار الأرض و تأسيس المدينة الفاضلة بواسطة خليفة الله
- ٢٩ وظيفة خليفة الله في إعمار الأرض
- ٣٠ ضرورة الاستغلال الأمثل للتروات الطبيعية
- ٣٢ العلاقة بين إعمار الأرض و إطاعة أنبياء الله
- ٣٥ الأثر السيء لمخالفة أمر إعمار الأرض
- ٣٦ الفرق بين استعمار القرآن و استعمار القوى الاستكبارية
- ٣٧ إعمار القوى الاستكبارية استثمار
- ٣٨ دور المستعمرين في تلوث البيئة

- ٣٩ دور المستعمرين في الإخلال بأمن البيئة
- ٤٠ المدعين لخلافة الله كذباً
- ٤١ رسالة الحكّام الخطيرة في تأمين بيئة سالمة
- ٤٢ وظيفة الحكومة الإسلامية في تأمين سلامة البيئة
- ٤٥ أهم هدف للحكومة الإسلامية الخلافة الإلهية للإنسان و تشكيل المدينة الفاضلة
- ٤٥ تأسيس و تأمين المدينة الفاضلة بواسطة الإنسان الكامل
- ٤٦ بيان بعض صفات و شرائط المدينة الفاضلة
- ٤٦ أ: التنمية الثقافية
- ٤٧ ب: التنمية الاقتصادية
- ٤٧ ملكية الإنسان في قبال الآخرين و أمانته في قبال الله
- ٤٨ المؤول دون تقسيم المجتمع إلى فقير و غني و ضرورة حفظ الأموال
- ٤٩ سيولة الأموال بين أفراد المجتمع
- ٥٠ ضرورة الابتعاد عن إفراط الرأسمالية و تفریط الماركسية
- ٥٠ ج: التنمية الصناعية و المهنية
- ٥١ ١- ازدهار الصنعة و المهنة في حكومة النبي سليمان
- ٥٢ ٢- النبي داود عليه السلام مأمور بتعليم الناس صناعة الدروع
- ٥٣ ٣- النبي نوح عليه السلام و صناعة الفلك بتعليم الله
- ٥٤ ٤- توفيق ذي القرنين في استغلال الإمكانيات و صناعة سدّ منيع
- ٥٥ د: التنمية الحقوقية
- ٥٦ معالم الأصول الحقوقية للحكومة الإسلامية
- ٥٧ المجتمع الملتزم متمتع بالأمن و الحرية
- ٥٧ نكت العهد أهم دليل لمقاتلة المشركين
- ٥٨ تأثير أداء الأمانة في الأمن و الحرية

- ٥٩ دعاء النبي إبراهيم لحلافة الإنسان لله و تأسيس المدينة الفاضلة.....
- ٦١ الفصل الثاني: صبغة العلوم الإنسانية و الدينية في البيئـة
- ٦٣ أ: صبغة العلوم الإنسانية في البيئـة
- ٦٣ الإنسان في رؤية المفكرين الغرب
- ٦٤ الإنسان في مرحلة ما قبل الحدائـة (السنة)
- ٦٤ الإنسان في مرحلة الحدائـة (التجدد)
- ٦٥ الإنسان في مرحلة ما فوق الحدائـة
- ٦٦ تعريف الإنسان في الثقافـة القرآنيـة
- ٦٩ أقسام الناس و المحكم و المتشابه فيهم
- ٧١ التلاؤم مع الطبيعـة في ضوء انسجام قوى الإنسان الباطنيـة
- ٧٥ رسالـة الأنبياء في تفسير و تغيير الإنسان و العالم
- ٨٢ ب: الصبغة الدينية في البيئـة
- ٨٢ الاهتمام بالبيئـة في الشرائع الإلهيـة
- ٨٣ قداسـة حفظ البيئـة تماثل أجر تلاوة القرآن
- ٨٤ الأبعاد الثلاثة لأبحاث البيئـة في ثقافـة الوحي
- ٨٨ حفظ البيئـة في ضوء تعاليم الأنبياء
- ٨٩ شبهة عدم الانسجام بين القداسـة الدينيـة و بين العلوم و الأمور الماديـة
- ٩١ محاور النقد
- ٩١ أ: مفهوم القداسـة
- ٩٣ ب: دائرـة الأمور المقدسـة
- ٩٦ ج: مستند الأمور المقدسـة
- ١٠٢ د: الأمور القدسيـة و استنباط الناس
- ١٠٣ طرح أصول مباحث البيئـة في الدين

- ١٠٦ عرض المخطوط العامة من قبل الدين للكثير من العلوم
- ١٠٩ عاملان مؤثران في إسلامية الباحث
- ١٠٩ المعيار في إسلامية العلم
- ١١٠ طرح الكثير من الباحث الطبيعية في المتون الدينية
- ١١١ كيفية الاستفادة من المتون الدينية في العلوم الأخرى
- ١١٢ حجية الفهم المنهجي العقلاني
- ١١٥ حجية معطيات العقل الأصيل
- ١١٩ إسلامية الجامعة في ضوء المتون الإسلامية
- ١٢٢ كون العلم النووي علم إسلامي والمنع من استخدامه الضار
- ١٢٢ غزارة الأصول والكلمات الجامعة في القرآن والحديث حول الإنسان والعالم
- ١٢٣ معنى إسلامية بعض العلوم
- ١٢٤ تأثير الوحي في ازدهار العلوم الإنسانية
- ١٢٥ تبيين الوحي للتَّظْم الداخلية والفاعلية والغائية للأشياء
- ١٢٥ إهمال بعض العلوم التجريبية والإنسانية للنظام الفاعلي والغائي للأشياء
- ١٢٧ تأثير الغفلة عن النظام الفاعلي والغائي في البيان الناقص لأسرار العالم
- ١٢٨ تكامل الوحي في ضوء بيانه للنظام الفاعلي والغائي
- ١٢٩ المورد الأول
- ١٢٩ المورد الثاني
- ١٣١ المورد الثالث
- ١٣١ المورد الرابع
- ١٣٣ نماذج من ازدهار العلوم في ضوء الوحي
- ١٣٣ بيان كيفية استخدام القوة بواسطة الوحي
- ١٣٤ صناعة أفضل الأدوات الدفاعية من أشدِّ الوسائل الهجومية

- ١٣٤ إرشاد الإسلام في بيع السلاح للفئات الباطلة و المتخاصمة
- ١٣٤ ازدهار العلوم السياسية في ضوء الوحي
- ١٣٧ الفصل الثالث علاقة الأعمال الحسنة و السيئة بالحوادث الطبيعية
- ١٣٩ أهمية البحث
- ١٤٠ النسبة بين «الخير و الوجود» و بين «الشرّ و العدم»
- ١٤١ الخير المطلق و النسبي و الشرّ النسبي
- ١٤٢ معيار الخير و الشرّ
- ١٤٣ الحسنة و السيئة في القرآن
- ١٤٣ الفرق بين «من عند الله» و «من الله»
- ١٤٥ الحسنة و السيئة التشريعية
- ١٤٦ أقسام الشرور التكوينية
- ١٤٨ دور الإنسان في تبديل النعمة إلى نقمة
- ١٥١ منشأ انتزاع الخير و الشرّ
- ١٥٢ النظام الأحسن
- ١٥٤ نسبة الشرّ
- ١٥٥ عدمية الشرّ
- ١٥٦ العالم العاري من الشرّ
- ١٥٩ علاقة الإنسان مع الطبيعة و علاقتهما مع الله
- ١٥٩ أ- علاقة الإنسان مع الطبيعة
- ١٦٢ ب- علاقة الإنسان و الطبيعة مع الله
- ١٦٥ ضرورة وجود الإذن الإلهي للتصرف في المخلوقات
- ١٦٦ وظيفة الإنسان إزاء النعم الإلهية
- ١٧١ الترابط بين العمل و العامل

- ١٧٣ العامل مرهون بالعمل.....
- ١٧٥ تأثير الأعمال على الآخرين
- ١٧٧ علاقة العمل بالعالم الخارجي
- ١٧٩ الآيات الناظرة إلى أصل العلاقة المتقابلة بين عمل الإنسان و الطبيعة.....
- ١٨١ الآيات الدالة على العلاقة بين الأعمال المحسنة و الأحداث الجيدة.....
- ١٨٤ سرّ تمتع الكافرين بالنعمة الإلهية.....
- ١٨٨ تأثير الصلاة في نزول المطر.....
- ١٩٠ دور الطهارة في استدامة الرزق.....
- ١٩٢ تأثير إحياء البيئة على سعادة الآخرة.....
- ١٩٣ الآيات الناظرة إلى العلاقة بين الأعمال السيئة و الأحداث المريعة.....
- ١٩٩ الانسجام بين تأثير الأعمال و نظام العلة و المعلول.....
- ٢٠٢ علاقة البلايا الطبيعية بالامتحان الإلهي.....
- ٢٠٣ الابتلاء بعدم استقرار الأمن و الفقر الاقتصادي.....
- ٢٠٥ النقص في المال و النفس و الثمر.....
- ٢٠٦ عظمة أجر الصابرين.....
- ٢٠٨ عالم الطبيعة نشأة الامتحان.....
- ٢١٠ الابتلاء بالمصائب.....
- ٢١٣ الابتلاء بالنعمة.....
- ٢١٥ الابتلاء بالخير و الشر.....
- ٢١٨ خطر الغفلة عن الامتحان الإلهي.....
- ٢٢١ الفصل الرابع: العمل في الطبيعة و تأثيرها في سلامة البيئة.....
- ٢٢٣ دور العمل في سلامة البيئة.....
- ٢٢٤ أهمية العمل في الإسلام.....

- العلاقة بين العمل و الرؤية الكونية..... ٢٢٥
- سعة دائرة العمل..... ٢٢٦
- المجدد الجادّ و المستمر..... ٢٢٧
- عظمة الخلقة و الدنيا المذمومة في ثقافة الوحي..... ٢٣٠
- إصلاح و إعمار الدنيا و الآخرة..... ٢٣٤
- التأكيد على الدافع الإلهي عند العمل في الطبيعة..... ٢٣٥
- الفقه و إصلاح المعيشة..... ٢٤١
- الانسجام بين إصلاح الدنيا و العمل بوظائف الآخرة..... ٢٤٢
- العمل سبب لاكتساب العزة..... ٢٤٥
- أصول و قواعد العمل..... ٢٤٧
- ١- التخصص و الالتزام..... ٢٤٧
- ٢- الإتيان و جمال الأثر..... ٢٤٨
- ٣- الثبات في العمل..... ٢٥٠
- ٤- الإخلاص في العمل..... ٢٥٠
- ٥- اختيار الشغل المناسب..... ٢٥١
- ٦- الإبداع في العمل..... ٢٥١
- ٧- العمل المهادف..... ٢٥٣
- الهمة في الإنتاج و القناعة في الاستهلاك..... ٢٥٣
- وصية الإسلام بالنظافة و الطيب للبدن و المنزل و محلّ العمل..... ٢٥٥
- اهتمام الإسلام بالمحيط بالتنظيف و الجوّ الطاهر العَطِر..... ٢٥٧
- الصدقة الجارية في الطبيعة الخضراء..... ٢٥٩
- وصية الإسلام بإيجاد الرياض الخضراء..... ٢٦٠
- غرس الأشجار في عداد أكثر الأعمال قداسة..... ٢٦١

- ٢٤٢ ضرورة الحصول و الحفاظ على الماء و الهواء الطيب و الأرض الصالحة للزراعة
- ٢٤٣ وصية الإسلام برعاية حقوق الحيوانات
- ٢٦٥ الفصل الخامس: تأثير حسن العشرة في سلامة البيئة
- ٢٤٧ مدح العلاقات الودية في الإسلام
- ٢٤٩ الوصية بالمعاشرة الأحسن
- ٢٧٠ المعاشرة الحقوقية على أساس القسط المتساوي و العدل المتبادل
- ٢٧١ تحريم الاستهانة و هتك حرمة و استثمار الآخرين
- ٢٧٢ الوظيفة الأكبر للمسؤولين في حسن العشرة
- ٢٧٣ فطرية حسن العلاقة مع الآخرين
- ٢٧٥ صفات الإنسان الفطرية معرضة للآفة
- ٢٧٧ تعدي الناس على حقوق الآخرين
- ٢٧٨ تفاقم الأزمة في مركز العائلة
- ٢٧٩ تأثير العلاقات مع الأرحام و المجتمع في سلامة البيئة النفسية
- ٢٨١ ١- النهي عن قطيعة الأرحام
- ٢٨٤ ٢- النهي عن قطيعة الإخوة في الدين
- ٢٨٤ ٣- النهي عن قطيعة الأمة الإسلامية
- ٢٨٦ ٤- النهي عن قطيعة القائد الإسلامي
- ٢٨٨ إمكانية التعايش السلمي مع أتباع سائر الأديان
- ٢٨٩ المعيار في التعايش السلمي
- ٢٩١ دعوة الإسلام إلى التعايش السلمي
- ٢٩٣ الفرق بين التعايش السلمي و بين التسامح و التساهل
- ٢٩٦ دور الإسلام في السلم العالمي و سلامة البيئة
- ٢٩٧ التصالح بين الأديان و الأنبياء و الشعوب المتدينة

- ٢٩٩..... نشر السِّلْم العالمي الثابت في ضوء نفي الظلم.....
- ٣٠١..... تأثير الأصول السياسية للإسلام في السلام و أمن البيئة.....
- ٣٠٣..... اهتمام أنبياء الله بإقرار السِّلْم العالمي.....
- ٣٠٧..... الفهارس.....
- ٣٠٩..... فهرس الآيات.....
- ٣٣١..... فهرس الأحاديث.....
- ٣٣٧..... فهرس الاعلام.....
- ٣٣٩..... فهرس الكتب.....
- ٣٤١..... مصادر التحقيق.....

كلمة الناشر

بسمه تعالى شأنه العزيز

الحمد و الثناء لله الحق الذي أظهر عالم الأمر و الخلق بكسوة النظام
الأحسن بأبهى صورة، جاعلاً الارتباط بينهما يناسب الظاهر و الباطن.
فما كان يتمتع في الطبيعة و عالم الخلق بجمال و إتقان تجد له في عالم
الأمر مزيداً من الجمال و الكمال، إذ أن عالم الشهود الذي يمثّل طبيعة الله الجميلة
و السليمة إنما هو مرآة عالم الغيب، فالأصنام المادية و الطلسمات الطبيعية ملهمة
من الأنوار الإسفهبديّة و القواهر الربوبية. و من نال الوصول إلى الملأ الأعلى و
سلك الطريقة العظمى يعشق مظاهر الطبيعة لأنه يشهد بهجة العالم العلوي و
حيويته في العالم السفلي:

أحب العالم و أعشقه لأنه من مظاهر الله سبحانه^١

ثم إن الإنسان المنقاد إلى الله في قبال الإنسان العاصي المتمرد يحبّ عالم الطبيعة كما تحبّ الروح البدن و يعتبره بمثابة الجسم الذي تؤول سلامته و نشاطه و بهجته إلى نشاط الروح و سرورها و يجد نفسه مسؤولاً أمام البيئة و سلامتها؛ و تراه كما يجتهد في صحة جسمه و سلامته و يقلق إذا أصابه ضرر و يسعى لرفعه يتأسف و يحاول رفع الآفات التي تصيب البيئة و الأضرار التي تهدد حياتها.

و مما لا شك فيه أن الإنسان الكريم الذي يتحلّى بمقام الخلافة الإلهية يحفظ مظاهر الجمال و الجلال الإلهي في الطبيعة و يتصدى لاستثمارها و استعمارها بروية إلهية، و يُلزم نفسه في إعمار البيئة المحيطة به و إحيائها و الحفاظ عليها؛ و من هذا المنطلق كان أئمة الحق المقيمين للأوامر الإلهية و السنن الربوبية من روّاد نهضة الحفاظ على البيئة و إعمارها.

و من هنا فإن حفظ البيئة يعتبر علماً تجريبياً إنسانياً قبل أن يكون علماً تجريبياً طبيعياً، و ينبثق من المبدأ الإنساني للإنسان، و إنّ حصر النظر إليه بمنظار طبيعي و مادي يؤول إلى تحديد هذا الفنّ و إهمال هذا الشأن الإنساني الشريف، و بما أن الدين يتكفل بمختلف الشؤون و الأبعاد الوجودية للإنسان، فإن الأديان الإلهية بأسرها قد أوصلت بهذا الأمر و قدّمت تعاليم عالية في هذا الشأن؛ و من هنا فإن علم البيئة و الحفاظ عليها هو علم إنساني ديني.

و من خلال هذه الرؤية، فإن هذا العلم يحتوي على كل ما تضمنته العلوم الإلهية و الإسلامية من معالم و معايير أصيلة منها المبدأ الفاعلي و المبدأ الغائي.

و لا بد من الالتفات إلى أن عمل الإنسان و فعله و ردّ فعله إزاء الطبيعة لا بد و أن يطابق هذه الرؤية، و أن كل عمل يصدر من الإنسان له أثر مباشر على الطبيعة و على سلامة البيئة المحيطة به أو تلوثها. من هنا فإن أعمال الإنسان الحسنة و الصالحة في الطبيعة تؤدي إلى نموّها و تكاملها، و أعماله السيئة و الطالحة تسبب انحطاطها و سقوطها.

و إن العالم المعاصر الذي يبحث عن الصلح و المحبة و يرمج للحياة السلمية لا يمكنه من دون الاستعانة بفهم مثل هذه الرؤية أن يصنع من العالم حياة ملؤها السعادة و الاستقرار.

و إن المنظمات الدولية التي تضمنت لجان عديدة كالبيئة و حقوق الإنسان و ... قد أصيبت بنوع من الحيرة و التناقض، لأن النزعة الاستكبارية و التمهيد للنموّ الاستعماري للقوى العالمية الشيطانية التي تجرد حياتها في الحرب و النزاع و العمل لإفشال المجتمعات لا يمكنها بتاتاً أن تفكّر في سلامة البيئة بل لم تأل جهداً بالإضرار بها؛ و من هنا فإن الدين الحقيقي و أهله الصادقين هم المنظمات و الأشخاص الذين يبذلون جهودهم لسلامة البيئة و الحفاظ عليها.

و الكتاب المائل أمام المريدين لسلامة البيئة و المؤمنين بها قد استنار بأسمى المعارف الإلهية و أعلى العلوم البشرية حيث تعرض لموضوع البيئة المهم و القيم من مختلف الزوايا الإنسانية و الدينية، و تصدى للبحث و التدقيق في مسأله برؤية وجودية من جانب و تعامل البشر معه من جانب آخر.

وقد قمنا في هذا الكتاب بجمع و تنظيم كل ما صدر من سماحة آية الله جوادى الآملى (دام ظله) بياناً و بنائاً من نداءات متعدّدة و خطابات و مقالات مختلفة في مجال البيئة و حفظها و كذا سائر الموضوعات المرتبطة بالمقام لتكميل و تدوين هذا الفنّ كي نضع هذه المجموعة العلمية و الثقافية في متناول أهل الفكر و الثقافة، و العلم و الدين.

و رتبنا هذا الكتاب على مقدمة و خمسة فصول. فكان الحديث في المقدمة عن الجمال و كونه علماً، و أن العالم و الخلقة الجميلة مظهر جماله تعالى، و في الفصل الأول عن إعمار الأرض و أنه من مهام خليفة الله، و في الفصل الثاني عن أن هذا العلم بالإضافة إلى كونه علماً طبيعياً تجريبياً إلا أن أصله و أساسه يعود إلى قيمة الإنسان، و أنه يعد من العلوم الإنسانية و الدينية، و في الفصل الثالث عن علاقة أعمال الإنسان الحسنة و السيئة بالحوادث الطبيعية، و كذا عن الشرور التكوينية و النظام الأحسن و العلاقة المتبادلة بين الإنسان و الطبيعية، و في الفصل الرابع عن جهد الإنسان و عمله الصحيح الذي يعدّ من العوامل المؤثرة في سلامة البيئة و الذي يتصف بصفات عدة كالتخصص و الإتقان و الثبات و الأخلاق و الإبداع و الهدفية، و في النهاية أو في الفصل الخامس من الكتاب عن كون حسن العشرة و التعامل للإنسان يعدان من العوامل المهمة في حفظ البيئة و سلامتها.

آملين أن يكون لهذا الأثر القيم الذي يحمل في مكنونه نظرة جديدة و رؤية حديثة لهذا الفنّ تأثيراً في تحوّل المجتمع ثقافياً تجاه المسائل البيئية و

الاهتمام بالجانب الإلهي و الميتافيزيقي فيها حيث يشكّل الأسسّ و الأساس في هذا الكتاب، و أن يسوق المجتمع العالمي و المنظمات الدولية إلى معرفة هذه الرؤية و الإيمان الصحيح بها.

و أخيراً تتقدم مؤسسة إسرائ الثقافيّة بالشكر و التقدير إلى فضيلة المحقق سماحة حجة الإسلام الشيخ عباس رحيمان محقق الذي قام بجمع و تنظيم هذا الأثر بذوق رفيع و اختيار مناسب.

بسم الله الرحمن الرحيم و إياه نستعين

المقدمه

إن البيئه و ضرورة الاهتمام بتأمين سلامتها و بيان أصول مبادئ الحياه البيئيه و طرق الوصول إلى بيئه سالمة و أهدافها الأصيلة ترتكز على العلوم الإنسانيه، و تستند إلى القوى البشريه لأنها من جانب تعتبر واحده من حقوق البشر الأساسيه، و من جانب آخر تدخل في عداد المهام البشريه؛ كما أن تخريبها أيضاً يعود إلى الجهل بمحقوق البشر أو عدم أداء الوظائف البشريه، و من هنا لابد من معرفه التركيبه المنتظمه للإنسان و العالم، و علاقه الإنسان بنفسه، و علاقه الإنسان بالإنسان، و أخيراً علاقه الإنسان بالعالم و لو على نحو الاختصار، ليتضح في ضوء ذلك ضرورة الوصول إلى بيئه سالمة و لزوم الحفاظ عليها.

جمال خلقه الإنسان و العالم

إن القرآن الكريم الذي هو أسمى المتون الدينيه قداسة، يعتبر عالم الخلق ستاراً إبريسماً لجمال الله و عظمته، و ترتيب عالم الوجود مدعاة لسكون البشر و استقراره، و يفتح لعالم الكون بأسره لسان المدح و الثناء، و يقول في هذا الشأن:

كل ما كان مصداقاً للشيء و صدق عليه عنوان الشيء فهو مخلوق لله سبحانه؛ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^١.
كل ما خلق الله جميلاً وحسناً ولا يمكن أن يُتصور فوقه جمال وحسن، إذ لو كان كذلك لدخل في دائرة علم الله، و لما خرج عن قدرته الشاملة، و لما انفصل عن مائدة جوده وكرمه؛ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾^٢.

إن الإنسان الذي باستطاعته أن يمثل العالم وكأنه جالس إلى جانب، خُلِق في أسمى صورة؛ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^٣؛ ﴿فَأَحْسَنَ صُورَتَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^٤؛ ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَتَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^٥.

الإنسان أجمل مخلوق

إن جميع المخلوقات خُلقت جميلة و الإنسان كذلك يتحلى كسائر المخلوقات بحسن ذاتي، و لكن بما أنه يستطيع الوصول إلى مقام الخلافة الإلهية الذي يكون العالم و ما فيه تحت تدبيره و إدارته، لذلك فهو يتمتع نسبة إلى باقي المخلوقات بمزيد من الحسن القياسي و هذا ما يفقده سائر المخلوقات، و من هنا فقد قال الله

١. سورة الزمر، الآية ٦٢.

٢. سورة السجدة، الآية ٧.

٣. سورة التين، الآية ٤.

٤. سورة غافر، الآية ٦٤.

٥. سورة التغابن، الآية ٣.

سبحانه بعد بيان نظام خلقه الإنسان: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^١. ولو كان من هو أجهل من الإنسان خلقاً لقال الله عن نفسه عند خلق ذلك المخلوق الأجهل بأنه أحسن الخالقين، وبما أن غاية الجمال ونهايته في الجمع بين كمال العقل وجمال المحس فالطاووس الذي قال في حقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «و من أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل ونضد ألوانه في أحسن تنضيد»^٢ لا يعد شيئاً إذا ما قيس بالإنسان.

إن جميع الأسطر والكلمات والأحرف التي خطت على ديوان الوجود بقلم الروح الجميل على لوحة العالم الذهبية، إنما هي مرايا ومرايا لله سبحانه كما قال إمام الموحدين علي عليه السلام: «و تشهد له المرآة لا بمحاضرة»^٣.

فإن الله سبحانه وتعالى وإن كان:

قد تجلّى و ظهر بمظاهر كثيرة حتى أصبحنا ننظر إليه من خلال الكثير من المعالم إلا أن معرفته لا تتحدد بسعة المعروف، بل هي مرهونة بهندسة العارف: فكيف يتأتى للعين أن تنظر إليه بحقيقته و إنما يعرفه كل بمقدار معرفته و إدراكه^٤ غير أنه لا بد من التقطّي لاستجلاب هكذا معرفة و اقتناصها:

فإن لم يصل شميم عطره إلينا سنغرق في هالة من الحزن و الهم^٥

١. سورة المؤمنون، الآية ١٤.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٥.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥.

٤. ديوان فروغي بسطامي.

٥. ديوان حافظ، الغزل ٣٠٠.

٦. ديوان حافظ، الغزل ٣٠٠.

جمال عالم الخلق

إن جمال عالم الخلق يكمن في نظمه و انتظامه، بحيث أن كل مخلوق قد خلق منسجماً مع أجزائه الباطنية و هدف معين و طريق و دليل محدّد، و لذا تجد نظامه الفاعلي منسجماً و علمياً، و نظامه الغائي مترابطاً و حكيماً و نظامه الداخلي متناسقاً و معقولاً.

و قد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^١؛ أي أن الله خلق كل مخلوق وفق استعداده و استحقيقه و سعته و هدفه، ثم وضعه في طريق مستقيم و هداه إلى المقصد المتضمن للمقصود.

إن هذا المثلث الميمون، يرى جمال كل شيء في مراعاة الأسس العلمية و التجريبية للأنظمة الثلاثة المذكورة، و إن تضرر نظام شيء فسيحول بينه و بين الوصول إلى هدفه المنشود، و سيحرم الآخرين أيضاً من فيضه.

و إن ذلك الهجران البغيض و هذا الحرمان القبيح، يشوّهان وجه الخلق الناصع، و أيّ تشويه للخلق يضرّ بسلامة المجتمع و أمن الأمة فهو من وساوس إبليس؛ لأن الشيطان يقوم بتدليس مكره و تلبيسه في مطاوي الأمور و منها تغيير الخلق الهادف للإنسان أو أيّ مخلوق آخر؛ ﴿فَلْيَعْيُرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾^٢.

١. سورة طه، الآية ٥.

٢. سورة النساء، الآية ١١٩.

ضرورة الحفاظ على لوحة الحلقة البديعة

إن فئة من الناس و بسبب إغواء الشيطان الذي يسوق المغرّر بهم إلى العصيان عبر إراءة الطرق المنحرفة و الإغراء و التمويه و التسفيه، تعتمد بذريعة الحفاظ على الصناعة إلى تحويل سنة الحلقة الرائعة إلى بدعة و تبديل نظام الخلق البديع إلى فوضوية التدنيس و التلوّث.

و قد جاء نداء القرآن الكريم حول الذين لا يعرفون قدر البيئة و لا يملكون ثقافة صيانتها: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^١، و إن ما يظهر من هذا الأمر السماوي هو أن لوحة الحلقة البديعة إنما هي أمانة الله بيد البشر. فعلى الصناعات التجريبية أن تتجه باتجاه سعادة و سلامة البشرية بأجمعها؛ كما أن عليها مراعاة الحقوق الطبيعية لأي مخلوق آخر كالبحار و ما فيها و الهواء و طيور الهواء و كل ما يستنشقه و كذا كل ظاهرة طبيعية أخرى، و أن لا يرضوا بهلاك الحرث و النسل أبداً، فإن القرآن لا يعتبر الذي يجلب الأضرار الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و غيرها بأنه إنسان مثالي بل يقول في تعبيره و توبيخه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^٢، لأن قيمة العامل بالعمل، فإن لم يكن الفساد محبوباً سيكون المفسد أيضاً غير محبوب.

١. سورة الروم، الآية ٤١.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٠٥.

جمال الإنسان في ضوء الكرامة والخلافة

إن جمال الإنسان علاوة على تركيبة وجوده المنتظمة - التي توجد في كل مخلوق آخر و إن كان ضعيفاً - مرهون بكرامته. فإن المتون السماوية المقدسة و لاسيما القرآن الكريم قد كرّم وجود البشر و اعتبره مخلوقاً كريماً و قال في كرامته: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً»^١. ثم إن كرامة الإنسان مرهونة بخلافته؛ لأن خليفة الموجود الكريم يتحلى بالكرامة و إن مثل هذه الكرامة المنبثقة من الخلافة الإلهية لا سبيل لغير الإنسان إليها، و لذا لم يُعبّر عن غير الإنسان بما تمّ تعبيره عن الإنسان و هو هذا الحديث الشريف القائل: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^٢؛ لأن معرفة النفس الإنسانية من حيث كونها خليفة لله و هي خلافة تكوينية لا اعتبارية تنتهي إلى معرفة الله لا محالة، و إن لم تسبّب ذلك فالنقص يعود إلى معرفة النفس. و أما سائر المخلوقات فمعرفة من حيث الإمكان الماهوي أو الإمكان الفقري و كذا معرفتها من حيث الحدوث و الحركة و النظم و أمثال ذلك يسبّب المعرفة بوجود الله أو المعرفة بصفة من صفاته الكمالية.

و من هنا فإن كرامة الإنسان مرهونة بخلافته و «الخليفة» هو التابع لـ «المستخلف عنه» في جميع شؤونه العلمية و العملية، يفكر بما يوافق علمه و

١. سورة الإسراء، الآية ٧٠.

٢. شرح غرر الحكم، ج ٥، ص ١٩٤.

يعمل بما يطابق إرادته. و من ادعى الخلافة و علمه و عمله لا يوافقان «المستخلف عنه» فادّعاؤه هذا غير مشفوع بالبيئـة و هو كاذب في دعواه، بل يكون قد تربّع على كرسى الخلافة غصباً؛ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^١. و إن مثل هذا الإنسان الذي يدور مدار الهوى لا يمكنه الوصول إلى مقام خلافة الله المنيع و بالتالي لا يكون له نصيب من كرامة الخلافة.

الفصل الأول

إعمار الأرض و تأسيس المدينة الفاضلة
بواسطة خليفة الله

وظيفة خليفة الله في إعمار الأرض

إن الله سبحانه وتعالى الذي أسدل خلعة الخلافة عبر الآية الكريمة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^١ على القامة المعتدلة للإنسان الحرّ، جعل نسيج إستبرق الخلافة معرفة أسماء الله الحسنی و ترميم دائرة الخلافة و إعمارها و تحريرها من النفوذ المخرب للشياطين و قال من الناحية العلمية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^٢، و من الجهة العملية: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾^٣.

ثم إنه تعالى شأنه هو الذي أوجد الإنسان و أنشأه من الأرض. فكانت خلقته هادفة و لم يخرج من الأرض كالعشب. فخلق الإنسان و جعله خليفة و على الخليفة أن يعمل عمل المستخلف عنه. و من أجل أن يوفر المجال المناسب لحياة البشر أعدّ الموادّ الأولية كغذاء في سفرة الطبيعة و أعطى الإنسان لاستضافته الفطنة و الاستعداد و التقنية و الإبداع. فإن الله قد خلق كل النعم

١. سورة البقرة، الآية ٣٠.

٢. سورة البقرة، الآية ٣١.

٣. سورة هود، الآية ٦١.

الضرورية قبل خلقه الإنسان و هيأ الأرض و الأرضية لحياة البشر ثم خلق الإنسان على وجه الأرض.

و لم يكن كذلك بأن خُلق الإنسان أولاً ثم خُلقت سائر المخلوقات لسد حاجته؛ بل حاله حال الجنين الذي قد توافر له في بادئ الأمر حليب الأم لكونه لا يستطيع هضم الطعام و بعد أن تمكّن من الأكل و القيام بالعمل و تحدّد طعامه و عمله، و هب له العقل و الفكر و أعدّ له الوسيلة و أمره بالسعي في الأرض و إعمارها و قال: عليك بالحركة ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾^١؛ و نحن سنيسر لك السبيل.

ضرورة الاستغلال الأمثل للثروات الطبيعية

إن الله سبحانه سخر الموجودات للإنسان، و هذا لا يعني أن الإنسان هو الذي يُسخرها لنفسه بل الله هو الذي يُسخرها للبشر كما قال في سورة «إبراهيم»: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾^٢.

لقد تكررت كلمة ﴿سَخَّرَ﴾ في هذه الآيات أربعة مرّات و تكرر ضمير المخاطب في ﴿لَكُمْ﴾ أيضاً عدة مرّات. فإن كلمة «التسخير» و إن كانت تحمل

١. سورة عبس، الآية ٢٠.

٢. سورة إبراهيم، الآية ٣٢ - ٣٣.

مفهوماً شاملاً في الذهن إلا أن تسخير الشمس و القمر يختلف عن تسخير الليل و النهار، كما أن تسخير البحر يختلف عن تسخير النهر. و على هذا فإن لكلّ من المخلوقات الإلهية وجود يختلف عن الآخر و تسخير كذلك، و من هنا فإن الاستفادة منها يختلف بعضه عن الآخر.

و لكن المهم أن جميع الموجودات مسخرة للإنسان، و من هنا ينبغي الاستفادة من هذه النعم الإلهية بما هو أحسن و إلا فيؤول إلى كفران النعمة. و من تلك النعم الإلهية البحر، فلو استفاد الإنسان منها بصورة ابتدائية سيكون متساوياً مع سائر الموجودات المائية و الطيور البحرية و لا يصدق على ذلك تسخيرها. بيد أنه إذا اجتاز استخدام البحر و الملاحة إلى الغور في بحر النعم الإلهية و البحث العلمي في جوف البحر و فضائه الداخلي و الخارجي و اكتشاف المعادن البحرية و الثروات الموجودة في البحر و عرضها على البشر، فحينئذ يمكن القول بأنه استفاد من البحر المسخرّ بشكل صحيح؛ كما أنه إذا اقتصر انتفاعه من الشمس على نورها و حرارتها فلا فرق عندئذ بينه و بين سائر المخلوقات من الحيوانات و النباتات في الانتفاع من الشمس، و لا يمكن لأحد أن يدعي الاستفادة الجيدة من نعمة الشمس و العمل بآية ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسُ﴾^١، إلا من استطاع أن يكتشف أنواع منافعها المفيدة و البيئية و أن يضعها بين يدي البشرية.

كما و قد سخرّ الله الأرض أيضاً للإنسان ليتأتى له بسهولة الحياة فيها و حرثها للزراعة و التنقيب فيها لاستخراج المناجم و الدراسات العلمية في شتى

مجالات البيولوجيا و علم المعادن و اكتشاف صدع الأرض و المناطق المعرضة للزلازل ليعيش الناس في رفاهية و أمن و لكن إذا تحددت الاستفادة من الأرض ببناء المساكن و الحياة الطبيعية فإن هذا ما تتمتع به سائر الحيوانات أيضاً. و كما يقوم الإنسان بالخوض في أعماق الأرض و استخراج النفط و الغاز و الثروات الجوفية، عليه أيضاً أن يستغل الفضاء و ما فيه استغلالاً أمثل.

و لو اكتفى بالاستفادة البدائية من النعم الإلهية و أغفل تسخير المخلوقات للإنسان كما يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾^١، ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾^٢، و لم ينتفع من المخلوقات الإلهية بالنحو المطلوب فقد كفر بالنعمة و يكون مشمولاً بهذه الآيات: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾^٣، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^٤.

العلاقة بين إعمار الأرض و إطاعة أنبياء الله

على البشر أن يبذلوا كل ما بوسعهم امتثالاً لأمر الله في إعمار الله ليتحقق هذا الأمر الإلهي ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^٥.

و على هذا فمن كان بوسع الإعمار عبر الزراعة و تربية الحيوانات و

١. سورة النحل، الآية ٧٩.

٢. سورة النحل، الآية ٨.

٣. سورة إبراهيم، الآية ٢٨.

٤. سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

٥. سورة هود، الآية ٦١.

الصناعة و المهنة و غيرها من المشاغل المفيدة و لكنه يتقاعس عن العمل و لا يتصدى لاستخراج المواد الأولية من الطبيعة و وضعها بين يدي الناس سواء لكونه ثرياً و يرى نفسه غنياً عن العمل أو طلباً للراحة، فهو تارك لأمر القرآن بل معرض عن كلام أنبياء الله بأجمعهم.

لأن الأنبياء قد اصطفاهم الله و خلّقوا من مصدر غيبي واحد و كلامهم متحد و متناسق. فكل نبيّ يدعو الناس إلى الإيمان بالمبدأ و إلى المعاد و الوحي و الملائكة و الطريق الصحيح في الحياة و علماً بأن درجاتهم متفاوتة و من هنا تكون معظياتهم في فروع الفقه و الحقوق مختلفة أيضاً، إلا أن الخطوط العامة للأنبياء و الرسل واحدة.

ثم إن لكل نبيّ شخصية حقيقية و شخصية حقوقية؛ فالشخصية الحقيقية و هي شخص النبي غير مشتركة، بيد أن شخصيتهم الحقوقية و هي رسالتهم و فحوى دعوتهم مشتركة بينهم بأجمعهم. كما قال الله سبحانه و تعالى للنبي الأكرم ﷺ: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾^١. فإن النبي ﷺ و إن كان مهيمناً على سائر الأنبياء، إلا أن أساس المسألة و هي الهدف من الوحي و الغرض من الرسالة فقد جاء بها كل من مضى من الأنبياء. و لذا قال النبي: ﴿مَا كُنْتُ بِدُعَا مِنْ الرُّسُلِ﴾^٢؛ فلا أن دعوة النبي الأكرم ﷺ و هدايته غير مسبوقه بمثيل، و لا ما لاقاه من إساءة و استهانة بديع و حديث الظهور. و إن

١. سورة فصلت، الآية ٤٣.

٢. سورة الأحقاف، الآية ٩.

الأنبياء بأجمعهم قد بُعثوا للدعوة إلى التوحيد في الذات وفي العبادة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^١.
فإن أفضل ما جاء به رسل الله هي كلمة «لا إله إلا الله» التي هي كلمة التوحيد الأصيل؛ ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إله إلا الله»^٢.

و على هذا الأساس فمن أنكر نبوة نبيّ وكذب بها فكأنما رفض نبوة جميع الأنبياء. و على المؤمنين أن يقولوا: ﴿لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾^٣؛ أي لا نفرق بينهم في أصل الرسالة و لزوم قبولها و معنى ذلك أن قبول رسالة نبيّ تستلزم قبول رسالة جميع الأنبياء و ترك دعوة نبيّ و هدايته تستلزم ترك هداية جميع الأنبياء.

فقد قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾^٤، و الحال أن أصحاب الحجر كان فيهم نبيّ واحد فقط و لم يقفوا إلا أمام هذا النبي. فهذه الآية تدلّ من جانب على أن كلام نبيّ أصحاب الحجر هو كلام جميع الأنبياء السابقين و اللاحقين، و من جانب آخر على أن دعوة كل نبيّ تستبطن في الأغلب حركة الأنبياء السلف أو الخلف و تكذيب أي نبيّ يؤول إلى تكذيب كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في كلام هذا النبي.

١. سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

٢. توحيد الصدوق، ص ١٨.

٣. سورة البقرة، الآية ١٣٦.

٤. سورة الحجر، الآية ٨٠.

كما و قد عبّر القرآن الكريم بهذا التعبير عن قوم ثمود و قوم لوط أيضاً حيث قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾^١، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾^٢، على الرغم من أن قوم لوط أو قوم ثمود لم يكن بين ظهرانيهم إلا نبي واحد. و من هنا حينما يقول النبي صالح: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^٣ أي طلب منكم إعمارها، يجب على كل من يؤمن بالله و أنبيائه إطاعته، و لذا فإن إعمار الأرض واجب على الجميع سواء الإعمار الظاهري و عمارة الأرض أو الإعمار الباطني و عمارة الأرضية لإصلاح المجتمع.

الأثر السيء لمخالفة أمر إعمار الأرض

إن جميع الأوامر الإلهية تبعث على الحياة و من أهملها و أعرض عنها فسوف يقع في ضيق من العيش و ضنك من الحياة.

فقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من وجد ماء و تراباً ثم افتقر فأبعده الله»؛ أي أن الشعب الذي يملك ماء و تراباً للزراعة بمقدار كافٍ و لا يتصدى لإدارة المياه و إصلاح الأرض و لا يستغلها و يفتقر لتقاعسه عن العمل أو إساءة التصرف فهو بعيد عن رحمة الله. و لا يُزعم أن الابتعاد عن رحمة الله محتص بالأمم السالفة لمخالفتها أوامر الله و أنبيائه كما يحدثنا القرآن الكريم عن

١. سورة الشعراء، الآية ١٤١.

٢. سورة الشعراء، الآية ١٦٠.

٣. سورة هود، الآية ٦١.

٤. وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٤٠.

قوم عاد: ﴿الْأَبْعَادُ لِعَادٍ﴾^١، بل يشمل هذا الخطر سائر الأمم أيضاً. وعلى هذا فلو أمر القرآن الكريم أو الأئمة المعصومين عليهم السلام والذين وصلوا إلى كمال الإنسانية والذين هم عدل القرآن بإصلاح حياة البشر وسلامة البيئة وأعرض المجتمع عن ذلك فسوف يؤول مصيرهم إلى الابتعاد عن الرحمة الإلهية.

الفرق بين استعمار القرآن واستعمار القوى الاستكبارية

إن كلمة الاستعمار التي تحمل الآن في مكنونها أسوء المفاهيم وأقبحها من أفضل المفردات القرآنية. بيد أن أرباب الظلم والاستعباد لعبوا بهذه الكلمة حتى وُضعت جنباً إلى جنب كلمات الاستحمار والاستبداد والاستثمار المشؤومة؛ والحال أن الله في الثقافة القرآنية بوصفه مستعمراً جعل المواد الأولية من المخلوقات السماوية والأرضية في الطبيعة وخلق الإنسان من التراب وأفاض عليه الروح الملكوتية: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^٢، فأصبح الإنسان مكوثاً من الملك والملكوت ليصل إلى خلافة الله ويقوم في الأرض مقام المستخلف عنه.

ومتى ما يؤمن الإنسان بأنه خليفة الله وأن العالم بأسره مواد أولية معدة له وتحت تسخيرها جعلها الله في إطار الطبيعة وهبه العقل لاستغلالها وأرسل الأنبياء لإرشاده إلى كيفية استخدامها من أجل تهيئة غذاء الجسم وكمال غذاء الروح عند ذاك ستنظم حياته وتسلم البيئة التي يعيش فيها.

١. سورة هود، الآية ٦٠.

٢. سورة الحجر، الآية ٢٩.

أما الدول الاستعمارية فقد عمدوا لاستجلاب منافعهم و استرقاق الشعوب الفقيرة عبر هذه الكلمة و بذريعة الإعمار إلى نهب ذخائر الشعوب و الثروات الطبيعية ثم قاموا بإعمار ما يؤمن مصالحهم لاستخدامه كوسيلة لصالحهم و حالوا دون إعمار ما لا يليبي مآربهم.

إعمار القوى الاستكبارية استثمار

إن سلاطين الجور في القوى المستكبرة يبغون مزيداً من استغلال الثروات الطبيعية و البيئة لتصل منتوجاتهم الزراعية و الحيوانية و غيرها إلى ما يفوق احتياجهم؛ و لذا يرفضون إسعاف الشعوب الفقيرة و الجائعة و مساعدتها. و يعيشون في حالة من الإسراف و الترف في وقت تجد البعض في البلدان المستضعفة يؤمنون طعامهم من صناديق قُمام الأثرياء و المترفين^١. و الحال أن لبعض هذه البلدان مناجم غنية و مياه و تربة صالحة للزراعة و تربية الحيوانات. و إن النظام الاستكباري فيما لو اقتضت سياسته، يعمد إلى مقاطعة دولة و شعب اقتصادياً و يستخدم القمح على مستوى السلاح النووي. فإن من أهم وسائل المستعمرين هو الحظر الاقتصادي ليحطّمون بذلك العمود الفقري للمجتمعات و يسيطرون عليهم. و لذا فإن قاموا بإعمار بقعة من البقاع فذلك من أجل تأمين المزيد من مصالحهم و حرمان باقي الشعوب؛ و في الواقع فإنهم

١. هذا ما ينقله الذين رأوا هذه المشاهد عن كتب. فإن أطعمة الطبقة المترفة في الأغلب تعدّ لهم في موائد و أواني أحادية الاستعمال و يهياهم أضعاف» تا «و الشاحنات المخصصة لحمل النفايات».

يَعْمَرُونَ الأَرْضَ لمصدرتها لأنهم أولاً يَعمرون جزءاً من الأَرْض لتأمين منافعهم و ثانياً يتركون باقي الأراضى من دون إعمار بل و يحولون دون إعمارها إن استطاعوا و ثالثاً يسترقون سَكَّان تلك المنطقة و ينهبون ثرواتهم.

دور المستعمرين في تلوث البيئة

إن سلامة البيئة صلة وثيقة بحياة المجتمع السليمة، و كما أن الصحة و الوقاية مقدمان على المداواة و العلاج فإن تأمين جوّ سالم و بيئة مناسبة أيضاً مقدمان على تدارك الخسائر الناجمة عن البيئة الملوثة. و إن الحفاظ على سلامة البيئة هو مراعاة حق الأَرْض و الهواء و الماء و التراب و البحر و الصحراء و الجبل و البادية و النباتات و الحيوانات و سائر المخلوقات و الميادين البيئية التي لها ارتباط بحياة المجتمع.

فإن تأمين سلامة البيئة و صحتها من الأصول الأولى و على الشعب و المسؤولين أن يبذلوا قصارى جهدهم لتحقيق هذا الأمر؛ إلا أن الظاهر عملياً في حياة مختلف المجتمعات البشرية هو أن البعض يعرضون عن الأصول البيئية بأسرها و لا يقفون عند أي حدّ لتأمين مآربهم.

و قد أشرنا إلى أن المراكز الدينية كما أنها لا تُعمر إلا على يد المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ﴾^١، فإن الشعب و المجتمع المتدين هو الوحيد الذي يسعى لحفظ البيئة و صيانتها لأن فقدان الإيمان لا يُبقى أي التزام و

مسؤولية لحفظ الطبيعة. و اليوم نحن نشاهد في البلدان المتطورة التجارب و الانفجارات النووية و غير النووية في البحار و الصحاري مما تؤدي إلى تلوث البيئة بشتى الأنحاء. فإن الدول المستعمرة ينهبون بحرص و طمع متزايد المنابع الغازية و النفطية للآخرين بل و حتى أنهم يُحمّلون ناقلات البترول أكثر من طاقتها و بين الحين و الآخر تفرق إحدى هذه الناقلات و يتدفق مقدار كبير من النفط في البحر فيؤدي إلى أن تتعرض البيئة لمشاكل حادة بالإضافة إلى تلوث البحر و تهديد الكثير من الموجودات البحرية في حياتهم.

دور المستعمرين في الإخلال بأمن البيئة

إن النظم الدولية المستعمرة و لتأمين المزيد من منافعهم يستثمرون سائر المجتمعات و يمنعونهم من الرقيّ و التكامل، فتارة يجيئون الجيوش و أخرى يحكون المؤامرات الاستعمارية ليثيروا التناحر بين البلدان و مختلف الأقوام و إن ارتأوا المصلحة يخوضون الصراع عبر الهجوم العسكري بأنفسهم و إن حصيلة ذلك في كل الأحوال هو الإخلال بأمن البيئة.

و اليوم نشاهد ما يجري في جوار إيران الإسلامية سواء في شرقها أم غربها حيث لم يخلف المستعمرون سوى القتل و الدمار و فقدان الأمن و التعدي على حقوق الآخرين بل و منعوا الناس من الرقيّ و عمدوا علاوة على إفساد الذخائر الطبيعية و نهب الثروات العامة للمجتمع إلى الإخلال بأمن البيئة و إهلاك

الحرث و النسل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^١، ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾^٢.

المدّعين لخلافة الله كذباً

إن أهم عنصر لخلافة الله بعد اكتساب العلوم و المعارف الدينية هو إعمار الأرض و إنقاذها من أي فساد و ضياع. و المراد بالأرض هو دائرة حياة البشر، و إن مثل هذا النطاق الواسع يمتدّ من أعماق البحار إلى ذروة السماء. و من هنا فإن ثقافة الحياة البيئية قد عجنت بالمقام السامي للخلافة الإلهية.

و إن من يلوّث الجوّ بدلاً من تصفيته و يدمّر الأرض بدلاً من إصلاحها و يقطع الشجر بدلاً من غرس النبتة و لم يرتدع عن تلويث البحار و الصحاري بدلاً من تطهيرها فإن مثل هذا الفارغ المظلم يفتح لسانه بالكذب من دون أسف و كما يلوّث البيئية يقوم بتلويث عنوان الخلافة العظيم و يغتصبه و يعتبر نفسه خليفة الله.

أما المراد من عمارة الأرض فهو تأمين الأصول البيئية لحياة الإنسان لا خصوص الحياة النباتية التي يمتلكها البعض أو الحياة الحيوانية التي اكتفى بها آخرون، بل الحياة الإنسانية الجامعة لجميع مراحل الحياة النباتية و الحيوانية أيضاً؛ و ذلك يعني ابتعاد الأرض عن خطر الفساد و صيانة الأرضية عن ضرر

١. سورة البقرة، الآية ٢٠٥.

٢. سورة النمل، الآية ٣٤.

الأخلاق ليتمتع البدن بمزايا الطبّ الطبيعي و تصل الروح كذلك إلى الرّوح و
الريحان عبر المواهب الخاصة بالنفس الرحمانية.

رسالة الحكّام الخطيرة في تأمين بيئة سالمة

إن الجمال الحقيقي لا الاعتباري هو من سنخ الوجود و الوجود حقيقة
تشكيكية و لذا فإن للجمال مراتب طويلة. لأن جمال الإنسان يكمن في
خلافته لله و تتجلى هذه الخلافة في الحكّام أكثر من الآخرين. و من هنا فإن
رسالة رجال الدولة في تأمين بيئة سالمة أشدّ من عامة الناس؛ لأن البرمجة
الواسعة في الفضاء و البحار و صناعة الأسلحة الكيماوية و المدمّرة و
التجارب النووية المخرّبة و ما شاكلها بيد الحاكم المقتدر. و إن ما يحدّد سلامة
البيئة في الوقت الحاضر و يهدّد المجتمعات البشرية بالموت أو المرض هو
الاعتقاد البعيد عن الإصلاح و التعديل لأصحاب الصناعات النووية الذين
يُصادرون النعم الإلهية لصالحهم و ضرر الشعوب الأخرى و كأنهم يمثلون المدير
المطلق العنان على قرية العالم المعاصر.

و قد ورد في القرآن الكريم الذي هو عصارة المتون السماوية المقدسة:
﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَدْلَةً﴾^١، فإن سلاطين
المجور و الحكّام المتغطرسين و الملوك الطفّاة إذا دخلوا منطقة و تمكّنوا منها و
سيطروا عليها عمدوا إلى إفسادها. و إن كان الإفساد و التخريب في العصور

الغابرة يستلزم الدخول الفيزيائي للأشخاص فإنه اليوم و بسبب السرعة المدهشة لتطور الصناعات يكفي فيه التحكّم عن بُعد. و إنّ من أساس رسالتهم التضامن مع الطبقة المحرومة باتوا كالمفترسين يعتبرون سفارتهم امتصاص الدماء:

فمن كان نهجه إيذاء الآخرين تكون صورته صورة إنسان و قلبه قلب حيوان^١ و من كان يمتلك قدرة أسمى يقع على كاهله عبء أثقل. فلو أن الأمير كان مكلفاً بالحفاظ على سلامة البيئة في حدود إمارته يكون تكليف أمير الأمراء أهم لأن دائرة إمارته أفسح و أوسع من إمارة الأمير الذي هو مأمور له.

وظيفة الحكومة الإسلامية في تأمين سلامة البيئة

لقد رسم النظام الإسلامي وظيفة الوالي رسمياً حيث قال: «أيما امرئ ولي من أمر المسلمين شيئاً لم يحطهم بما يحوط نفسه لم ير رائحة الجنة»^٢، فإن من تقلّد منصباً في الدولة الإسلامية و عهدت إليه مسؤولية قسم من أقسام الحكومة الدينية، يتوجّب عليه أن يؤمّن لعامة الناس كلّ ما يستخدمه لنفسه من حفظ حياته و تأمين سلامته و حيثيته الاجتماعية و ما شابهها. فلو كان يتمتع بصحة و بيئة سالمة ينبغي عليه أن يوقرها لجميع المواطنين أيضاً.

و قد تجلّى أمر الرسول الأعظم ﷺ هذا في البرنامج الحكومي لخليفته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بشكل خاص، إذ قال علي عليه السلام لأحد

١. حديقة الحقيقة، ص ٥٥٠.

٢. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٦٩٢.

عمّاله: «و ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة»^١، فإن تلوث البيئة يعرّض الطاقة البشرية و الثروات الطبيعية كذلك للوقوع في الضرر.

إن حكومة المجتمع البشري و سياسته من أهم العلوم الإنسانية. و معرفة العلوم الإنسانية بحاجة إلى معرفة الإنسان. و الإنسان و العالم موجودان قد أخذوا وجودهما من غيرهما و كلاهما مرتبطان مع بعض، كما أن فيما بينهما تفاعل و لا تتأق معرفة الإنسان إلا عبر معرفة المبدأ الفاعلي الذي هو وجوده عين ذاته و الذي يهب الوجود للإنسان و العالم و بالتالي فلا تبيسر معرفة سياسة المجتمع الإنساني و حكومته من دون معرفة الإنسان.

إن الإنسان في الرؤية الإسلامية يقع على رأس نظم ثلاثة و هذا ما لا تقول به الأديان غير الإلهية و هي النظام الفاعلي و النظام الداخلي المخصوص و النظام الغائي الخاص.

فنظامه الفاعلي الذي تتشكل علل ظهوره و تربيته من أمور قد خلقت بأسرها بيد الله الواحد الأحد و المبدأ الفاعلي الوحيد الذي ظهر منه العالم و الإنسان هو الله سبحانه و تعالى و لا يوجد أي عامل مستقل في تحقق الإنسان و لا أي موجود مستقل في تربيته و إدارته.

و نظامه الداخلي هو الذي تتألف حقيقته من الروح المجردة و الجسم المادي، فهو ليس كالملائكة روحاً بلا جسم و لا كالأجرام الترابية و النباتية جسم بلا

روح وإنّ ما يقوم إنسانيته هي الروح التي لا تزول والتي تصطحب الجسم الترابي الزائل إلى جانبها.

و أما نظامه الغائي فهو الذي لا يموت بموت البدن بل هو حيّ إلى الأبد و يدخل بعد العبور من الدنيا دار القرار و هي القيامة و يعيش مع نفس هذا البدن بما يناسب ذلك العالم الخالد و تُحشر معه كل معتقداته و أفكاره و أيضاً جميع أخلاقه و صفاته و كذلك كل أعماله و أفعاله و لا تنفصل عنه بتاتاً.

و أما المدارس المادية و الحسية فإنّ الإنسان فيها فاقد للنظام الفاعلي بالمعنى المذكور و كذا النظام الغائي بالمعنى المشار إليه و نظامه الداخلي ينحصر في المادة و الجسم و تُفسّر الروح و الأفكار الباطنية أيضاً تفسيراً مادياً. و قد بيّن القرآن الكريم الذي هو أفضل مفسّر للإنسان و العالم هذه النظم الثلاثة الإنسانية في آيات كثيرة و أجمع آية تشير إلى النظم الثلاثة بأسرها آية في سورة «طه» عن لسان موسى الكليم عليه السلام مع فراعنة مصر حيث تقول: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^١، فعرف في هذه الآية النظام الفاعلي بربّ جميع الخلائق و النظام الغائي بالهداية إلى الهدف و النظام الداخلي بأن الله أعطى كل شيء نظام الوجود المتواجد فيه و النظام المناسب لوجود الإنسان هو ما صرّحت به الآيات التالية من سورة «ص» التي تقول: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^٢.

١. سورة طه، الآية ٥٠.

٢. سورة ص، الآية ٧١ و ٧٢.

أهم هدف للحكومة الإسلامية الخلافة الإلهية للإنسان و تشكيل المدينة الفاضلة

أهم هدف يقع على عاتق الحكومة الإسلامية و ينسجم مع النظم الإنسانية الثلاثة (النظام الفاعلي و الغائي و الداخلي) أمران: الأول هداية الناس للوصول إلى خلافة الله و تهيئة مقدمات السير و السلوك، و الثاني تأسيس مدينة فاضلة في البلد الإسلامي و تهيئة مبادئ الحضارة الأصيلة و تبيين الأصول الحاكمة على العلاقات الداخلية و الخارجية. و إن النصوص الدينية من آيات القرآن و متون الأحاديث و سيرة المعصومين و أئمة الحق و إن تضمنت معارف كثيرة و نكات مفيدة غزيرة بيد أن عصارتها تتمحور في بيان هذين الركنين المذكورين و كما أن نظام الإنسان الداخلي مؤلف من روح و جسم إلا أن الأصالة للروح و الجسم تابع لها، فإن السلامة و مراعاة أصول الطب المادي و المعنوي له هي من أجل تأمين سلامة الروح من شرّ العقائد السيئة و ضرر الأخلاق الذميمة و الحفاظ عليها من ضير السلوك القبيح.

تأسيس و تأمين المدينة الفاضلة بواسطة الإنسان الكامل

إن الهدف من تأسيس المدينة الفاضلة أيضاً يكمن في تربية أناس يسيرون في طريق الوصول إلى خلافة الله و إن الأصالة بين الركنين المذكورين للخلافة الإلهية، لأن البدن و إن كان سالماً يموت بعد مدة و يبلى بيد أن الروح تبقى حية خالدة. و المدينة الفاضلة كذلك فإنها و إن كانت تتمتع بحضارة سامية و لكنها تزول بعد فترة من الزمن، إلا أن خليفة الله و هو الإنسان الكامل مصون من آفة

الزوال والاضمحلال، ولذا فإن المدينة الفاضلة بمثابة الجسم و خليفة الله بمثابة الروح وكما أن الجسم وفق أصالة الروح تصنعه الروح السليمة، فإن المدينة الفاضلة أيضاً على أساس أصالة خليفة الله يؤسسها ويؤمّنها الإنسان الكامل.

بيان بعض صفات و شرائط المدينة الفاضلة

تتحلى المدينة الفاضلة بصفات و شرائط عديدة يعود بعضها إلى البيئة و بعضها الآخر إلى الساكنين فيها و إن كانت جميع الصفات تتحقق تحت ظلّ التنمية العلمية و التكامل العملي لسكّان أي بقعة من البقاع. و بالطبع فإن صفات المدينة الفاضلة و شرائطها كثيرة و لكن نشير إلى بعضها باختصار:

أ: التنمية الثقافية

إن الحاكم في الحكومة الإسلامية يتولى تأمين العلم و المعرفة للذين يعيشون في دائرة حكومته و بعض الآيات من قبيل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^١ تدلّ على ذلك. و إن مشكلة المجتمع في الجاهلية الحديثة أو القديمة هو الجهل بأسس الحضارة الأصيلة أو عدم العمل بها مع فرض العلم، فإن الجهالة و الضلالة سببان رئيسيان لانحطاط المجتمع الجاهلي و أهم هدف تتوخاه الحكومة الإسلامية في الجانب الثقافي بمعناه الشامل هو

رفع الجهالة و دفع الضلالة ل يتم استبدال الجهل بالعلم و الكتاب و الحكمة و استبدال الضلالة الأخلاقية و الانحراف العملي بتزكية الروح و تهذيبها و إن من المعالم الأساسية في الآية المذكورة و أشباهها التي تبين أهداف الحكماء المسلمين و برآمجهم هي مسألة التعليم للقضاء على الجهل و التزكية لرفع الضلالة و إن الآية المشار إليها تحت المجتمع الأمي الجاهل على اكتساب العلوم و المعارف ليخرجوا من كونهم مجتمعاً أمياً إلى مجتمع عالم وواع و تدعو المجتمع الضالّ الفاسد أيضاً إلى طهارة الروح للتحرر من الفساد و الوصول إلى التقوى و الصلاح. و بالطبع فإن الشعب الواعي المتقي سيكون قادراً على تأسيس المدينة الفاضلة و الحفاظ عليها.

ب: التنمية الاقتصادية

يتولى قادة المسلمين بيان الخطوط المالية العامة في النظام الإسلامي و إن القوانين الإلهية إضافة إلى دعوتها الناس للغرس و الصيانة و الحصاد في جميع الشؤون الاقتصادية و اعتبار حليته في جميع مراحل اكتساب المال و حفظه و توزيعه و مصرفه من الأركان الضرورية للاقتصاد السليم، قد تعرضت إلى مسائله الرئيسية و فيما يلي نشير إلى جملة منها:

ملكية الإنسان في قبال الآخرين و أمانته في قبال الله

إن الإسلام يؤيد أصل الملكية الخاصة و قد صادق عليها و لكن معناها هو أن المرء يملك حصيلة جهده بالنسبة لسائر الناس و لا يحق لأي أحد التصرف

في أمواله من دون إذنه و رضاه و لكن لا يملك أي أحد حصيلة أتعابه بالنسبة لله بل هو بمثابة الأمين على حفظها و النائب في التصرف فيها و قد دلت على ذلك آيات عديدة منها: ﴿... وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^١، ﴿... وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ...﴾^٢، و لذا لا يحق لأي أحد التصرف في الأموال التي اكتسبها من دون إذن الله و رضاه.

الحؤول دون تقسيم المجتمع إلى فقير و غني و ضرورة حفظ الأموال

يعتبر الإسلام أن مجموع الأموال لا بد أن تُصرف في إدارة شؤون الناس بأجمعهم؛ أي لا ينبغي أن تسبب أصل الملكية الخاصة حرمان المجتمع و تقسيم الأمة الإسلامية إلى فئتين ثرية مكتنزة للأموال و فقيرة مستضعفة. فإن الإسلام يعتبر المال بمثابة العمود الفقري للمجتمع الإنساني و سبباً لقيام الناس و إن الفرد أو الفئة الفاقدة للمال فقيرة لانكسار عمودها الفقري و فقدان القدرة على القيام؛ فالمراد بالفقير هو الفقرة المكسورة في الظهر الذي فقد قدرة القيام و الصمود و بما أن المال يعدّ بمثابة الدم في عروق المجتمع و عموده الفقري، لا ينبغي وضعه بين يدي السفيه و الجاهل لئلا يتصرف فيه عن إسراف أو ترف و يُضَيِّع عامل قيام الأمة، و قد جاء في القرآن المجيد حول المسائل الثلاث

١. سورة النور، الآية ٣٣.

٢. سورة الحديد، الآية ٧.

الأخيرة ما نصه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا...﴾^١، حيث نسب المال إلى عامة المجتمع و اعتبره سبباً لقيام الناس و نهى عن إتيانه السفهاء كالطفل أو البالغ الجاهل.

سيولة الأموال بين أفراد المجتمع

إن الإسلام يمنع احتكار الثروة و اكتناز الأموال و يعتبره كضغط الدم في العرق الذي يسبب فلعج سائر الأعضاء و لذا يوجب سيولته بين جميع الطبقات و هذه الآية ﴿... الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^٢ و غيرها دليل على منع جمود المال و شاهد على وجوب سيولته بين جميع أفراد المجتمع. ثم إن الإسلام يمنع من السيولة الناقصة للأموال و الانحناء الناقص لمسيره و يوجب سيولته الكاملة و طي الانحناء التام له فلا يجوز أن تدور ثروة البلد بين فئة خاصة من دون أن تصل إلى متناول الآخرين و هذه الآية ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ...﴾^٣ و ما شابهها خير شاهد على ذلك. و يمكن ترسيم تداول الثروة بين فئة خاصة و حرمان عامة المجتمع منها بصورتين و كلاهما مرفوضان؛ الأولى على أساس النظام الرأسمالي للغرب و الأخرى على أساس النظام الشيوعي و الفكر الماركسي البائد للشرق.

١. سورة النساء، الآية ٥.

٢. سورة التوبة، الآية ٣٤.

٣. سورة المحشر، الآية ٧.

ضرورة الابتعاد عن إفراط الرأسمالية و تفريط الماركسية

لا ينبغي بأي نحو من الأنحاء أن ينحصر المال بيد فئة خاصة حقيقية أو اعتبارية بل لابد من سيولته بين جميع طبقات المجتمع و هذا العطاء الإسلامي هو الأساس الأمثل للاقتصاد السالم حيث يتم من بين «فرث» الرأسمالية و «دم» الشيوعية و الماركسية استنباط اللب الخالص للاقتصاد الديني لئلا ننجو من الإفراط الأول و التفريط الثاني و نصل إلى النواة المركزية للعدل الإسلامي. و إن الإسلام يجذب السيولة التامة و الانحناء الكامل للأموال بين عامة الناس عبر الطريق الشرعي كالتجارة عن تراض؛ فإن الطريق الأصلي لانتقال المال و سيولته العامة ما عدا طريق الإرث و الهبة و ما شابه ذلك هو طريق التجارة عن تراض فلو كانت التجارة عن غير تراض أو كان التراضي من غير تجارة كالقمار و أمثاله فهو طريق غير شرعي و تدل على ذلك آيات عديدة منها: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ...﴾^١.

ج: التنمية الصناعية و المهنية

تتلخص عصارة سيرة قادة الحكومات الدينية في كيفية استخدام الصناعة

في عدة مباحث نوضحها أدناه:

١- ازدهار الصنعة و المهنة في حكومة النبي سليمان

كان سليمان عليه السلام الذي بسط فراش حكمته الإسلامية في دائرة واسعة من الأرض آنذاك و كاتب بعض ملوك عصره و دعاهم إلى الإسلام و نال مبتغاه في ذلك يتمتع بإمكانيات كثيرة، و قد حدثنا القرآن الكريم عن كيفية استخدامه للوسائل الصناعية في ذلك العصر حيث يقول: ﴿...وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾^١، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^٢.

فقد كان عمال النظام الإسلامي للنبي سليمان عليه السلام في صنعة العمارة يبنون العمارات المرتفعة و القصور المنيعة و في صنعة الرسم و الفنّ ينحتون تماثيل الملائكة و الأنبياء و الصلحاء بروعة و براعة ليقوموا بعد الحثّ على الفنّ و إرضاء غريزة طلبه بإراءة أسلوب الاستغلال الأمثل و يضعوا أمام أعين الناس الأمثلة الصالحة من خلال الرسم ليتعلموا الفنّ عبر مشاهدة النحت و يكتسبوا السعادة بشهود المنحوت و في الصنعة المعدنية أيضاً يصنعون الأواني الفردية و الجماعية و ذلك لاكتساب الفنّ و توفير وسائل الرفاه و الدعة و الوقوف على آداب التعايش تحت ظلّ تأمين مستلزمات الحياة الضرورية، فقاموا بصناعة الأواني الكبيرة و الأوعية العظيمة و القدور الراسية و في الوقت الذي كانوا يستخدمون نعمة الصنعة في محلها قد أمروا بشكر الله المنان الذي خلق

١. سورة سبأ، الآية ١٢.

٢. سورة سبأ، الآية ١٣.

نعمة المواد الأولية و المعدنية و أودع في أذهان البشر نعمة استخراجها و علمهم كذلك نعمة فنّ الصنعة و صناعة الوسائل المفيدة. و خير شاهد على تطوّر الصنعة المعمارية و الفنية و الصناعية في ذلك العصر هو قضية ملكة سبأ حين دخلت على سليمان عليه السلام و رأت قصره الزجاجي الطريف و حسبته ماءً و كشفت عن ساقبها: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ...﴾^١.

٢- النبي داود عليه السلام مأمور بتعليم الناس صناعة الدروع

إن داود والد سليمان الذي بدأ عبر قيادة ثورة و مقارعة الظلم في عصره بتمهيد السبيل لإقامة حكومة إسلامية و كان كذلك متنعماً بإمكانات مناسبة قد أمر بإخراج صناعة الدروع و مراعاة نظم حلقاتها بانسجام من نعمة الله الغيبية حيث ألان له الحديد الصلب و جعله بيده كالشمع: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَاللَّنَّاءُ لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا...﴾^٢، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^٣.

المسألة الملفتة للنظر هي أن صناعة الدروع من العلوم العملية و المهنية و يمكن نقلها للغير، و لذا فقد عبّر القرآن عن هذا الأمر بـ«التعليم»، إلا أن تليين

١. سورة النمل، الآية ٤٤.

٢. سورة سبأ، الآية ١٠ - ١١.

٣. سورة الأنبياء، الآية ٨٠.

الحديد كالشمع ليس من العلوم النظرية أو العملية بتاتاً لأنه متعلق بكرامة روح ولي الله و نزاهة نفس رسول الحق و لذا لم يعبر القرآن عن هذه المسألة بـ«التعليم» بل اكتفى بقوله «أَلْنَا» ليتضح أن تليين الحدود لداود لا يتيسر إلا عبر قدرة غيبية. علماً بأن تليين الحديد كان يتم بالنار منذ العصور الغابرة بيد أن هذا العمل يدخل في عداد العلوم العملية و هو من المسائل الطبيعية لا الخارقة للعادة.

٣- النبي نوح عليه السلام و صناعة الفلك بتعليم الله

إن شيخ الأنبياء نوح عليه السلام لم يكن من رواد طريق الرسالة في مسألة الوحي و النبوة فحسب، بل كان من الأوائل في استخدام علم الصنعة بشكل أمثل حيث تكفل الله بتعليمه صناعة الفلك و تولى توفيقه و تأييده عملياً و هذا القرآن الكريم يحدثنا عن ذلك قائلاً: ﴿... اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا...﴾^١ ، ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾^٢.

و خلاصة البحث أن ١. أصل مسألة الصناعة في الحكومة الإسلامية أمر ممدوح و مُحَرَّضٌ عليه، ٢. ضرورة استخدامها الصحيح قد تبين في السيرة العملية لقادة الدين، ٣. أفضل كيفية لاستخدام الصناعات المتطورة في كل عصر بشكل صحيح هو عبارة عن تأمين المتطلبات العلمية و العملية للناس في ذلك

١. سورة هود، الآية ٣٧.

٢. سورة المؤمنون، الآية ٢٧.

العصر، ٤. ما ذكر في القرآن هو من باب التمثيل لا التعيين، و معنى ذلك أن المسائل المذكورة في القرآن الكريم للاستغلال الأمثل إنما هي أمثلة وليست محصورة بها، ٥. صناعة الفلك بواسطة نوح عليه السلام مثال لصناعة وسائل النقل البحرية و الغواصات سواء كانت لنقل الركاب أو البضائع و الأمتعة و ما شابه ذلك و كذا وسائل النقل البرية و الجوية بشكل عام، و صناعة الدروع من قبل داود عليه السلام أيضاً نموذج لصناعة أي نوع من الوسائل الدفاعية كالمضادة للرصاص و ما شاكلها أو المضادة للسموم الكيماوية و نظائرها، و الصناعة المعمارية و اليدوية و الطرائف الفنية و صناعة الأواني المعدنية بواسطة سليمان عليه السلام كذلك مثال لصناعة جميع مستلزمات الحياة التي تسدّ الاحتياجات الفردية أو الجماعية و كذا المتطلبات الفنية و الأدبية.

٤- توفيق ذي القرنين في استغلال الإمكانيات و صناعة سدّ منيع

و من المناسب الآن أن نشير إلى ما نقل حول ذي القرنين. فإن القرآن لم يتحدث عن نبوته و لكنه أشار إلى أسلوبه المستحسن إلى جانب توافر جميع الوسائل الممكنة بين يديه في ذلك العصر نسبياً حيث استخدم جميع الإمكانيات اللازمة و قام بأعمال جديرة منها صناعة سدّ عظيم منيع لا يمكن فتحه لارتفاعه و تسطيحه و لا نقبه و ثقبه لإحكامه و إتقانه لأنه لم يُصنع من التراب و الآجر و الحجر و الإسمنت و ما شاكلها بل هو سدّ معدني عظيم صُنع من قطع الحديد و النحاس المذاب فقد جاء في القرآن المجيد: ﴿هَاتُونِي

زَبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَقَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ
ءَأْتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا^١، فبعد ترتيب قطعات الحديد كالحجر، أمر أن
ينفخوا فيه عبر كور الحدادة لتنصهر قطع الحديد بالنار ثم أمر أن يُفْرغ عليه
النحاس المذاب ليتبدل إلى سدّ معدني كامل.

من مجموع هذه البيانات يمكن استنباط خطة الحكومة الإسلامية في
الانتفاع من الصناعات فإن استخدام التكنولوجيا سائغة في جميع الشؤون
النافعة والمفيدة، ولكن لا يسوغ استخدامها بتاتاً في الشؤون المخربة و
الهجومية والمحرقة والقاتلة والمفسدة للأرض والهواء والنبات والحيوان و
الناس والمناطق المعمورة وغيرها و من هذا المنطلق يمكن دراسة الفرق بين
الكادر الصناعي في المدينة الفاضلة التي هي الهدف للحكومة الإسلامية و بين
الكادر الصناعي للدول المهاجمة والمخربة المدّعية للتحضّر، و معرفة الفرق بين
البيئة النظيفة والملوثة، و النافعة و المسمومة، و السالمة و المريضة.

د: التنمية الحقوقية

إن على القوانين الإسلامية و المسؤولين في النظام الديني تبين و تدوين
و تنفيذ التنمية الحقوقية المحلية و الدولية؛ لأن المجتمع الإنساني مهما ترقى في
الشؤون الاقتصادية المختلفة و تبحر في الأمور الصناعية و لكنه بقي جاهلاً
في القوانين الحقوقية الكاملة و المتقابلة لا يؤمن بها و لم يلتزم في العمل بها

فهو لا يفلح أبداً لأن نفس الأسلحة الاقتصادية والصناعية من دون الصلاح الحقوقي والأخلاقي تمهد الأرضية للفساد وخير شاهد على ذلك الحرب العالمية الأولى والثانية والهجمات الموضعية بعدها التي أدت بأصحاب القدرة أن يسلكوا مسلك التخريب على الدوام ويقع المحرومون في هاوية الانزواء والقتل والنهب.

معالم الأصول الحقوقية للحكومة الإسلامية

تعرض لنا الحكومة الإسلامية أصولاً في هذا المجال نستعرضها فيما يلي:

١. نفي الظلم والرضوخ له...؛ ﴿... لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^١.

٢. الوفاء بالعهد والمواثيق الدولية؛ ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ

مَسْئُولًا﴾^٢، وإن لزوم الوفاء بالعهد لا يختص بعهد الله بل مقتضى إطلاق الآية

المذكورة و سائرة الأدلة هو لزوم الوفاء به حتى في العهد مع خلق الله. وقد

عبّر القرآن عن المؤمنين العظام الذين نالوا مرحلة الأبرار: ﴿... وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ

إِذَا عَاهَدُوا...﴾^٣، وقال في ذمّ المشركين والكافرين: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ

ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾^٤.

١. سورة البقرة، الآية ٢٧٩.

٢. سورة الإسراء، الآية ٣٤.

٣. سورة البقرة، الآية ١٧٧.

٤. سورة الأنفال، الآية ٤٦.

المجتمع الملتزم متنعم بالأمن والحرية

إن اهتمام الحكومة الإسلامية بإحلال نظام الالتزام والقانون والوفاء بالعهد واحترام الميثاق ينصبّ في وصول المجتمع الملتزم إلى الأمن والحرية اللذان هما من مستلزمات الحضرة ومن أسس المدينة الفاضلة. فإن ترك المجتمع العمل بالميثاق، سيُسلب منه الأمن والحرية وسائر الشؤون المدنية وإن للقرآن الكريم بيان بليغ في هذا الشأن فإنه وعبر تحليل خلقة الإنسان والتساوي بين البشر في الأسس العامة للخلق وعدم تأثير الزمان واللغة والعنصر واللون والرسوم والآداب والعادات الداخلية والمحلية وما إلى ذلك في قوله: ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾^١، لا يميز لأي شخص أو فئة وبأي نحو من الأنحاء الاستعلاء والاستكبار و يراه العامل المهم للإخلال بالتعادل الاجتماعي و يوجب مقارنته بسبب أن النزعة الاستكبارية هي نزعة نكث العهد ونقض الميثاق بعينها ولذا يقول: ﴿وَإِنْ تَكُونُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^٢.

نكث العهد أهم دليل لمقاتلة المشركين

إن أهم دليل للقتال مع المستكبرين هو نقضهم للعهد؛ لأن الله لم يجعل دليل قتالهم كونهم «لا إيمان لهم» (بالكسر)، بل لكونهم «لا أيمان لهم» (بالفتح)، إذ

١. سورة الحجرات، الآية ١٣.

٢. سورة التوبة، الآية ١٢.

يمكن التعايش السلمي مع الكافر الذي لا إيمان له، و لكن لا يمكن ذلك بتاتاً مع المستكبر الذي لا أيمان له، إذ لا تيسر الحياة من دون عهود متقابلة لأن الطرف المقابل إذا كان لا يحترم عهده و يمينه و ميثاقه و ينقضه عند المقدرة فعند ذاك ستعذر معه الحياة المشتركة.

و إن ما مُني به المجتمع البشري في الجاهلية الجديدة كما في الجاهلية القديمة هو نقض العهد من قبل أصحاب القدرة و السلطة في العصر الحاضر و إن بيان قصور منظمة الأمم المتحدة و سائر المحافل الدولية و المدعين لحقوق الإنسان مع الهجمات الفاشمة في مختلف بقاع العالم لا ينوء به المقام.

تأثير أداء الأمانة في الأمن و الحرية

٣- أداء الأمانة و الابتعاد عن الخيانة في الأموال و الحقوق؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾^١، فإن أمر الله هو لزوم مراعاة الأمانة و أدائها إلى صاحبها و قد قال في مدح المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^٢، و وصف الكثير من الأنبياء للناس بالأمانة و تشهد على ذلك آيات سورة «الشعراء».

و إن تأثير الاحترام المتبادل لأمانات الآخرين مشهود بوضوح في إقرار الأمن و الحرية و تأسيس المدينة الفاضلة. و قد أثبت القرآن المجيد عبر تحليل

١. سورة النساء، الآية ٥٨.

٢. سورة المؤمنون، الآية ٨.

تركيبة الإنسان بأنه لا يحق لأي شخص أو فئة الخيانة في الأمانة و أذان التمييز العنصري للصهاينة و أمثالهم الذين يُفضّلون أنفسهم على الغير و لا يُلزمون أنفسهم في مراعاة أمانة الآخرين قائلاً: ﴿... وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ...﴾^١؛ أي أن بعض اليهود إن أعطيته ديناراً أمانة لا يؤده إليك إلا بالقوة و الرقابة و دليل خيانتهم في الأمانة هو استعلاؤهم على غير أهل التوراة و قولهم إن لم نردّ إليهم أمانتهم لا يوجد في ذلك حرج أو قدح أو ذمّ علينا. و بالطبع فإن من يخون الأمانة لا يرتدع عن النهب الابتدائي و من يخون بدينار واحد فهو قطعاً يرى الخيانة في الثروات الواسعة و الوطنية أمر مباح.

دعاء النبي إبراهيم لخلافة الإنسان لله و تأسيس المدينة الفاضلة

إن سلسلة الأنبياء الإبراهيميين عليهم السلام الذين قادوا الحكومات الإسلامية لسنوات متتالية و قد قال عنهم القرآن: ﴿... أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾^٢، قد ورثوا الخطوط العامة للإمامة و القيادة و الأسس المهمة للسياسة و الحكومة من مؤسس الكعبة و معمار المطاف و مهندس القبلة العالمية و إن النبي إبراهيم عليه السلام لم يلتزم بها في سيرته فحسب، بل كان يطرحها بالكامل في مناجياته الخاصة و يطلب استجابتها من الله.

١. سورة آل عمران، الآية ٧٥.

٢. سورة المائدة، الآية ٢٠.

وإن عصارة أدعيته تصبّ في الهدفين المهمين للحكومة الإسلامية وهما
خلافة الإنسان الصالح السالك طريق الكمال لله و تأسيس المدينة الفاضلة و ذلك
بالنظر إلى أن تأسيس المدينة الفاضلة لا يتأقّى إلا في ضوء تكامل الذين
وصلوا إلى المقام المنيع للخلافة الإلهية.

وإن ما يتعلق بالإعمار و الحرية و الأمن و الاقتصاد السالم و نظائرها، هو
من صفات و شروط المدينة الفاضلة التي وردت في طائفة من الآيات منها:
﴿... رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ...﴾^١ ، و ما يتعلق
بكمالات الإنسان التي تمهدّ الأرضية لخلافة الله مذكورة في العديد من الآيات
منها: ﴿... وَاجْتَنِبْني وَبنيَّ أَن تَعْبُدَ الأصْنَامَ﴾^٢ ، ﴿رَبِّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾^٣ ، و إن الجذور الرئيسية للأدعية السياسية المسجّلة في الجوامع
الروائية، هي أدعية قادة الدين المذكورة في الصحف السماوية و لاسيما في
القرآن الكريم.

١. سورة البقرة، الآية ١٢٦.

٢. سورة إبراهيم، الآية ٣٥.

٣. سورة البقرة، الآية ١٢٩.

الفصل الثاني

صبغة العلوم الإنسانية و الدينية في البيئة

أ: صبغة العلوم الإنسانية في البيئة

إن فنّ البيئة الشريف و إن كان من ناحية يرتبط بالعلوم الطبيعية و التجريبية بيد أن في مهارته و كيفية حياة البشر و تأمين الصحة و النشاط و ... صبغة العلوم الإنسانية و إن جميع فروع العلوم الإنسانية قبل كل شيء بحاجة إلى علم الإنسان، و لذا لابد من دراسة آراء المفكرين بشأن الإنسان ثم تعريف الإنسان من منظور القرآن الكريم.

الإنسان في رؤية المفكرين الغرب

واحدة من الموضوعات التي تطارحت عليها آراء المفكرين الغرب و أفكارهم كثيراً و تمحورت أبحاثهم الفلسفية عليها تقريباً هي علم الإنسان. و لعل ظهور بعض المدارس الغربية له بعض الصلة بهذا الموضوع. و لدراسة علم الإنسان في الغرب و تحليله لابد من النظر في ثلاثة مراحل: مرحلة ما قبل الحداثة (السنة)؛ مرحلة الحداثة (التجدد) و مرحلة ما فوق الحداثة. فإن بعض المفكرين الغرب الجدد يدعون أن الإنسان قبل المرحلة الجديدة كان فاقداً لأي شأن و منزلة و قد نال هذه المرتبة في مرحلة التجدد و ستصل هذه الشأنية إلى كماها في مرحلة ما فوق الحداثة.

الإنسان في مرحلة ما قبل الحداثة (السنة)

كان المفكرون الغربيون في ما قبل المرحلة الجديدة يُعرفون الإنسان بالنظر إلى طبيعته و يعتقدون أن له طبيعة لا تتغير، فإن الأرض هي مركز المنظومة الكونية و الإنسان أيضاً لشرفه و منزلته في وسط هذا العالم و قلبه. و إن لعالم الطبيعة نظام خاص و الهدف من خلق الإنسان هو انسجامه مع نظام الطبيعة لأن نظام الوجود في غاية الإحكام و لا يمكن لإرادة الإنسان أن تسير على خلافه بل لابد أن تسايره في العمل.

فإن الإنسان من منظار التقليديين ليس بشيء متميز عن نظام الوجود بل إن هذا النظام هو الذي وهبه هذه المنزلة و وضعه في مرتبة رفيعة. فهم ينظرون إلى الإنسان كالنص المشكل الذي لابد أن تقوم الفلسفة ببيان معناه^١.

الإنسان في مرحلة الحداثة (التجدد)

وُضعت لماهية الإنسان تعاريف في العصر الجديد نشير إلى أربعة منها^٢.
 تعريف على أساس علم البيئة: الإنسان ضرب من الحيوان فلا هو من النباتات و لا من الآلهة؛ لأن النباتات أدنى منه و الآلهة أعلى منه.
 تعريف على أساس علم النفس: الإنسان فاعل منفرد واع.
 تعريف على أساس علم الاجتماع: الإنسان عضو واحد من نظام اجتماعي أوسع.

١. رساله‌ای در باب انسان (رسالة في باب الإنسان)، ص ٧٩.

٢. شور جاودانگی (نشوة المخلود)، ص ٢٨.

التعريف الديني: الإنسان قادر على أن يجمع كل هذه الأمور نجد من بين هذه التعاريف أن مراد البعض في تصريحاتهم من الإنسان العصري هو المعنى المبتني على أساس علم البيئة^١.

الإنسان في مرحلة ما فوق الحداثة

لقد بذل المتجددون في وصف الإنسان قصارى جهدهم ليرفعوا مكانته في الطبيعة؛ فإنهم وإن لم يُوقِّفوا في تعريفه الوجودي ولكنهم حاولوا في تعريف الإنسان أن يصفوه بما يفوق مستواه. وقد سعى المفكرون الغربيون في النصف الثاني من القرن الأخير أي في حدود عقد ١٩٦٠ أن يكملوا آراء المفكرين الذين سبقوهم. و من هنا فإن ماهية الإنسان في هذه المرحلة التي سُميت بمرحلة ما فوق الحداثة قد اتخذت طابعاً فردياً ليس إلا حيث تتبلور شخصية الإنسان عبر مواجهته الطبيعة والعالم المادي والمتحدين معه في نوع الإنسانية وهو من المنظار الأخلاقي يمتلك خصيصة الطمع والحرص ويواجه الآخرين بهذه الخصائص.

فإن الإنسان موجود حريص، أناني، لا يتقبل المسؤولية، وهو حيوان سياسي يوسّع دائرة سلطانه، نفعي، لدود، منتهك للحرمات ولا تحده أية حرمة في مواجهته للآخرين. حيث حاولوا عبر هذه الصفات في تعريف الإنسان أن يهبوا له مكانة أسمى إلا أن بيان هذه الصفات على حدّ اعتراف بعض المنظرين

١. تاريخ اندیشه و نظریه های انسان شناسی (تاریخ الفكر و مباحث علم الإنسان)، ص ١٩.

الغربيين قد آلت بمحورية الإنسان المعاصر إلى موت الإنسان في مرحلة ما فوق الحدائة.

تعريف الإنسان في الثقافة القرآنية

لا يُفسّر الإنسان الكريم تفسيراً صحيحاً إلا القرآن الكريم وكما أن المنهج التفسيري الأفضل للقرآن فضلاً عن الاستعانة بالبرهان العقلي والاستمداد بالحديث الصحيح هو تفسير القرآن بالقرآن: «سل معنى القرآن من القرآن ولا غير»،^١ فإن الأسلوب الأمثل لمعرفة الإنسان هو تفسير الإنسان بالإنسان؛ أي لا بد من إرجاع متشابهات الحسّ والخيال والوهم في دائرة العلم إلى محكمات العقل النظري وإحالة متشابهات الشهوة والغضب في دائرة العمل إلى محكمات العقل العملي وبالتالي جعل الفطرة أو الفطنة والفكرة الإلهية المستقرة هي المنشأ للعلم والعمل لكي تبقى الصبغة الملوكوتية للأسس البيئية سالمة. ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «إن أفواهم طرق القرآن فطيّبوها بالسواك»^٢، وقال أيضاً: «أطيب الطيب المسك»^٣.

إن الثقافة القرآنية لم تقتصر على الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية المصطلحة والمعبر عنها في تحديد الإنسان بـ«الحيوان الناطق» بل لا بد من

١. مثنوي (الأرجوزة)، الدفتر الخامس.

٢. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٨٩٦.

٣. بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ١٤٣.

فصل أساسي آخر لكي يُعدّ المرء في الثقافة القرآنية بأنه «إنسان» فإن الحدّ النهائي للإنسان و فصله الأخير في القرآن الكريم هو «الحيّ المتألّه».

إن «جنس» الإنسان وفق هذا التعريف هو «الحيّ» الجامع للحياة النباتية و الحيوانية و الإنسانية المصطلحة التي لها نطق و يمكن القول أنها تعادل «الحيوان الناطق» و فصل هذا التعريف و هو الفصل الأخير لحدّ الإنسان هو «التألّه» و معناه «التوجه نحو الله المسبوق بمعرفة الله و الذوبان في ألوهيته»، فالقرآن الكريم لا يعتبر النطق هو الفصل الأخير للإنسان. فإن النطق لازم له و لكنه ليس بكافٍ، لأن من كان من أهل الإبداع و الصناعة و السياسة و لكنه يوظفها بأجمعها في خدمة هوى نفسه، فهو في نظر القرآن من «الأنعام» و «البهيمة» و «الشيطان».

و لذا فإن المصطلح عند عامة الناس عن الإنسان بأنه (حيوان ناطق) هو في رتبة جنسه و تأله هو فصله الأخير.

إن الجنس في هذا التعريف يبيّن الذاتيات المشتركة بين الإنسان القرآني و الإنسان المصطلح العرفي و فصله يعرض الذاتيات المميزة للإنسان القرآني، إذن فهذا التعريف مبيّن لذاتيات الإنسان و جامع للأفراد و مانع للأغيار أيضاً.

و بما أن التأله و الذوبان في الإيمان بالله مودع في مكنون الإنسان و سريرته فإن حقيقته أيضاً واحدة ليس إلا، و إن «الحياة» و «التألّه» قد اقترنا و امتزجا مجدّلاً لا ترى لحقيقة الحياة الإنسانية سوى التأله و الولع بجمال الله و جلاله و كل ما ينطلي عليه غبار الغيرية (الكفر في التوحيد و النبوة و المعاد و

(... يتنافى و غيره التوجه نحو الله؛ لأن الاعتقاد الخالص و الإيمان الأصيل لا يحتملان أي ضرب من الشرك و التعددية بحيث أن أدنى حديث عن غير الله و أقل ميل إلى ما سواه يسوق الروح التوحيدية النظرة إلى الذبول و النفس الموحدّة الشبيطة إلى الحمل.

لأن حياة الإنسان الحقيقية فانية في تأله، فمن يرفض أمر الله في نبوة نبيّ يتضرّر تأله و بالتالي تفسد حياته أيضاً. و إن ما يتعلق بأصل التأله نظير ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ إِلَهًا لِّأَخِيذُ وَإِلِيَّاءِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١، أو ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^٢، يرد في تضرّر أصل الحياة أيضاً.

و يُستفاد من القرآن الكريم أن الله الخالق للإنسان قد خلقه «حيّاً متأهلاً» على الفطرة. و الإنسان الحقيقي في الرؤية القرآنية هو الذي لا يقف عند حدود الحياة الحيوانية و الطبيعية بل و لا يحدّد إنسانيته بالنطق أو التفكير و لا بدّ أن يوصل الحياة الإلهية و الخلود و التأله و التوجه نحو الله في فطرته إلى الفعلية و أن يرفع خطاه دوماً في مسير التأله اللامتناهي و يطوي مراحل التكامل الإنساني حتى الوصول إلى مقام الخلافة و مظهرية أسماء الله الحسنى و التخلّق بالأخلاق الإلهية.

إن جميع الناس في الرؤية الفطرية و الباطنية متصفون بصفة «الحيّ المتأله»؛ أي أن الحياة الإلهية و التأله الملكوتي مستقران في فطرة جميع البشر،

١. سورة الأنعام، الآية ١٤.

٢. سورة هود، الآية ١٢٣.

و لكن نظراً إلى مسير ازدهار الفطرة و تكاملها نجد الكثير قد دفنوا حياة فطرتهم المتأهتة تحت التراب المظلم للجهل و العصيان و وأدوا تألمهم الفطري في سجن عبودية النفس المشؤوم و الانقياد لأميال الأغيار و الطواغيت و الأصنام و الشياطين. فإن القرآن لا يصف هؤلاء بـ«الحيي» بل يعتبرهم خارجين عن دائرة الحياة: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^١، فيظهر من التقابل بين «الحيي» و «الكافر» أن الحيي غير الكافر و الكافر غير الحيي و أنه ليس له حياة حقيقية و لذا فهو ميت.

و بالطبع فإن الحياة المفقودة في الكافر هي الحياة الفانية في التأله، و إلا فالحياة الجامعة التي هي جنس الإنسان موجودة فيه و لا يخرج منها إلا بقيد التأله. إن الأقسام المذكورة للحياة طويلة و ليست عرضية و لذا فإن مثل هذا الإنسان يعتبر موجوداً و أجداً للحياة الحيوانية و لكنه ميت لكونه فاقداً للحياة الإنسانية و كذلك الحال فيمن له حياة إنسانية باصطلاح الناس فإنه ميت أيضاً لكونه فاقداً للحياة الإنسانية باصطلاح القرآن الحكيم، إذن فالاصطلاح التحليلي للقرآن لا يمنع إطلاق عنوان الإنسان و البشر و ... على عامة الناس.

أقسام الناس و المحكم و المتشابه فيهم

إن الناس في التقسيم الأول إما أموات أم أحياء: فالأموات هم الكفار الذين دفنوا فطرتهم الإنسانية تحت أطباق متراكمة و قاتمة من الجهل و

الخرافات. فمنهم من هو جسد جامد هامد ساكن عديم المنفعة خاضع للذلّ و الهوان و بغيته حفظ جسده الميت و هو الكافر الذمي و منهم من هو جسد متعفن قد جرّ العالم إلى التعفنّ و هو الكافر الحربي الذي بنا حياته على محاربة الإسلام.

و الأحياء هم الذين نجوا من ظلمات الكفر القاتلة. فمنهم من هو في سبات و غفلة عن دينه و إيمانه و إنسانيته و منهم من هو مستيقظ واع؛ و الأخير أيضاً إما مريض و إما سالم و المريض الروحي تارة مرضه سطحي و أخرى مزمن. كما أن الإنسان الحي المستيقظ السالم أيضاً إما ناقص و إما كامل و بين الكُملّ من الناس أيضاً هناك من هو أكمل و بينهم من هو في ذروة الكمال.

فإن جميع الأقسام المذكورة للإنسان متشابهة إلا القسمين الأخيرين و هما الإنسان الكامل و الأكمل الذين يمثلون محكمات المجتمع الإنساني فالنبي و الولي «محكم بالأصالة» و العالم العامل «محكم بالمحكم» و الأول أكمل و الثاني كامل.

و على الإنسان الكامل أن يعرض نفسه دوماً على الأكمل و يزن نفسه بالميزان الأصيل للمحكمات ليتأقّى له أن يكون مرجعاً و قائداً للمتشابهات. و على الإنسان المتشابه أيضاً أن يرجع إلى المحكمات و يتبعهم و يطوي معهم سبيل الإنسانية خطوة تلو أخرى.

التلاؤم مع الطبيعة في ضوء انسجام قوى الإنسان الباطنية

إن من جعل ميادين فكره تسير بإمامة العقل النظري و ميادين عمله و إرادته بإمامة العقل العملي بحيث أن جميع مجاربه المدركة و المحركة تقتدي بالمحكمات الفطرية و الثمرات المحكمة للقوى الفطرية تأتمّ بأحكام المحكمات، عندها سيتحقق الانسجام الحقيقي بين القوى الباطنية و هنا يتضح أن الإنسان الذي يقيم لوحده الصلاة لرب العالمين، كيف يقول بلسان الجمع: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^١.

و معنى هذه الآية أن الحسّ و الخيال و الوهم يقولون بإمامة العقل النظري: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ و الشهوة و الغضب و حبّ الظهور و جميع الميول و الرغبات الطبيعية أيضاً يقرؤون بإمامة العقل العملي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ و كلّ هذه الأئمة الباطنية أيضاً يترغنون تحت إمامة الروح الإنسانية الرفيعة بقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، و هنا يتضح معنى الجمع في قوله «نعبد و نستعين».

و لو اتّحدت القوى الباطنية لوجود الإنسان على أثر تفسير الإنسان بالإنسان^٢، سيتلاءم و يتواءم مع سائر المخلوقات أيضاً و إن مثل هذا الإنسان يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كما يقول الجميع: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^٣، و عندها سيتعامل مع البيئة التي يعيش فيها معاملة الصفاء و الوفاء.

١. سورة الفاتحة، الآية ٥.

٢. لاكتساب المزيد من الشرح و التوضيح راجع كتاب تفسير الإنسان بالإنسان.

٣. سورة فصلت، الآية ١١.

فقد قال رسول الله ﷺ حول جبل أحد: «هذا أحد جبل يحبنا ونحبه»^١، و
جبل أحد مثال ليس إلا ولا يختص هذا الكلام به. ومن المسلم به أن معنى
البيئة والحياة البيئية يتبلور في ضوء هذه المعرفة وإن مثل هذا الإنسان لا
يُلَوِّث البحار ولا يُفسد الصحاري والجبال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^٢.

وإن المراد بقول النبي ﷺ: «هذا أحد جبل يحبنا ونحبه»^٣، هو أن نستفيد
من منافعه بشكل صحيح بأن نأخذ منه التراب ونحت الصخور ويضع بين
أيدينا المناجم إن كانت مودعة فيه. فأي جبل يمكس عن بذل المناجم؟ وكذلك
الحال في الأشجار: رؤوس ثمراتها باتجاه المزارع وأذناها معلقة بالشجرة و
معنى ذلك أن الشجر أيضاً يهب ثماره للبشر ولا يخفي شيئاً منها. وهذا هو حال
البحار والصحاري أيضاً.

فلو كان هذا التلاحم والتناغم حاصل لما ظهر الفساد لا في البحار ولا
في القفار ولما صُرف العلم النووي لصناعة القنبلة الذرية بتاتاً ولما وصل العالم
الثالث إلى ما هو عليه الآن من أن يعيش الكثير من الناس تحت خط الفقر، و
لما ظهر النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي الفاسد. وإن كل هذا التنافر و
التنافر يعود سببه إلى أتباع الهوى الذين كبلوا العقل ولم يفسروا الإنسان تفسيراً
صحيحاً: «وكم من عقل أسير تحت هوى أمير»^٤.

١. بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٤٨.

٢. سورة الروم، الآية ٤١.

٣. راجع: بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٤٨.

٤. نهج البلاغة، الحكمة ٢١١.

فمن فسّر نفسه بشكل صحيح و عرفها سيكون كلامه بوصفه «خليفة الله» مع المجتمع عن لطف و رحمة و يعتبر الجبل أيضاً من أحبائه و لا يُلَوِّث البيئة بتاتاً و لا يكون مصداقاً لهذه الآية ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾^١، و لا يكون سلوكه مصداقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تُبصر إلا فقيراً يكابد فقراً و غنياً بدل نعمة الله كفراً...»^٢.

فإن أي فرد أو مجتمع إنساني يتوصّل لمعرفة نفسه عبر تفسير الإنسان بالإنسان، سيحصل على مصالح نفسه و منافعها في حدود متوسطة و يجد عمره في يده تقدماً؛ و عندها سيضع كل جهده كنموّ الشجرة و بصورة جذر راسخ تحت قدميه و إلا فهو كالسيارة المستهلكة تترك خلفها كل سعيها و جهدها و لا يبقى في النهاية رأس مال لديها؛ أي أن من ترك خلفه الحركة بسبب اللهو و اللغو، فقد فقد كل شيء و أضاع عمره و قضاه باللعب و اللهو و هو اليوم نادماً، و أما من وضع حركته تحت قدميه بسبب اتباع العقل و النقل اللذان يسيران بهداية الوحي، فقد حصل على ثمرة عمره تقدماً.

بملاحظة هذا المثال، يتضح هذا الاختلاف جيداً؛ فإن السيارة و الشجرة قد يبقى كلاهما قائمان على الحركة لمدة عشرين سنة مثلاً بيد أن الشجرة تضع كل حركاتها تحت قدميها لتتجذّر و تنمو على أساسها و تقوم عليها و تورق و تثمر

١. سورة النمل، الآية ٣٤.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٩.

على الدوام. و لا تذهب حصىلة حركة الشجرة التي طالت عشرين سنة أدرج الرياح. و أما السيارة فستبدل بعد عشرين سنة من الحركة إلى قطعة معدنية مستهلكة حيث خلّفت جميع حركتها و لم تتقدم نحو الرقيّ و التكامل. و هي معدن متحرك ساروا به و لم ينهض للسير بنفسه و لذا فهو لا يملك من نفسه شيئاً و ليس هو إلا معدن خامل بارد.

و لو بدأ الإنسان يخطو كالشجرة فستصبح خطاه في النهار و الليل ركائزه و يكون منطقته إنجاز عمل يستطيع القيام عليه و تتجذر و ترسخ حصىلته لينمو و يورق و يثمر و يأخذ حصىلة عمره نقداً.

فمن الناس من إذا سأله في الثمانين من عمره ماذا تملك، يجيبك جواباً تقديماً و يقول بأنه ترك آثاراً علمية كثيرة أو أنه ربى أولاداً صالحين أو كانت له أعمال اقتصادية مفيدة و يقف أمام النبي ﷺ مرفوع الرأس. لم يأكل الربا و لم يدفع الربا و لم يغضب في غير أوانه و لم يكسر قلباً و تراه يخدم في المراكز العلمية و الثقافية و هذه هي ثماره، و منهم من هو صفر الكلام و كالمعدن المستهلك لم يبق له من ثماره إلا تقوُّس الظهر و انحناءه.

و على هذا الأساس فإن حركة العمر و استغلال الثروات الإلهية مرهونة بمعرفة النفس و تزكيتها من خلال إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، و إلا فستبدل بعد ثمانين سنة إلى معدن مستهلك لا وجه له للبقاء في الدنيا و لا للذهاب إلى البرزخ. فعلى الإنسان أن يموت بوجه أبيض و بضاعة تقديية و إلا فستضربه الملائكة الموكلة بقبض روحه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ^١، فإن الملائكة يضربون وجه المحتضر و يزعم من حوله أنه نائم في فراشه و يبرد بصورة طبيعية، حاله حال الذي يرى مناماً جيداً أو سيئاً فالأول غارق في لذاته و الثاني منهمك في خوف عميق و أما المستيقظ إلى جانبه فهو جاهل بما يجري في باطنه. و هذا هو حال المحتضر المسكين فإن من حوله يزعمون أن حاله في خير و لا يعلمون أن ملائكة الله يضربون وجهه بقوة و هم أو غيرهم يضربون دبره بشدة. و كل ذلك يحدث في الخارج لا في النوم.

رسالة الأنبياء في تفسير و تغيير الإنسان و العالم

إن أهم ما جاء به الأنبياء و على رأسهم النبي الأكرم ﷺ هو تفسير و تغيير الإنسان و العالم.

و إن تفسير العالم و تغييره متفرع من تفسير الإنسان و تغييره. فلو تم تفسير الإنسان بصورة صحيحة و استقر في مستقره المحوري لتغير العالم، لأن عالم الخلق قد خلق من أجل الإنسان و الإنسان من أجل لقاء الله المنان. و لم يُخلق الإنسان من أجل العالم أو أن يكون أحدهما عدلاً للآخر.

فإن الهدف من خلق العالم هو تربية الإنسان و وصوله إلى لقاء الله، لأن الإنسان هو الوحيد الذي يتسنى له نيل هذا المقام الرفيع: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى^٢﴾، و هو الوحيد الذي يصدر منه الكلام الأول و

١. سورة محمد، الآية ٢٧.

٢. سورة النجم، الآية ٨-٩.

الآخر، أما الموجود الذي يزول ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^١ و يدهم ﴿إِذَا التُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾^٢ لا يمكن أن يصدر منه الكلام الأول و الآخر.

إن الإنسان في نظام الخلقة أصل و العالم تبع له و كلاهما لاستفاضتهما يتبعان الفيض و الفوز الإلهي الخاص و ذلك للوصول إلى لقاء الحق. فإن سلك العالم سبيل الإنسانية سيصل من خلاله إلى لقاء الحق. و إن الصراط المستقيم هو صراط الإنسان الأصيل و لا يتأق لأي مخلوق الوصول إلى هدفه المنشود إلا عبر هذا الطريق. و إن هدف الأنبياء هو تفسير الإنسان بالشكل الصحيح و تغييره و بالتالي تغيير العالم. و إن ما جاء به الأنبياء و لاسيما الرسول الأكرم ﷺ لم يقتصر على بناء المجتمع الأمثل و تأسيس الحكومة على أساس القسط و العدل و إن كان بإمكان مثل هذا المجتمع أن يحقق الهدف الأوسط للأنبياء حيث بينه القرآن الكريم في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْافِعُ لِلنَّاسِ﴾^٣، بل هدفهم النهائي هو إخراج المجتمع من الظلمات إلى النور كما جاء في القرآن الكريم: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^٤ و المراد بذلك هو النور الذي يُمكن الإنسان من مشاهدة الحقائق من دون وجود نور مادي آخر و

١. سورة التكويد، الآية ١.

٢. سورة التكويد، الآية ٢.

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥.

٤. سورة إبراهيم، الآية ١.

رؤية ما لا يمكن رؤيته لا بالعين المفتوحة فحسب بل بالعين المطبقة أيضاً. كالحارثة بن مالك الذي يقول: «كأنني أنظر إلى عرش ربي»^١. وإن هدف الأنبياء الأخير هو أن يتنور الإنسان فيطلع على الماضي والمستقبل القريب والبعيد. وقد دلنا القرآن على هذا الطريق وحثنا على سلوكه. كما أن البعض قد نالوا هذا المقام وبإمكان الآخرين أيضاً أن يدخلوا بادئ الأمر في عداد أهل النظر ومن بعدها في جمع أهل البصر ويشهدوا حقائق العالم.

وفي هذه الحالة يرى الإنسان السم المهلك للذنوب وهيب النار فيها و احتراق أهل المعاصي:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْبَقِيَّةِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْبَقِيَّةِ﴾^٢.

فليس المراد رؤية الجحيم وأهلها بعد الموت لأن ذلك يتحقق للجميع حتى الكفار: ﴿رَبَّنَا ابْصُرْنَا وَسَمِعْنَا﴾^٣. إذن فههدف الأنبياء هو إخراج المجتمع من الظلمات إلى النور لتتوافر للإنسان إمكانية مشاهدة حقائق العالم.

ولو تحقق هذا الهدف لانقلب العالم القاتم وسلمت و طهرت البيئة واستنار الإنسان المظلم، ولُفسر العالم بالطريقة الصحيحة و تغير العالم والبيئة البشرية. و إن النور حقيقة؛ أي أنه نير بنفسه مُنير لغيره، و من هنا فإن إطلاق النور على هذه الحقيقة ليس من باب المجاز والتشبيه والكناية والاستعارة ونظائرها. و

١. الكافي، ج ٢، ص ٥٤.

٢. سورة التكاثر، الآية ٥-٧.

٣. سورة السجدة، الآية ١٢.

لذا لا يمكن أن يقال بأن العلم لأنه بمثابة النور فهو تشبيه أو أن يقال بأن الناس بما أنهم خرجوا من ظلمة الجهل إلى نور العلم فإن إطلاق النور على العلم مجاز، بل قد استخدم النور في معناه الحقيقي.

فلو كان النور مادياً لأنار الأشياء المادية فقط و لو كان معنوياً لأضاء المسائل المعنوية لا غير.

و كما أن لجسم الإنسان أعضاء مادية كالعين و الأذن و الشامة و الذائقة و اللامسة و له بكل واحد منها إدراك خاص، فإن روح الإنسان أيضاً تتمتع بهذه الحواس الخمس. و قد جاء الأنبياء لأن يلتفت الإنسان إلى هذه الحواس الباطنية، و كما أن الحواس الظاهرية بحاجة إلى علاج حين مرضها كذلك الحواس الباطنية فهي تحتاج إلى علاج إن عجزت عن إدراك المعارف.

و قد أشار القرآن الكريم إلى مرض القلب لدى البعض حيث قال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^١، و هو الذي يتصدى بعد ذلك لهداية هذه القلوب المريضة عبر علاجها حتى الوصول إلى مقام ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^٢ و ﴿إِلَّا مَنْ أَمَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^٣.

إن البشرية التي تطلب أن يسير العالم باتجاه صحيح مع وجود الفصول الأربعة المثمرة الزاخرة بالأرزاق المادية و المعنوية: ﴿قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةٍ

١. سورة البقرة، الآية ١٠.

٢. سورة الصافات، الآية ٨٤.

٣. سورة الشعراء، الآية ٨٩.

أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ^١، لا بد أن تعرف أن هناك ارتباط وثيق بين سلوكها و بين نظام الخلق. فلو سلك الإنسان الطريق الصحيح لسار نظام العالم في منفعته و تغيّر لصالحه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^٢، و في هذه الحالة ستتألف الغيوم و تتحرك و تحمل و ترسل أمطارها في الوقت و المكان المناسب و تتوافر البركات الإلهية بين يدي الناس بكثرة و غزارة. و لو استبدلوا التقوى بالطغيان لأرسلت الغيوم أمطارها في البحار و القفار السبخة أو في غير أوان نزول المطر و عندها ستجلب الضرر و الخسران بدل الصلاح و المنفعة، لأن قيادة الغيوم كسائر مخلوقات العالم بيد الله سبحانه الذي يقول: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾^٣ و يقول أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾^٤ و يقول كذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا جِبَالًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾^٥.

١. سورة فصلت، الآية ١٠.

٢. سورة الأعراف، الآية ٩٦.

٣. سورة الحجر، الآية ٢١.

٤. سورة السجدة، الآية ٢٧.

٥. سورة النور، الآية ٤٣.

ثم يبيّن البُعد السلبي للقضية و يقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^١.

تستفاد من هذه البيانات نقطتين: ١- تفسير و تغيير العالم و الإنسان. ٢- أصالة تفسير الإنسان و تغييره و تبعية تفسير العالم و تغييره، فإن الهدف من خلق السماوات و الأرض هو تأمين حياة الإنسان المعتدلة و لكن الهدف من خلق الإنسان هو خروجه من الظلمات إلى النور. فمن أراد أن يُفسّر العالم و يُغيّره من بعد ذلك و يبني بيئَة مناسبة للبشر، عليه أن يُفسّر الإنسان على نحو صحيح و يُغيّره.

إن الإنسان المادي يزعم أنه خُلِق من التراب و يعود إلى التراب: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا...﴾^٢ و يقول الإنسان الموحد المتوسط بأننا خُلِقنا من التراب و سيؤول مصيرنا إلى لقاء الله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^٣، أما الإنسان العارف فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^٤، و هو بالإضافة إلى خلقه البشر الترابية لم يُعرض عن جانب نفخ الروح الملكوتية فيه و لم ينس عبارة ﴿تَفَحَّطُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^٥ و إن مثل هذا الإنسان إذا وصل إلى المقصد يراه مكاناً معروفاً لديه. و يقول بأنني كنت قديماً

١. سورة الأنفال، الآية ٥٣.

٢. سورة المؤمنون، الآية ٣٧.

٣. سورة طه، الآية ٥٥.

٤. سورة البقرة، الآية ١٥٦.

٥. سورة الحجر، الآية ٢٩.

في هذا المنزل و عاهدت مُضَيِّفِي حِينَ سَأَلَنِي: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فقلت ﴿بَلَى﴾^١. و عند ذلك فمن فتح أذن قلبه و تتلمذ على يد الأنبياء كالنبي داود عليه السلام سىرى المخلوقات من النباتات و الحيوانات و الجمادات إلى الملائكة و الناس و الجنّ و اقفين في صفّ واحد لصلاة الجماعة و مشغولين بذكر الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ...﴾^٢.

فإن الإنسان يشاهد بأن القرآن الكريم في بادئ الأمر يمدح أولياء الله قائلاً: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^٣، و لكنه يرى بالتعمق في عالم الخلق:

بأن الموحدون لم ينحصروا بيني آدم بل يوحدّه حتى الحيوانات أيضاً
و أن العالم يُسَبِّح بحمده كذلك.

لقد كان عمل أنبياء الله التفسير الصحيح للإنسان و العالم؛ فكان سعيهم في أن يهبوا للبشر سمعاً يُمكنهم من سماع تسبيح المخلوقات. و لم تكن معجزتهم إنطاق الموجودات بل معجزتهم إماطة اللثام عن بصر الإنسان و سمعه. فكم ممّن نال هذا المقام في ظلّ مدرسة أنبياء الله و أصبح بحيث يسمع تسبيح الموجودات.

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

٢. سورة سبأ، الآية ١٠.

٣. سورة النور، الآية ٣٧.

٤. كليات سعدي، قسم القوائد.

و إن البشر يستطيع التخلّص من جحيم الأنانية و الحرص و الطمع و النهب عبر اتّباع التعاليم السماوية لأنبياء الله و الدخول في جنة السلام و الصفاء و النور و تغيير البيئة التي يعيش فيها إلى بيئة مناسبة للحياة في ضوء تبديل الصفات الحيوانية إلى الخصال الإنسانية.

ب: الصبغة الدينية في البيئة

الاهتمام بالبيئة في الشرائع الإلهية

تعتبر معرفة الأصول البيئية و اكتسابها و الابتعاد عن تخريبها و السعي للحفاظ عليها في الدين الإلهي الحنيف الذي قد تجلّى طوال التاريخ على شكل مناهج و شرائع متنوعة لأنبياء الله من أبرز الحقوق الإنسانية و كذا من أوضح التكاليف البشرية و ذلك لتأمين نشاط المجتمع إلى جانب سلامته و حيوية الأشخاص إلى جانب صحتهم.

و لهذا حدّر و نهى عن تلويث الجوّ و الطرق و الأحياء و الأماكن العامة، و أمر و حتّ على إزالته في حال وقوع مثل هذا الحدث المرّ، كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله عزّوجلّ إذا أنعم على عبد نعمة أحبّ أن يرى عليه أثرها، قيل: و كيف ذلك؟ قال: ينظّف ثوبه و يطيب ريححه و يحسّن داره و يكنس أفنيته...»^١.

قداسة حفظ البيئة تماثل أجر تلاوة القرآن

إن المسائل المذكورة إنما هي حقوق و وظائف متبادلة بين جميع المواطنين. فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «من أَمَاطَ عن طريق المسلمين ما يُؤذِيهم، كتب الله له أجر قراءة أربعمئة آية، كلَّ حرف بعشر حسنات»^١. والمراد بالطريق لا يختص بالطريق الأرضي بل يشمل المعابر البحرية و الجسور الجوية أيضاً. و المقصود من ما يُؤذِيهم لا يختص بموانع الطرق بل إن كل ما يسبب أذى العابرين و يخلِّب بعض مزايا سلامة المجتمع و نشاطه؛ كرائحة القمام، و دخان المعامل، و التلوُّث الصوتي و شدة الازدحام في حركة السير مشمول لكلام النبي الرائع، و إن قداسة مراعاة الأصول البيئية تماثل حرمة تلاوة المتن الديني المقدس.

و من هنا تظهر قدارة ما يقابل هذه الأمور، و يتضح أن أي حكومة أو شعب يترك التفكير عمداً بالمحيط الأخضر و السالم و الباعث على الحيوية و النشاط و لا يرتدع عن تدنيسه و يعمد إلى تلوُّث المنطقة الذهبية للطبيعة الإلهية أو يحتتم على لسانه و يبقى ساكناً إزاء تلوُّث النفعيين من أصحاب المعامل، سيغمرهم قهر الله القاهر، و يكون مصيرهم في قعر جهنم. و بالطبع فإن مثل ذلك القهر يتبعه هذا القهر، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاث ملعون من فعلهن؛ المتغوِّط في ظلِّ الغزال، و المانع الماء المنتاب، و سادَّ الطريق المسلوك»^٢؛ فهناك ثلاث طوائف ملعونون من قبل الله سبحانه بسبب ثلاثة أعمال سيئة:

١. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٥٠.

٢. وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٢٥.

١- من يلوّث الأماكن العامة و المظلات و المنتزهات و محل نزول المسافرين

و ...

٢- من يغصب الماء الذي هو حق غيره و لا يراعي نوبة حقوق المواطنين.

٣- من يسدّ الطرق و المعابر و يمنع عبور العابرين.

و قد كان سلوك أئمة الحق ككلامهم ينصبّ في ترغيب الحكومة و الشعب

على مراعاة الأصول البيئية، و لذا كان علي بن الحسين عليه السلام يمرّ على المدرة في وسط الطريق فينزل عن دابّته حتى ينحّيها بيده عن الطريق^١.

و قد مرّ عيسى ابن مريم بقبر يُعذّب صاحبه ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو

ليس يُعذّب، فقال: يا ربّ مرت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يُعذّب ثمّ

مرت به العام فإذا هو ليس يُعذّب، فأوحى الله عزّ و جلّ إليه: يا روح الله إنه

أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً و آوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه^٢.

الأبعاد الثلاثة لأبحاث البيئية في ثقافة الوحي

تنقسم الأبحاث البيئية من منظار ثقافة الوحي إلى ثلاثة أقسام:

أ: الأبحاث البيئية المتعلقة بالجسم

ب: الأبحاث البيئية المتعلقة بالجسم و الروح

ج: الأبحاث البيئية المتعلقة بالروح

١. بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٥٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٤٩.

أ: القسم المتعلق بالجسم: للوصول إلى بيئة سالمة لا بد أن يتمتع المجتمع بنعم

عدة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تطيب السكنى إلا بثلاث، الهواء الطيب و الماء الغزير العذب و الأرض الخوارة»^١. فالكلام عن طيب الحياة لا الحياة بمفردها، و المصابون بالقحط في البلدان الفقيرة أحياء بالفقر و المرض و التكدّي و لكنهم لا يتمتعون بالحياة الطيبة. فهم يعيشون في جوّ «لا يموت فيها و لا يحيى» لا هم أموات و لا أحياء.

ب: القسم المتعلق بالجسم و الروح: و لا بد في هذا القسم أيضاً من أصول ثلاثة لتتبدّل حياة البشر إلى حياة إنسانية. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يستغني أهل كلّ بلد عن ثلاثة، يفرع إليه في أمر دنياهم و آخرتهم، فإن عدموا ذلك كانوا همجاً: فقيه عالم ورع و أمير خير مطاع و طيب بصير ثقة»^٢؛ إذن لا بد للمجتمع من فقيه مبين للأحكام الإلهية عالم بزمانه ورع طاهر الروح، و حاكم يطلب الخير لينقاد الناس إليه و تُحفظ في ضوء ذلك الوحدة الترابية و الاستقلال و الوحدة الوطنية و أمن المجتمع، و طيب بصير في علمه يثق به الناس من حيث شخصيته الطيبة و يعتمدون عليه في حفظ أسرهم.

ج: القسم المتعلق بالروح: إن حياة الإنسان و بعبارة أخرى إنسانية الإنسان و أصالة وجوده متعلقة بالروح لا بالجسم، و لذا لا بد من أن يملأ حياة روحه بالبهجة

١. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٣٢.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٣٥.

و النشاط و يتسنى ذلك عبر الرياضة الشرعية، فينبغي لتزكية الروح الحدّ من لذائذ البدن و الاهتمام بتكامل الروح. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الشريعة رياضة النفس»^١، و يقول أيضاً حول نفسه: «إنما هي نفسي أروضاها بالتقوى»^٢. فإن من يروض نفسه بالتقوى ينصبّ سعيه في الإعراض عن اللذائذ الجسمانية المحللة و إيصالها إلى الحدّ الأدنى و ذلك لتربية الروح و تزكيتها. و لذا تجد البعض يصومون بالنفل أياماً كثيرة و البعض الآخر يصومون الدهر إلا أياماً معدودات يكون الصيام فيها محرّماً و يقنعون في الليل بالقليل من النوم و يحدّون من راحة أبدانهم للعبادة و التهجّد، كما قال القرآن الكريم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾^٣ لأنهم مشتغلون بالتهجّد و الاستغفار: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^٤؛ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^٥.

و إن قال امرؤ لا يلزم اجتناب الحلال و من السائغ التمتع بما أحلّه الله و لا يبغي إلا الاجتناب عن المحرّمات، فهو يعيش في القسم الثاني؛ و قد تعرض لطرّاة البيئة المملّقة بين الجسم و الروح و لكنه إن أراد طراوة حياة روحه و تربيتها عليه الحدّ من الحلال أيضاً و تقليل النوم و الأكل و الراحة و ذكر الله دوماً كما جاء في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^٦.

١. شرح غرر الحكم، ج ١، ص ١٤٥.

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٣. سورة الذاريات، الآية ١٧.

٤. سورة الذاريات، الآية ١٨.

٥. سورة الإسراء، الآية ٧٩.

٦. سورة المعارج، الآية ٢٣.

و قد ورد في البيان النوراني لعلّي عليه السلام: «أسهروا عيونكم و أضمروا بطونكم و استعملوا أقدامكم و أنفقوا أموالكم و خذوا من أجسادكم فجدوا بها على أنفسكم»^١. فإن الجسم و إن كان بحاجة إلى الطعام و النوم و الراحة و التمتع باللذائذ الطبيعية و لكن ينبغي لتربية الروح الأخذ من حصّة البدن بعيداً عن الإفراط و التفریط و إعطائها للروح، كما هي سيرة أهل بيت النبي الأكرم عليه السلام و آيات سورة «الإنسان» المباركة تدلّ على ذلك: «وَيَطْعُمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا»^٢ حيث نزلت كما قال المفسّرون في علي و فاطمة عليهما السلام حين صاموا ثلاثة أيام متتالية لشفاء الحسنين عليهما السلام و أعطوا طعامهم حين الإفطار المسكين و اليتيم و الأسير^٣، مع أن الجسم بحاجة إلى الطعام و إن تأمين احتياجات البدن الأولى أمر مطلوب و كان الطعام المهياً للإفطار طيب و طاهر و لكن الإعراض عن حاجة النفس و تأمين حاجة المسكين و اليتيم و الأسير لله سبحانه إنما هو الأخذ من الجسد و التعرض لتربية الروح و ظاهر الحادثة أن الأسير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم لم يكن مسلماً لأن المسلمين في المدينة لم يكونوا من الأسرى. و إن كان من الممكن أن يكون المشركون الذين أسروا في ساحة الحرب قد أسلموا تحت ظلّ هداية قادة المدينة.

و قد جاء في بيان آخر لأمير المؤمنين عليه السلام: «أشرف لباس ابن آدم فيها

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣.

٢. سورة الإنسان، الآية ٨.

٣. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٠٩.

لعاب دودة و أشرف شرابه رجيع نخله»؛ أي أن أفضل لباس للإنسان و فراشه الحرير و أفضل شرابه (غذائه) العسل و كلاهما يخرجان من نوعين من الحشرات. فإن العسل و إن كان طيباً طاهراً يبعث على الشفاء: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^١ و تُصنع من الحرير و الأتلس أيضاً ثياب و فراش مرغوب و لبسه جازز للنساء و استعماله سائغ في موارد أخرى، إلا أن وصية الإمام علي عليه السلام هي ألا يجذبكم منتوج هاتين الحشرتين و يسبب غفلتكم عن تربية الروح. و هناك في قبال ذلك من صرف كل همته لمزيد من الاستهلاك و الاستعمال، فإنه و إن كان انتفاعاً حلالاً من البيئة و هو في نظر الإسلام طيب و طاهر و مقبول، إلا أن هذا الانتفاع متعلق بالبيئة المملّقة بين الجسم و الروح؛ و لكن في بعد البيئة المتعلقة بالروح الذي يتعرض له أرباب الملكوت و الأوحديّ من الناس المتدينين فهم يتمتعون أيضاً بطهارة البدن و طراوة البيئة و يعيشون في محيط طاهر و لكن المطلوب لديهم طراوة حياة الروح المحاصلة من التهجّد آناء الليل و من سائر العبادات و لا تحصل بالرفاهية في العيش و الالتذاذ بالنعم المادية كالعسل و الحرير.

حفظ البيئة في ضوء تعاليم الأنبياء

هناك ثمة مسائل مطروحة في الشرق و الغرب بشأن حفظ البيئة و لكن لابد من الالتفات إلى أن الكلام الصحيح هو المقتبس من نداء الأديان الإلهية، و

١. تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ١٣٥.

٢. سورة النحل، الآية ٦٩.

المدارس الشرقية والغربية محرومون من المعارف الإلهية، وهم عراة من الأصالة والتجذّر كالإنسان الذي لا أصل له ولا نسب ولا تربطهم أية صلة بالوحي والتعاليم السماوية، أما الإنسان الذي تربطه صلة بمدرسة الوحي وكلامه يستند إلى الكتب السماوية كالقرآن والتوراة والإنجيل فهو إنسان أصيل متجذر.

و إن الأنبياء الذين سبقوا النبي إبراهيم عليه السلام وإن كان عددهم كثير بيد أن البشرية اليوم خاضعة تحت تعاليم الأنبياء الإبراهيميين الذين يعود تاريخهم إلى ٤٠ قرناً على أقل التقادير. وعلى هذا فإن أي كلام حقّ يصدر في مجال حفظ وسلامة البشر والبيئة فهو مقتبس من نداء الأنبياء الإبراهيميين.

ثم إن الكلام المرتبط بالوحي صادر عن ذات الله المقدسة وأما الكلام الصادر عن الآخرين فهو إما استنباط ناقص من كلام الأنبياء حيث أنهم جالسون على مائدة الأنبياء ومأدبتهم وإما صادر من عند أنفسهم ولا يتصف بالاستمرارية والبقاء؛ كالمدارس الإلحادية للشرق التي لا تنسجم مع فطرة الإنسان الإلهية حتى آلت من دائرة حياة البشر إلى الزوال والاضمحلال.

شبهة عدم الانسجام بين القداسة الدينية وبين العلوم والأموال المادية

يقول البعض إن الدين والأموال المقدسة إن دخلت الساحة الدنيوية للناس، ستفقد قداستها وتبدّل إلى أمور عرفية؛ وإن أراد الدين المقدس التدخل في الشؤون البشرية وإدارة المسائل الطبيعية سيواجه مشكلتين رئيسيتين:

١. بما أن الأمور الدنيوية تختلف من حيث الماهية عن الأمور الميتافيزيقية و الإلهية، لا يمكنها بتاتاً أن تتخذ طابعاً قدسياً. بل إن كل شيء يملك من نفسه ذاتاً و ماهية لا يستطيع أن يتبدل ذاتياً إلى أمر ديني؛ إذ لا يمكن للشيء أن يمتلك ذاتين و ماهيتين؛ فالماء أو البناء أو ما شاكلهما له ذات خاصة و لذا لا يوجد لدينا ماء ديني و ماء غير ديني أو شراب ديني و شراب غير ديني. و كذلك الحال في مسألة العدل و الحكومة و العلم و الفلسفة و أمثالها فلا يُتصور فيها أن تصبح أو أن تكون دينية.

٢. وليست الأمور الدنيوية و البشرية غير قدسية فحسب، بل إن الأمور المقدسة التي ترد ساحة الطبيعة أيضاً تفقد قيمتها و قداستها و تتبدل إلى أمور عرفية دنيوية؛ و معنى ذلك أن كل ما يدخل عالم الطبيعة يصبح طبيعياً و يغمره غبار الطبيعة و كل ما يدخل دائرة الاجتماع البشري يتبدل إلى مسألة اجتماعية بشرية. و بعبارة أخرى لا يوجد في عالم الطبيعة و الاجتماع البشري أمر ما وراء الطبيعة و ما وراء الاجتماع البشري، و حتى الروح التي تفوق الطبيعة فهي تتجلبب عبر دخولها بيت الطبيعة مجلباب الجسمية.

و الحاصل أن على الدين المقدس و تعاليمه القدسية ألا تتجاوز خطاه المحدود الفردية، و لا تطأ الميادين الاجتماعية و الحكومية و المعيشية و في كلمة واحدة السياسة البشرية؛ إذ على أثر الإثنية الماهوية بين الدين و الأمور البشرية و الدنيوية، لا يتأق للدين تقديس مثل هذه الأمور، بل يفقد قداسه هو أيضاً و يتبدل إلى أمر عرفي بشري.

و من هنا لا ينبغي على المشفقين و علماء الدين أن يتجشّموا العناء لجعل الأمور البشرية دينية؛ لأن جهودهم و مساعيهم ستذهب هباءً منثوراً، إضافة إلى أن فقدان الدين قداسته سيوقع أساس تدبّر المجتمع في الخطر.

محاور النقد

للبحث في الدليل الثاني، لابد من التعرض للمسائل التالية:

أ: مفهوم القداسة

كل فعل أو أمر اتّخذ طابعاً إلهياً و انطلت عليه صبغة ربوبية فهو مقدّس في الرؤية الدينية. و قد اعتبر الله أن الصبغة الأمثل لشؤون العالم هي الصبغة الإلهية: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^١ و كلّ ما يتّخذ مثل هذه الصبغة بأي نحو من الأنحاء فهو أمر مقدّس.

و قد وضع الله طريق الوصول إليه للناس في العمل بالتعاليم الدينية و على الناس أن يهبوا لحياتهم صبغة دينية عبر مراعاة الأحكام الإلهية و توفيق أفعالهم و نياتهم مع قوانين دين الحق. و كلما كان هذا التوفيق أكثر، كلما ظهرت الصبغة الإلهية بمظهر أجلى و أكبر و اتّخذت الشؤون الفردية و بتبعها المسائل الاجتماعية في الحياة طابعاً قدسياً و إلهياً أكثر فأكثر.

و للمزيد من التوضيح في مجال قداسة أمور العالم ينبغي لنا معرفة الدين أكثر، فإن الدين يدعو الناس دوماً إلى مسألتين أساسيتين:

١- إن الدين يطلب من منتحليه الاجتناب عن الأعمال السيئة والقيام بالأعمال الحسنة. و من هنا فإن القرآن الكريم يعتبر الطائفة المؤهلة للبشارة الإلهية والأجر العظيم الربوبي هي تلك الطائفة من المؤمنين الذين يعملون الصالحات لا الذين يقترفون السيئات على خلاف مقتضى إيمانهم: ﴿وَيَسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^١.

٢- إن الدين يأمر الناس أن يهتموا بتحسين أهدافهم و نياتهم. و لهذا جعل الله سبحانه شرط قبول الأعمال الصالحة وجود «الحسن الفاعلي» و ذلك للتوجه إلى العامل الروحي و المعنوي في ما وراء الأفعال. و قد وردت كلمات فاحرة في هذا المجال كالمروي عن الإمام السجاد عليه السلام في قوله: «لا عمل إلا بنية»^٢ و المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «نية المؤمن خير من عمله»^٣. و من هنا فإن مجرد الذنب و إن كان يوجب الجزاء و استحقاقه له ليس مشروطاً بكفر المذنب بل المسلم المذنب يجازى أيضاً إلا أن مجرد العمل الصالح لا يسبب دخول الجنة بل لابد من أن يكون الفاعل صالحاً و مؤمناً في جوهر ذاته. و لذا فإن عمل الكافر الصالح لا يستوجب استحقاقه دخول الجنة.

١. سورة الإسراء، الآية ٩.

٢. الكافي، ج ١، ص ٧٠.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٨٤.

و من هنا فإن نداء الدين هو الوصول إلى هذين الهدفين الكبيرين «الحسن الفعلي» و «الحسن الفاعلي». و على الناس أن يبذلوا قصارى جهدهم للقرب من هذين الهدفين القيمين. و كلما اقترنت أفعالهم و سكناتهم بهذين الحُسنيين، كلما انطلت على أعمالهم و أفعالهم صبغة إلهية أكثر و اتّخذت بالتالي مزيداً من الطابع القدسي.

إذن فالقداسة مبتنية على أن تتّخذ العقائد و الأخلاق و الأفعال الفردية و الاجتماعية طابعاً و صبغة إلهية و هذا يحصل أيضاً في ضوء الحسن الفعلي و الفاعلي. فإن اتّضح هذا المعنى جيّداً سنعرف بأن قداسة أمور العالم لا علاقة لها بتغيير ماهيتها بتاتاً و كل عمل يتحلى بهذين الحُسنيين المذكورين يتّخذ صبغة إلهية قدسية و إن حُسن الأشياء و الأفعال و قُبْحها ليس بمثابة ماهيتها و أجزائها الماهوية بتاتاً حتى يسبب اتخاذها طابعاً دينياً التغيير في ماهيتها فإن هذا أمر محال.

ب: دائرة الأمور المقدسة

إن كان كل شيء يحمل طابعاً إلهياً و صبغة ربوبية فهو مقدّس و لا تيسّر مثل هذه الصبغة إلا بمراعاة التعاليم النازلة من قبل الله، فإن جميع الأمور المنضوية تحت إشراف الشرع و أمره بإمكانها أن تُحسب من الأمور المقدسة؛ حتى الأفعال التي يقوم بها الناس تحت قيادة الشرع بمقتضى حاجتهم الطبيعية - و يبذلون في هذا الطريق جهوداً موسعة - فهي غير مستثناة من أن تكون أموراً قدسية.

و لعل البعض يزعم أن الكثير من نشاطات الإنسان و أعماله التي هي من مستلزمات حياته الطبيعية، أمور اعتيادية و طبيعية و هي تتنافى و مفهوم القداسة و حقيقتها من هذا الجانب، أما التأمل في نظر الدين و أحكام الشرع يدلنا على أن هذه الأمور أيضاً بإمكانها أن تتخذ صبغة إلهية و أن تكون دينية قدسية كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»^١، و قال الإمام الرضا عليه السلام: «الذي يطلب من فضل الله عزّ و جلّ ما يكفّ به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله عزّ و جلّ»^٢، و قال الإمام الباقر عليه السلام: «من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس و سعيّاً على أهله و تعظّفاً على جاره لقي الله (عزّ و جلّ) يوم القيامة و وجهه مثل القمر ليلة البدر»^٣.

تدلّ هذه الأحاديث على أن الشرع الأنور و من خلال التدخّل في الشؤون الدنيوية - حتى في شؤون البشر الضرورية كتأمين مخارج الحياة - يؤدي إلى إيجاد الترابط بين شؤون البشر الدنيوية و المفاهيم المقدسة بالكامل - كالجهاد في سبيل الله - ، و تتبدّل هي أيضاً إلى أمور قدسية إلهية؛ حتى أنها تتحلّى بنسبة عالية من القداسة بحيث يستطيع الإنسان من خلالها أن يصل في المعاد إلى أعلى مدارج الإنسانية و إلى لقاء ربه.

١. وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٦٧.

٢. الكافي، ج ٥، ص ٨٨.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١١.

إذن لا يريد الدين اعتبار بعض أعمال الإنسان الخاصة و تصرفاته المخصوصة - كالدعاء و المناجاة - أنها من الأمور النورانية و القدسية، بل إن جميع جوانب حياة الإنسان و أنماطها مؤهلة و مستعدة لأن تكون نورانية سواء الأعمال المستقاة مباشرة من الدليل النقلّي للدين المبين - كالصلاة و الصوم و الحج و أمثالها - أو الأعمال المقتبسة من الدليل العقلي للدين و المتعلقة بشؤون الحياة الدنيوية و المعيشية للمجتمع؛ حيث يمكن بأجمعها أن تكون نورانية مقدسة. و لا فرق في هذه الطائفة من الأعمال و التصرفات بين الأمور المهمة و غير المهمة؛ بحيث أن الأعمال القليلة الأهمية بالظاهر كالأكل و الشرب و التنزّه و السفر و ما إلى ذلك إلى المسائل الاجتماعية المصيرية للحكومة و قوانين المجتمع كلها بالإمكان أن تتخذ طابعاً قدسياً، و إن كانت متفاوتة في درجة القداسة. كما أن القداسة - المحاصلة عبر التعاليم الدينية - أيضاً لا تختص بجزء من الدين، بل أن أي بلاغ ديني بإمكانه أن يؤثر في موضوع خاص أو عمل مخصوص؛ و نعلم أن البلاغات و التعاليم الدينية لا تتلخص بـ«النقل» (الآيات و الروايات).

و إن للدين بلاغات أخرى لا تقل حجيتها و أهميتها عن الدليل النقلّي و هي «الأدلة العقلية» التي يتم استنباطها من العقل البرهاني و تعتبر جزءاً مهماً لا يتجزأ عن الدين، و من هنا فإن بإمكان الأحكام العقلية - كسائر الأجزاء و الأقسام النقلية للدين - أن تهب القداسة للحياة البشرية و شؤونها عبر الحفاظ على العنصرين المحوريين المشار إليهما، و كما أن العمل على أساس الأدلة النقلية

(الآيات و الروايات) أمر مقدس، فإن العمل على أساس الأدلة العقلية أيضاً يستجلب الأفعال و التصرفات القدسية.

و زبدة الكلام أن جميع شؤون الحياة البشرية بما أنها غير خارجة عن أحكام الدين و قوانينه العقلية و النقلية و أن كونها مهمة أو غير مهمة و طبيعية أو غير طبيعية لا علاقة لها بأن يكون للدين رأي فيها فهي بالإمكان أن تتخذ طابعاً قدسياً دينياً.

إذن لا ينبغي البحث عن الأمور المقدسة في العبادات و مناجيات الكنائس و المساجد فحسب، و دائرة مفهوم التقدّس أعلى مما يتصوره البعض في ذهنه حيث يفصل الأمور الدنيوية عنه بالكامل؛ فإن تقسيم الثروة مثلاً و توفير الإمكانات الاقتصادية للشعب و تقديم الخدمات الصحية و العلاجية و الحفاظ على الأمن الداخلي و الخارجي و مراعاة الأصول البيئية و الحؤول دون تخريب بيئة المجتمع و غيرها بالإمكان أن تتخذ بأسرها طابعاً دينياً قدسياً و ذلك بأن يتم إنجازها عن عدل و عقل و تقديم المصالح الوطنية على المصالح الشخصية و أن تكون كلها للوصول إلى قرب الله و رضاه.

ج: مستند الأمور المقدسة

إن دين الإسلام و كلّ شيء له صبغة دينية قدسية و كلّ ما يطلق عليه بأنه أمر مقدس يستند إلى سند تكويني يغطي جميع أقسام العقائد و الأخلاق و الحقوق و الفقه و معنى ذلك أن هناك حقائق تكوينية في ما وراء الأحكام و

التعاليم الدينية و إن التعاليم المذكورة في الواقع هي نفس تلك الحقائق التي ظهرت بكسوة الاعتبار و تجلّت بصورة الدين بحيث أن حقيقة الدين أيضاً إذا أرادت أن تخلع لباس الاعتبار من جسدها و أن تظهر على حقيقتها فهي ستتجلى على هيئة نفس تلك الحقائق العينية.

إذن فالدين يُمثّل الشكل الاعتباري لعالم الوجود، و حقيقته هي نظام الكون ليس إلا بحيث يمكن اعتباره تفسيراً لعالم الوجود بجميع أشكاله. و بعبارة أخرى لا يمكن اعتبار الدين أنه مجرد قواعد و قرارات اعتبارية قد تم تنظيمها و اعتبارها من دون أيّ مرتكز تكويني بل لا بد من العلم أن لجميع أجزاء الدين مبنى و منشأ عيني قويم و قيم. و يمكن في هذا الشأن الإشارة إلى تجسّم أعمال الإنسان في النشأة الأخرى.

و من الواضح أن نعم الجنة - كأنهر العسل و الخمر اللذيذة في الجنة - لم تكن من نتاج الموادّ الطبيعية - كالزهرة و النبات و جهد النحل و عصارة العنب - بل العقيدة و الأخلاق و العمل الصالح للإنسان هو الذي يصنع مثل هذه النعم و يعرضها بهذا الشكل. و من هنا قال الله في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَآ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^١ و لم يقل: «إنما تجزون بما كنتم تعملون»؛ أي أنه لم يقل بأنكم تجزون على أساس أعمالكم و بسببها بل قال بأن جزاؤكم هو متن أعمالكم و إن ما تشاهدونه هو عين عملكم.

١. سورة الطور، الآية ١٦؛ سورة التحريم، الآية ٧١.

فإن أحسن مؤمن أو قضي حاجة شخص أو قام بعمل صالح سيكون ظهور و بروز حقيقة هذه الأعمال - التي تم بيانها و شرحها في الدين و الشرع المقدس - في المعاد هي نعم الجنة. و إن اقترف شخص ذنباً كالكذب أو الظلم - المحرمة في الدين و المنهي عنها في الشرع المقدس - فإن ظهورها و بروزها هي ألوان العذاب و الصعوبات التي أوجدها الشخص بنفسه. فإن الأحكام الدينية و إن كانت اعتبارية و تمثل طائفة مما ينبغي و ما لا ينبغي عمله، بيد أن لها حقائق كامنة في ما وراء هذه الاعتبارات و هي بمثابة سند لها.

و لبيان المسألة نشير إلى المراحل المختلفة لنظام التكوين. و هي - بترتيب قوس الصعود - عبارة عن عالم الطبيعة و المثال و العقل و لقاء الله. و إن كيفية نضد و ترتيب المراتب المذكورة هي أنها تبدأ من الناقص و المستكفي و تُختم بالتام و فوق التام.

هذه المراحل تُبين كيفية سير الإنسان إلى الله؛ ذلك المسير الحقيقي و الواقعي الذي لا بد للإنسان السالك أن يطويه مرحلة تلو أخرى حتى الوصول إلى منتهاه و هو لقاء الله.

و ميزة هذه المراحل هي أن لا سبيل للفصل و الانقطاع فيها بل هي متصلة بعضها مع بعض بالكامل بحيث أن كل مرحلة فوقانية تمثل حقيقة المرحلة التحتانية و كل مرحلة تحتانية تمثل رقيقة المرحلة الأعلى. و هي تبين طريقاً مستقيماً تكوينياً خالياً من أي تشقق و فطور. و قد قال الله في هذا الشأن:

﴿هَلْ أَمَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾^١ ثم عَلَّمَ الْإِنْسَانَ قَائِلاً له: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾^٢.

يظهر من التدبّر في كلمة «كدح» أن الوصول إلى لقاء الله يتحقق عبر طريق متصل غير منفصل. فلو لم يكن هناك طريق من عالم الطبيعة إلى عالم المثال أو كان هناك فاصل بين عالم المثال و عالم العقل أو كان الطريق بين عالم العقل و لقاء الله منقطعاً مفصلاً لما قال القرآن ﴿كَادِحٌ﴾ بل من المفروض أن يستعمل كلمة أخرى.

إذن فالنظام المائل أماناً في عالم التكوين متصل و مرتبط بعضه مع بعض بالكامل و كلٍّ يمثّل حقيقة الآخر أو رقيقته. و إن القرآن الكريم لبيان كيفية الارتباط فيما بين هذه المراحل عرّف مخلوقات العالم الأعلى بأنها مدبّرة للعالم الأسفل و عبّر عنها بـ«مدبّرات الأمر» و اعتبر أيضاً موجودات العالم بأسره - سواء كانت ضمن العالم العلوي أو السفلي - «مسبّحة»، «ساجدة»، «مسلمة» و «طائعة» لخالقها تقدّست أسماؤه. فللمخلوقات الأسمى في عالم الوجود على الموجودات الأدنى - بإذن الله - إشراف علّي و تدبيري و للموجودات الأدنى بالنسبة إلى المخلوقات الأعلى تشرف معلولي فقد تبيّنت كيفية الارتباط بين الأجزاء و المراحل المختلفة لنظام التكوين بهذا الترتيب.

١. سورة الإنسان، الآية ١.

٢. سورة الانشقاق، الآية ٦.

يتضح مما ذكر أن هناك صبغة ملكوتية مستحكمة مترابطة قد غطت جميع أرجاء العالم و على هذا الأساس تكمن في ما وراء الكثير من الأمور - التي قد يحسبها البعض أنها بسيطة صورية - حقائق و ركائز قومية تكوينية. و من هنا لا ينبغي أن نُلخص الدين و كل ما اتخذ طابعاً إلهياً في ظواهره بل توجد في ما وراء هذا الظاهر الاعتباري أمور حقيقية تمثل دعائم تكوينية للأمور الاعتبارية و معنى ذلك أن الأمور الاعتبارية للأخلاق و الفقه و الحقوق مسبوقة بملاكات تكوينية و ملحوقة بالأجر و الجزاء التكويني و إن الدين و الأمور الإلهية المقدسة مع وجود هذه الدعائم إذا دخلت عالم العرف فإنها لا تفقد قداستها بل تهب القداسة لما يحيط بها.

و على سبيل المثال فإن جميع أفراد المجتمع يجلسون على الأرض و يقومون و يأكلون و يشربون و كل هذه أمور مادية و راتبة في الحياة اليومية، إلا أن نفس هذا الجلوس و القيام و الأكل و الشرب قد تتخذ صبغة ملكوتية و طابعاً قدسياً لما يكون لها من نصيب من العوالم الأخرى و لارتباطها بالدين. و على هذا الأساس يكون لبعض الأشياء و الأمور العرفية تمايز على سائر الأشياء و الأمور؛ كالتراب مثلاً فإنه متوفر في العالم بكثرة إلا أن بعض الأتربة تتصف بالقداسة و الشفاء - كتربة سيد الشهداء عليه السلام - و كذلك الماء فإنه موجود في العالم بكثرة إلا أن بعض المياه تكون شافية - كماء زمزم المتبرك - كما أن جماع المختلفين في الجنس أيضاً كثير في عالم الطبيعة كجماع الحيوانات البرية و

البحرية و تلقيح النباتات أيضاً و لكن لا تتحقق قضية «النكاح سنتي»^١ و لا تتجلى حقيقة «من تزوج فقد أحرز نصف دينه»^٢ إلا إذا تزوج شخصان مسلمان و حينئذ يتخذ هذا الاجتماع من الذكر و الأنثى طابعاً قدسياً؛ إذ يكمن فيه هدفاً أسمى من إرضاء الغريزة.

إن هذه الأمور المقدسة من حيث العناصر المادية ليست بعيدة عن عرف المجتمع، و لكن بما أن لها ارتباط بالمنشأ الإلهي و الحقيقي و اتصال بما وراء الأمور الظاهرية فهي تتمتع بنوع من القرب من منشأ جميع الحقائق و تتخذ طابعاً قدسياً إلهياً؛ كالماء الكرّ الذي لا يتنجس بملاقة المتنجس بل يسبب طهارة الأشياء المتنجسة أيضاً.

و المثال الرائع الآخر - المناسب للتقريب للأذهان - هو سلوك الأئمة الأطهار عليهم السلام مع الفقراء. فإنهم يعلمون «إن المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله و من أعطاه فقد أعطى الله»^٣، و لهذا إن سألم سائل شيئاً وضعوا الصدقة في يده ثم عمدوا إلى أيديهم فشمّوها و قبّلوها و مسحوا بها على رؤوسهم و أعينهم و قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾^٤؛ و معنى ذلك في الحقيقة أن الله (في مقام الفعل) يأخذ الصدقة من أيدينا فيتسبب ذلك أن تبرك يدنا العرفية و الاعتيادية، و كذلك الحال في

١. بحار الأنوار، ج ١٠٣، ص ٢٢٠.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٣، ص ٢١٩.

٣. نهج البلاغة، الحكمة ٣٠٤.

٤. سورة التوبة، الآية ١٠٤. (راجع: وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٤٣٣-٤٣٥).

وقت الدعاء و التضرع حيث كانوا يرفعون يدهم إلى الله ثم يمسخونها على أعينهم و وجوههم.

و الحاصل أن الدين و الأمور المقدسة لارتباطها مع الحقائق التكوينية و استنادها إليها - و قد مرّ شرح هذا الارتباط ضمن بيان المراحل الأربع لنظام التكوين - إذا دخلت عالم العرف فإنها لا تفقد قداستها بل تهب القداسة للأمور العرفية أيضاً.

د: الأمور القدسية و استنباط الناس

من الواضح أن معرفة الناس بالحقائق الدينية و الإلهية أمر قيم للغاية و إن الهدف من إرسال الرسل و بعثة أنبياء الله هو إدراك الحقائق الدينية بشكل جيد من قبل الناس و السير في الصراط المستقيم. فكم من مجاهد - بل و نبيّ - فدى نفسه العزيرة في سبيل الله و شرب شربة الشهادة ليتعرف الناس على التعاليم الإلهية و يدركوا نداء الإسلام الأصيل.

و لذا فإن فهم الناس للدين بشكل صحيح و كذا إقبالهم و هدايتهم تتمتع بأهمية و قيمة بالغة بحيث أن الله يعتبر إقبال الناس و توجههم من مواطن النصر الإلهي و يأمر نبيه بحمد الله و تسيبحة شكرًا لهذه النعمة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾!

و رغم كلِّ ما يحمله دين الإسلام من أهمية و قيمة لهداية الناس و فهمهم الصحيح و توجيههم نحو الله و تعاليمه، فإنه لا يبنى بتاتاً قداسة الدين و قيمته الباطنية و المقدسات الربوبية على رأيهم و فهمهم و استنباطهم. و إن قداسة الأمر المقدس لا تتعلق برأي الناس و تقوى و تضعف على أساس آراء الموافقين و المخالفين منهم، لأن الأمور المقدسة - كما ذكرنا - ليست من الأمور التي لا أصل لها و لا أساس حتى تبقى على قداستها إن اعتبرها الناس مقدسة و تدخل في عداد الأمور العرفية و الطبيعية الأخرى إن رفع الناس يدهم عن تقديسها.

و إن هذا النمط من الفكر ناجم من انطباع أشخاص يرون الأمور القدسية وليدة توهم عامة الناس و تخيلهم و لا يرون للمقدسات الدينية اعتباراً أكثر من ذلك، و الحال أن الدين إلى جانب بيان الموقع القويم للأمر القدسية و دعائها المحكمة، لا يربط إقبال الناس و إيمانهم أو إدبارهم و إعراضهم بقيمة و اعتبار الأمور القدسية و كل ما يحمل صبغة و حيانية إلهية بتاتاً.

طرح أصول مباحث البيئة في الدين

تعتبر معرفة الأصول البيئية و اكتسابها و الابتعاد عن تخريبها و السعي للحفاظ عليها في الدين الإلهي الحنيف الذي قد تجلّى لأنبياء الله على شكل شرائع متنوعة من أبرز الحقوق الإنسانية و كذا من أوضح التكاليف البشرية.

و مع ملاحظة الطابع الديني للحفاظ على البيئة و طرح الخطوط العامة للأبحاث البيئية في الدين، يتحتم علينا البحث في أنه ما هو نداء التعاليم

الدينية بالنسبة إلى المعطيات العقلية و التجربة البشرية في العلوم الإنسانية و
التجريبية؟

واحدة من وظائف النبي الأكرم ﷺ بالإضافة إلى إبلاغ آيات القرآن الكريم للناس، تبيينها و استمرار أهل البيت عليهم السلام أيضاً على هذا النهج و كانوا يحثون أتباعهم للبحث و الجدّ و الاجتهاد في هذا الطريق كما قال الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «علينا إلقاء الأصول و عليكم التفريع»، فإن هذا الكلام لا يختص بالفقه و الأصول و العلوم الدينية بل هو بيان عام. حيث يقول بأننا نقلنا أصول العلوم بجميع أصنافه و عليكم باستخراج فروعها؛ سواء في العلوم الدينية أو التجريبية أو التجريدية أو الملفقة و بعبارة أخرى العلوم الإنسانية أو الطبيعية. فقد أوجب الإمام الاجتهاد عبر هذا البيان - وجوباً عينياً أم كفاًياً - إذ لم يقل في الرواية «لكم التفريع» بل قال «عليكم التفريع» المفيد للوجوب.

فكما يجب على الأئمة المعصومين عليهم السلام تبيان القوانين العامة للمجتمع من قبل الله سبحانه و تعالى، ينبغي على المجتمع أن يخرج منه أناس مؤهلون للاجتهاد يستنبطون فروع تلك القوانين العامة.

إذن فالحديث الشريف للإمام الرضا (عليه آلاف التحية و الثناء) ناظر إلى جميع العلوم النافعة، و علم البيئة يدخل في عداد العلوم النافعة أيضاً و نحن مكلفون باستخراج فروع هذا العلم من قوانينه العامة لتأمين حياة سالمة و الاستفادة من بيئة مناسبة.

و لازم هذا الاستخراج في بادئ الأمر هو أن نهب للعلوم طابعاً دينياً و لا يتأتى ذلك إلا أن تكون فلسفة العلوم دينية أيضاً. و دينية فلسفة العلوم التي هي فلسفة مضافة منوطة بكون الفلسفة المطلقة دينية كذلك. و إن الفلسفة المطلقة و أصل الرؤية الكونية تتوّد حرة و يصطلح عليها بأنها «حرية الحدوث و رقية البقاء».

فإن الفلسفة و الرؤية الكونية في بدء ظهورها حرّة لا هي إسلامية و لا غير إسلامية، و لكن بعد انتظامها تتخذ طابعاً إلهياً أو إلحادياً. فمن انحرف عن الجادة و أنكر المبدأ و المعاد و اعتقد أن لا حياة بعد الدنيا المادية: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^١ تكون فلسفته إلحادية، و الحال أنها لم تكن إلحادية بادئ الأمر، إذ كانت في البدء بصدد معرفة الوجود و العدم و لكن ما إن وقعت في هاوية الفكر الإلحادي تبدّلت إلى فلسفة إلحادية.

و في قبال ذلك من كان فكره فكراً إلهياً فإن فلسفة علمه ستكون إلهية أيضاً و بالتالي سيّخذ علمه البيئي كسائر العلوم التجريبية الأخرى صبغة إلهية و لذا لا ينظر إلى عالم الخلق بوصفه عالم طبيعة بل يراه خلقاً إلهياً و عندها سيعرف جيداً العلاقة بين الخلقة و الإنسان حيث خلق الله العالم من أجله و من جانب آخر وضع على عاتقه مسؤولية حفظ البيئة و قال بأن هناك ارتباط بين أعمال الإنسان و حوادث العالم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم

بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^١، فالإنسان ليس موجوداً بعيداً عن عالم الخلق، كما أن الحوادث الطبيعية مؤثرة في أعمال الإنسان و أفكاره، و إن لعمل الإنسان و خلقه و عقيدته و فكره أثر في البيئة أيضاً كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من قطرة تنزل من السماء إلا و معها ملك يضعها الموضع الذي قُدِّرَتْ له»^٢. و قال الله سبحانه أيضاً: ﴿أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ^٣﴾.

عرض الخطوط العامة من قبل الدين للكثير من العلوم

إن الإسلام رغم تكريم العقل و التجربة من حيث علم المعرفة و تحليل مكاسب البرهان العقلي و التجربة الحسيّة و الفتوى بضرورتها لتأمين صلح عادل و حياة متحضّرة، لا يعتبرها كافية لتلبية جميع متطلّبات البشر العلمية و العملية. و من هنا لا بد من بيان أن معنى النطاق الديني هو تحديد و تعيين حدود ما جاء به الأنبياء؛ و معنى ذلك أن الذي جاء به الأنبياء هل يتحدّد بتعيين التكاليف العبادية و الأوامر الأخلاقية و الوظائف الحقوقية و بيان حدّ و تعزيز المتخلّف عن التكاليف و الحقوق و لا يتضمن أصولاً و أساساً في المسائل العلمية و الكونية و الفنون السياسية و العسكرية و الاقتصادية و العلوم الاجتماعية و البيئية و نظائرها، أم أن الدين يمثّل مجموعة من الوظائف و

١. سورة الأعراف، الآية ٩٦.

٢. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٥٢٥.

٣. سورة السجدة، الآية ٢٧.

الأصول العلمية والعملية الحاوية للقيم والمعارف التي يحتاج إليها البشر و قد تعرض لها بالكامل؟

إن الدين لم يتولّ الحثّ لاكتساب العلوم و ترغيب المستعدّين لتحصيل الكمالات العلمية فحسب، بل قام بعرض الخطوط العامة للكثير من العلوم و علّم المباني الشاملة للكثير من المعارف التجريبية و الصناعية و العسكرية و أمثالها.

و هنا لابد من الالتفات إلى أمر مهم في إسناد مسألة إلى الدين أو اعتبارها مسألة دينية و هو أن الدين قد يتعرّض لمسألة ما بجميع مواصفاتها و خصائصها الصغيرة و الكبيرة كالعبادات التوقيفية التي وردت جميع فرائضها و سننها بل و آدابها و أحياناً أسرارها في الكتاب و سنة المعصومين عليهم السلام بصورة صريحة أو ضمنية أو التزامية و قد يتعرض الدين لمسألة على نحو أصل كلّي شامل مبيناً فيه قاعدة علمية و أصلاً تجريبياً أو فلسفياً و ما إلى ذلك من دون بيان حدوده و قيوده و شروطه و شطوره كالكثير من مسائل علم أصول الفقه الذي يعدّ من العلوم الإسلامية و بعض المسائل المتعلقة بالمعاملات في الفقه التي تحسب من العلوم الدينية.

و إن العارفين بهذين القسمين العظيمين من العلوم الإسلامية يعلمان بأنه لم ترد نصوص دينية غزيرة بشأنهما كما في قسم العبادات الفقهية بتاتاً، حتى قالوا في الفرق بينهما و بين قسم العبادات في الفقه بأن التعقيد في مسائل أصول الفقه و قسم المعاملات الفقهية يكمن في قلة النصوص و كثرة الأصول و

القواعد العقلية و العقلانية بحيث يصعب استنباطها و جمعها و الاستنتاج منها و الصعوبة في المسائل العبادية للفقهاء تكمن في كثرة النصوص التعبدية و قلة الأصول العرفية حيث يتطلب الاستظهار من كل هذه الروايات بعد جمعها و الخروج بنتيجة منها بعد الاستظهار الشخصي، سعياً حثيثاً و همة عالية و ذكاء خارقاً.

و المحصل أن هذه كلها تدخل في عداد العلوم الدينية. حتى في المواطن التي وردت بحوث معمقة و مصطلحات كثيرة لحلّ بعض مسائل أصول الفقه أو بحث المعاملات الفقهية و لا توجد في المتون الدينية أثر لهذه البحوث العميقة أو الاصطلاحات الفنية كبحت الاشتراط و الإطلاق، و التعليق و التنجيز، و الصحيح و الأعم، و سراية تعدّد العنوان إلى المعنون أو تعدي وحدة المعنون إلى العنوان في اجتماع الأمر و النهي، و الحكومة و الورود، و التخصيص و التخصّص، و التقييد و التقيد، و الأقل و الأكثر الارتباطي و الاستقلالي، و الفرق بين الشرط و السبب و المقتضى و المانع، و الشرط المتأخر و المتقدم المقارن إلى غير ذلك من الأبحاث و كذلك المصطلحات الأصولية و الفقهية التي هي عبارة استنباطات علماء الأصول و الفقهاء المصطلعين حيث استظهر كلّ واحد منهم مبحثاً عميقاً من أصل شامل و قدّم لاستنباطه مقدمة و رتب للاستنتاج منه مؤخّرة و الشاهد على ذلك تراكم مباحث أصول الفقه أو مسائل قسم المعاملات الفقهية.

عاملان مؤثران في إسلامية الباحث

إن المسائل الكثيرة الواردة في مثل هذه المواطن، إما أن تكون من باب إدراك أصل شامل و استنباط فروعها و إما أن تكون خاضعة لتأييد قوانين العقلاء الذي يتم بمرأى و مسمع من صاحب الشريعة و مع إمكانية الطرد و المنع لم تتعرض للنقد و الردع لأن هناك عاملان مؤثران في إسلامية مسألة ما؛ أحدهما و هو الأصل و الأساس تأسيس و إبداع مسألة من قبل الشارع المقدس و الآخر الذي يتخذ طابعاً دينياً هو إقرار و تأييد قرارات الناس لئلا تكون مغايرة للأصول المبدئية و قواعد المعرفة الإسلامية.

المعيار في إسلامية العلم

لا بد من الالتفات إلى هذه المسألة و هي أن المعيار في أن يكون العلم إسلامياً ليس في أن يُدرّس في الحوزة العلمية لأن هذه الضابطة لا هي مانعة و لا جامعة، فمن الممكن أن تُدرّس بعض العلوم الإسلامية في خارج الحوزة و أن تُدرّس في الحوزة بعض العلوم التي لا تحمل طابعاً إسلامياً في ذاتها و إنما هي مقدمة لاكتساب العلوم الإسلامية - كالأدب الذي هو مقدمة لنشر الآثار المخالفة للإسلام أيضاً - كما أن هناك من نهض للبراز بزعمه الفائل و رأيه الأفضل في قبال تحدي القرآن الكريم مستعيناً بفنون الأدب العربي؛ فإن كانت أصول الفقه من العلوم الإسلامية - و هي كذلك - فإن الكثير من العلوم الإنسانية الأخرى و كذلك العلوم التجريبية أيضاً يمكن عدّها ضمن العلوم الإسلامية.

و في هذه الصورة فإن درجة إسناد مضامينها إلى الإسلام مرهونة بدرجتها العلمية، فإن كان ثبوتها العلمي قطعي يكون إسنادها إلى الإسلام يقينياً وإن كانت نسبة ثبوتها ظنية يكون مقدار إسنادها إلى الإسلام على حدّ الظن و إن كان ثبوتها مجرد احتمال و مرجوحاً يكون إسنادها إلى الإسلام أيضاً بهذه النسبة، كالإسنادات المختلفة لمسائل الفقه و أصول الفقه و التفسير و السيرة و الأخلاق و سائر العلوم المصادق على إسلاميتها و لا بد من العلم بأن كشف الخلاف في العلوم التجريبية أو الرياضية لا ضير فيه، كما أن كشف الخلاف في سائر مواطن الإسناد أيضاً لا ضرر يعتريه.

طرح الكثير من المباحث الطبيعية في المتون الدينية

إن أصول الفقه بكل سعته قد تم استخراجها بوساطة العقل من عدد ضئيل من آيات القرآن الكريم و الروايات الإسلامية و الحال أن هناك آيات و روايات كثيرة في موضوعات أخرى يستطيع البشر عبر التفكير و التدبر فيها استخراج الكثير من العلوم المتعلقة بعالم الخلق.

و كما أن أصول الفقه من خلال الدراسات المعمقة في الآيات و الروايات المتعلقة به يُعدّ علماً إسلامياً، يمكن عبر البحث في الآيات و الروايات المتعلقة بخلق السماء و الأرض و الماء و الهواء و غيرها اعتبار هذه العلوم أيضاً ضمن العلوم الإسلامية.

فعلى سبيل المثال قد تم استنباط أبحاث موسّعة في البراءة من آية ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾^١، وكذلك يمكن من خلال آيات عديدة نظير: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^٢ استخراج أبحاث كثيرة من قبيل كيفية نزول المطر، و إحياء الأرض، و تفتح الأشجار، و تأمين الموادّ الغذائية للمخلوقات الحية و ازدهار المناظر الطبيعية. فالكلام في هذه الآيّة لا يتعلق بإفاقة الأشجار، بل يرتبط بإحياء التراب الميت حيث يتبدّل إثر جذب الأشجار له إلى موجود حيّ. فإن الأشجار النائمة تفوق في بادئ أمرها عبر هطول الأمطار ثم تثمر من خلال التغيّدي من الماء و الهواء و الموادّ الغذائية بواسطة الجذر و عندها تتبدّل الأرض الميتة بواسطة الأشجار إلى موجود حي (الفصن و الجذع و الورق و الثمر).

فإن وردت المباحث المطروحة في القرآن الكريم في فروع الزراعة و تربية الحيوانات و صيد الأسماك و الأنواء الجوية و المناجم و ... و الفنون المتعلقة بها لاستفيد منها أكثر مما استفيد من آية ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾^٣ في بحث البراءة في أصول الفقه.

ييفية الاستفادة من المتون الدينية في العلوم الأخرى

لمزيد الاستفادة من القرآن الكريم في العلوم المختلفة لا بد من:

١. سورة الإسراء، الآية ١٥.

٢. سورة النحل، الآية ٦٥.

٣. سورة الإسراء، الآية ١٥.

التعرض للآية المختصة بموضوع البحث.

ذكر معنى مفردات الآية.

بيان المعاني العرفية المتبادرة إلى الذهن.

ترجمة الآية بشكل بليغ مع ملاحظة معاني مفرداتها.

ملاحظة آراء المفسرين الماضين و المتأخرين.

مناقشة آرائهم و الخروج بنتيجة منها.

طرح الآيات الأخرى المؤيدة لهذه الآية.

ملاحظة الروايات الواردة بشأن هذه الآية.

ملاحظة الحصيلة العلمية (العلم القطعي أو المفيد للطمأنينة لا الفرضية) في

ذلك الموضوع؛ فلا يمكن الاستناد إلى أصالة إطلاق أو أصالة عموم الأدلة النقلية

بمفردها، بل لا بد من البحث عن المخصّص اللبّي لثلا يحصل تعارض بين مفاد

الأدلة النقلية و بين الأدلة العقلية القطعية.

ثم الاستنتاج من هذه المباحث بعد ملاحظة كل هذه الأمور و بالتالي بيان

الرأي العلمي.

فالهم أن نعتبر ما توصلنا إليه منهجياً من العقل التجريبي أو الرياضي أو

الفلسفي و الكلامي حجة فيما بيننا و بين الله.

حجية الفهم المنهجي العقلاني

يعتبر الفهم المنهجي العقلاني حجة فمن توصل علمياً إلى مسألة ما في

علم البيئة أو علم النبات أو علم الصيدلة أو علم الحيوان أو الأرض أو البحار

أو علم الكون سواء كان كافراً أو مسلماً يكون حجة فيما بينه وبين الله سبحانه. فإن كان مسلماً يُؤجر ويُتاب إن عمل بالمسألة العبادية وفق فتوى العقل أو امتثل بقصد القربة في المسائل التوصلية و يُؤخذ يوم القيامة إن خالفها. وإن كان كافراً كذلك يُخفف عنه العذاب يوم القيامة إن وافق عمله فتوى العقل و يضاعف له العذاب إن خالفها؛ لأن الكافر مكلف بالفروع كما هو مكلف بالأصول أيضاً. فلو تصدّى منظر للبحث منهجياً و توصل إلى ضرورة بناء سدّ خرّسانيّ مُسلّح لحجز و تخزين ماء المطر و تحسين حياة الناس و الحوُول دون أضرار السيل المحتملة و لأثره في البيئة و فائدته في حقل الزراعة و تربية الحيوانات و الصناعة و لتأمين ماء الشرب للناس، ثم خالف ما توصل إليه عقله و سلك طريقاً آخر، فسيغمره العذاب في يوم القيامة و لا يمكنه ادّعاء عدم ورود مثل هذا الأمر لبناء السدّ في القرآن أو الروايات الإسلامية لأن العقل قد دلّه على ذلك و تمت حجة الله عليه.

و يتضح من هذا البيان أن المنظر كالمجتهد إن أصاب رأيه الواقع فله أجران و إن أخطأ فله أجر واحد و إن خالف رأيه و ثبت بعد ذلك أنه كان مخطئاً لم يقترف ذنباً فقهياً و لكنه اجترأ و دلالة على سوء السريرة و هو ذنب من الناحية الكلامية. فالكلام ليس عن كفر المنظر أو إسلامه بل الكلام عن العلم و المعلوم. فالمعلوم هو فعل الله و خلقه و العلم أيضاً حجته، و معنى ذلك هو العلم بأسرار فعل الله عبر العقل الذي هو حجة إلهية. و كما أن العلم حجة منطقية لإثبات مسألة ما فهو حجة أصولية و فقهية بين العبد و مولاه أيضاً.

و قد ورد في المسائل الفقهية أن من كان سفره معصية عليه أن يتم صلاته و يجب عليه عند الضرورة الصوم أيضاً. و كانوا يضرّبون في السابق لتعيين مصداق سفر المعصية مثال قاطع الطريق الذي يُخلّ بأمن السفر، و اليوم لابد من القول أن الخبير الفنى إذا حال دون حركة سفينة أو طيران طائرة لشعوره بالخطر سيكون سفر هذه السفينة أو الطائرة سفر معصية كذلك، سواء كان المسافر مسلماً أم كافراً. و لذا فإن كل ما يتوصل إليه العقل و يخرج من الفرضية إلى العلم فهو حجة فقهية، و لكن علينا أن نعرف بأن العلم لا يُكتسب من خلال الحسّ و التجربة فحسب لكي يقال: ما هي العلاقة بين صلاة الاستسقاء و الدعاء و التضرع و بين نظام العالم التكويني! فإن الحسّ و التجربة لا سبيل لهما إلى الكثير من المسائل. و إن العلوم التجريبية لا يمكنها إلا أن يكون لها كلام إثباتي و إثبات العلاقة بين الظواهر، و لكنها غير قادرة على الكلام السلبي؛ فإن بإمكان العلوم التجريبية أن تقول بأنني جرّبت هذه المسألة و يحدث مثل هذا الوضع في مثل هذه الظروف، و لكن لا يمكنها القول بأن هذا هو الطريق الوحيد، و إن الطرق الأخرى لا يمكن اختبارها حتى تعطي العلوم التجريبية رأيها فيها. فاتضح بهذا البيان أن العلوم إسلامية بأسرها و لا يوجد علم غير إسلامي لكي يقال: ما هو الفرق بين الفيزياء الإسلامية و الفيزياء غير الإسلامية؛ و معنى ذلك أننا إن طالعنا نظام الوجود من أعماق الأرض إلى الفضاء و البحار و القفار و غيرها فقد طالعنا كتاب الله التكويني و تحدّثنا عن فعل الله سبحانه و من جانب آخر إذا توصلنا إلى علم بالعقل فإنه حجة إلهية، و من هنا فإننا

من خلال الحجّة الإلهية تتدارس أفعال الله و بالنظر إلى النظام الفاعلي و الغائي لها تكون العلوم إسلامية بأجمعها.

إن إسلامية العلوم القرآنية أمر مسلّم به و لكن إن أنكر امرؤ مبدأ نزوله و هو الله سبحانه و رفض العمل به المتعلق بالحشر و النشر و المعاد، سيتبدّل القرآن إلى نص عربي ليس إلا، و في هذه الحالة إن اهتم فرد بأدبه و فصاحته و بلاغته و قصصه و سائر علومه يمكنه الادّعاء بأن القرآن لا معنى لأن يكون إسلامياً و غير إسلامي، لأنه أنكر المبدأ و المعاد و نظر إلى القرآن بوصفه كتاباً يعني بالأدب العربي.

إن العالم الخارجي و هو كتاب الله التكويني يضاهي كتاب التدوين لله سبحانه و تعالى، و إن الأرض و السماء و الجبال و البراري و الصحاري و النباتات و الحيوانات و سائر الموجودات يُمثّلون أوراق الكتاب التكويني لله. فإن حلّق الإنسان إلى الفضاء أو خاض أعماق الأرض و البحار فإن أحكام الله واحدة لأنها من مبدأ واحد: ﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾^١، و كما أن الحياة في سائر الكرات لا تُغيّر الفقه و تفسير القرآن، كذلك الحال بالنسبة للمبدأ و المعاد في عالم الخلق.

حجية معطيات العقل الأصيل

إن هناك ارتباط ثنائي بين النقل و العقل، و الفصل و التفكيك بينهما بعد بيان هذا الارتباط أمر عبث و عندها سيتجلى معناه بشكل آخر.

تُبَيِّن النصوص الدينية من جانب أهمية العقل في كلا بعديه النظري و العملي، فيقول الله مثلاً في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^١.

فيكون الهدف من خلق المنظومة الكونية بالاستناد إلى هذه الآية هو علم الإنسان، و بما أن العقل النظري هو الذي يتولى الجانب الفكري، يظهر أن عطاء الكائنات و مخلوقات العالم بأسرها متعلقة به و لا يصل الإنسان إلى هدف الخلق إلا إذا استفاد جيداً من قوة الفكر و استخدم العقل النظري لكشف المجهولات و حقائق العالم.

و يقول الله سبحانه أيضاً في أهمية العقل العملي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^٢. فجعل الله الهدف من الخلق في هذه الآية عبادة الجن و الإنس. و من جانب فإن العبادة و العبودية مرهونة بالنية الصحيحة الصائبة و لا تتحقق من دون استخدام العقل العملي؛ و معنى ذلك أن الإنسان إن لم يكن قادراً على إيجاد نية صحيحة وصالحة في نفسه و على أن يتخذ لأفعاله هدافاً سامية بالنظر إلى ما وراء الماديات فإن عبادته و عبوديته لا تأخذ معناها الصحيح و مفهومها الصائب، و من هنا فإن هدفية الخلق مدينة للعقل العملي أيضاً و الناس من دون العقل العملي يفقدون القدرة على إيجاد النية الصائبة و العبادة الحققة و يُحرمون من الوصول إلى هدف الخلق.

١. سورة الطلاق، الآية ١٢.

٢. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

و بالطبع لا ينبغي التصور أنه إذا كان الهدف من الخلقة هو العقل النظري إلى جانب العقل العملي فإن ذلك سيُفضي إلى التضادّ و التعارض، لأن لكلّ من هذين النمطين من العقل دور ثبوتي في حدّ ذاته و الأمران المثبتان لا يتعارضان بتاتاً و إثبات أحدهما لا يُلقِي الآخر في دائرة الحصر و النفي.

و من جانب آخر فإن المتون الدينية علاوة على تقييم العقل قد ذكرت في تعاليمها الاتجاه الصحيح للتفكير و كذا طريقة الاختيار الصائب للنية و من هنا فهي لا تترك العقل و لا توكله إلى نفسه بل تدلّه إلى كشف الحقائق المجهولة عبر تبين الطرق و المناهج الصحيحة.

و بعد ملاحظة جانب واحد من التعامل، لابد من الاهتمام بالجانب الآخر أيضاً. و في هذا الخضمّ فإن لرقِيّ قيمة التعقل من الأهمية بحيث أنه قد تبين من أدلة الشرع القطعية. و يتم إثبات هذا التقييم بالنظر إلى أربعة مسائل:

١- إن محور الشريعة هو حكم الله

٢- المصدر الوحيد الذي ينبثق منه حكم الله هو الإرادة الإلهية

٣- الأدلة الشرعية هي الكاشف الوحيد عن إرادة الله

٤- الأدلة الشرعية إما عقلية أم نقلية، و الأدلة النقلية إما الكتاب أم سنة

المعصومين عليه السلام

و المُحصّل من هذه المسائل الأربعة هو أن العقل كالنقل و ما يتفرع منه - كالكتاب و السنة، و ما يتفرّع من السنة أيضاً كالخبر الواحد و المتواتر و الإجماع و الشهرة الفتوائية و الروائية و ... - يتمتع بالحجية و الكاشفية عن إرادة الله و

حكمه. و من هنا فإن العقل الأصيل كالنقل المعتبر حجة إلهية و لا فرق بينه و بين سائر الأدلة الشرعية. و يتضح أيضاً أن العقل لا يُقابل الدين و لا يعدّ أمراً منفصلاً عنه، بل العقل يُقابل النقل. و إن نداء و محتوى أي دليل عقلي أم نقلي يمتلان نداء الدين و محتواه أيضاً.

و إن أمعنا النظر في التعامل بين العقل و النقل و عدم الفصل بين الميادين الحقيقية لهما لا تضح جيداً بطلان الفصل بين المنهجية و الإيديولوجية و عندها لا يمكن القول بأن بيان الإيديولوجية على عهدة الشارع و المنهجية على عهدة العقل لأن أصل التمايز بين المسائل المقتبسة من المتون النقلية للدين و المسائل المستقاة من العقل لا علاقة له بأنهما منضويان تحت أصل شرعي و ديني و الشارع يؤيد كلا المجموعتين من دون أي فصل و تمايز بينهما.

و بعبارة أخرى كما أن النقل المعتبر حجة الله فإن العقل الأصيل أيضاً حجة الله و لا فرق بين محتواه أياً كان - سواء كان فقهاً أم أصولياً، توصلياً أم تعبدياً - و بين محتوى الدليل النقلي. و لهذا لا يوجد هناك فرق في المسائل الاجتماعية و السياسية الإسلامية بين الأحكام المأخوذة من المتون الروائية و القرآنية و بين النتائج الحاصلة من العقل البرهاني و كلها تدخل ضمن النظام السياسي و الاجتماعي.

و بعبارة أخرى، لا يختص نظام الإسلام السياسي و الاجتماعي بالمسائل المشار إليها في المتون الدينية مباشرة، بل يشمل الإشارات الشرعية الناتجة من العقل، و المتون الدينية أيضاً مليئة بالتصريح بصحة إسنادها.

و هنا نسترعي الانتباه إلى نقاط عدة:

- ١- العقل يُقابل النقل لا الدين. و إن تقسيم الشيء إلى عقلي و شرعي تقسيم خاطئ، بل الصحيح تقسيمه إلى عقلي و نقلي.
- ٢- حجية العقل مشروطة ببعض الشروط كما أن حجية النقل أيضاً مشروطة ببعض الشروط.
- ٣- العقل غير القياس لأن العقل حجة و القياس ليس بحجة.
- ٤- لقد تبينت مسألة عدم حجية القياس في أصول الفقه و قبلها في فنّ المنطق قبل بيانها في الفقه لأن عبارة المنطق في العصور الغابرة قد أفتوا بأن القياس الفقهي الذي هو نفس التمثيل المنطقي، إن لم يقترن بالبرهان فهو ساقط عن الاعتبار.

إسلامية الجامعة في ضوء المتون الإسلامية

من أجل أن تكون الجامعة إسلامية لا بد و أن تكون المتون الدراسية إسلامية أيضاً، و معنى ذلك أن ينصبّ الاهتمام إلى الجانب الفاعلي و الغائي للأشياء و أن يتم البحث في خلقه الله بدلاً من الحديث عن الطبيعة. أما الآن فقد أحلّوا الطبيعة محلّ الله و بدل الحديث عن سير المخلوقات في خلقه الله بأن مبدأها من أين و ما لها إلى أين يدور الكلام عن الطبيعة و صنيعها و مقتضياتها. و لكن إن دار الحديث عن الخلق فسيؤول البحث إلى خالقه و مدبره و بالتالي إلى مسؤولية الإنسان أيضاً و أما إذا دار الكلام عن الطبيعة فعند ذاك لا تثبت أية مسؤولية للإنسان.

ما هي الطبيعة حتى يكون الإنسان مسؤولاً أمامها؟ أمام أي شخص يكون الإنسان مسؤولاً؟ كيف تتصرّف الطبيعة مع الإنسان بعد موته؟ إلى أي مستوى يمتدّ نفوذ الطبيعة؟ من الذي خلق الطبيعة؟

إن كان المراد بالطبيعة هو موجود عليم حكيم قدير مدير و مدبّر فهو الله الذي أطلقوا عليه اسم الطبيعة و إلا فإن الطبيعة ليست إلا أوهام و خرافات. و إن تُرك الاستناد إلى الطبيعة في المتون الدراسية و استُبدل بالخلقة الإلهية، فإن قداسة العلوم الجامعية عندئذ لا تقلّ عن العلوم الحوزوية إن لم تكن أفضل منها لأن الحديث في العلوم الحوزوية عن «قول الله» و في الجامعة عن «فعل الله». و إن هذه الرؤية لعالم الخلق تسوق الإنسان إلى التقوى و إلى الاتصاف بصفات الملائكة. و في هذه الصورة لا يسند أي ظاهرة إلى غير الله و يعتبر الأمور بأسرها من عند الله. فتارة ينظر إلى أمر الله العام حيث يُدير نظام الخلق على أساس العلة و المعلول، فقد يُسيّر الفلك عبر الرياح و قد يُسيّرهما بأمر خاص كما في سفينة نوح حيث كانت تسير و تقف من خلال قول ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: ﴿قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾^١، و في ظهور الماء أيضاً تارة و عبر طريق اعتيادي يُسيّر الغيوم بواسطة الرياح و يُحمّلها و يأمرها بإرسال أمطارها إلى الأرض و أخرى و عبر طريق غير طبيعي يفور الماء من التنور كما حدث في طوفان نوح: ﴿وَقَارَ التَّنُورُ﴾^٢.

١. سورة هود، الآية ٤١.

٢. سورة هود، الآية ٤٠.

عندما يدور الكلام عن الريح والمطر يتم البحث عن رسالة الريح ومهمة المطر أيضاً. فإن الرياح تتكفل رسالة الله في نظام التكوين لتحمّل النباتات والغيوم وتسيرها. وقد عبّر القرآن الكريم عن المطر بالرحمة حيث قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^١.

فإن الرياح تهبّ قبل نزول الرحمة مبشرة ثم تحمل الغيوم الثقيلة على عاتقها وتحمّلها ومن بعد ذلك تهبط إلى الأرض التي تُساق إليها ويكون نزول المطر على نحو قطرات: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾^٢، إذ لو كان نزوله بصورة شلال لما كان مفيداً بل يوجب تلف المزارع وخراب البيوت والدمار.

فالمهم التوجه إلى رسالة الريح والماء وكونهما في يد قدرة الله تعالى كما قال: ﴿سُقِنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾^٣؛ نحن الذي نسوقه ونقوده. فالسائق هو الذي يهدي من خلف والقائد الذي يهدي وهو متقدم والله قائد لأنه «هو الأول» و«سائق لأنه «هو الآخر».

مع ملاحظة ما ذكر يتضح أن جميع العلوم إسلامية ولا يمكن أن يتصف علم بالعلمانية وأما إذا صادر الإنسان عقله واعتبر هذه الثروة الإلهية من عند نفسه

١. سورة الأعراف، الآية ٥٧.

٢. سورة النور، الآية ٤٣.

٣. سورة الأعراف، الآية ٥٧.

و أعرض عن حجية معطياته عندها لا يعتبر أوامر العقل إلزامية و بالتالي يُقسّم العلم إلى إسلامي و غير إسلامي.

كون العلم النووي علم إسلامي و المنع من استخدامه الضارّ

في غضون ما ذكرنا سابقاً من أن جميع العلوم إسلامية و مبدئياً لا يوجد علم غير إسلامي في الرؤية الكونية الإلهية، يُطرح هنا هذا السؤال و هو أن العلوم المضرة بالمجتمع البشري كالسحر أو تعلّم العلم النووي و صناعة و إنتاج الأسلحة الكيماوية و الجرثومية و تعلّم صناعة الأسلحة النووية التي تهدّد البيئة هل تعدّ من العلوم الإسلامية؟

و الجواب أن العلم هو معرفة العلاقة الحقيقية بين الأشياء التي هي فعل الله سبحانه. فإن معرفة نظم النواة الداخلي و كيفية تركيبها و تحليلها غير محظور، و إنما المحظور هو إنتاج أسلحة الدمار الشامل و أما الانتفاع الصحيح منها الذي يُقرّره العقل و النقل فهو جائز بل لازم إن كان فيه بعد و قائي. كما قيل في السحر أيضاً أن بالإمكان من خلال هذا العلم إفشال ادعاء المتنبئين و المدّعين للنبوة أو الإمامة أو أي شيء آخر و إبطال تأثيره السيء.

غزارة الأصول و الكلمات الجامعة في القرآن و الحديث حول الإنسان و العالم

بعد بيان سعة دائرة العلوم الإسلامية و الشعاع الواسع للعلوم الدينية يتضح بأن ما ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام «علينا إلقاء الأصول إليكم و عليكم

التفرّع^١، ناظر إلى الاجتهاد في جميع فروع العلوم الإسلامية و لا يختص بالفقه، بل لابد من القول أن الأصول و الكلمات الجامعة القرآنية و الروائية في العالم و الإنسان و كذا رسم الخطوط العامة للرؤية الكونية لا تقل عن الروايات الفقهية بتاتاً و كما تم تدارس بعض النصوص الدينية دراسة أصولية بالاستمداد من القواعد العقلية و القوانين العقلائية لتكون مفتاحاً لفهم المتون الدينية، ينبغي أيضاً بنفس الآليات الفنية مداولة بعض النصوص الدينية الأخرى الصادرة كأداة لمعرفة العالم و الإنسان و تبيان آليات معرفة سائر العلوم و الفنون معرفة اجتهادية و من ثمّ التعرض للنصوص الواردة في الرؤية الكونية و التاريخ و السيرة و الأخلاق و الصناعة و البيئة و أمثالها.

معى إسلامية بعض العلوم

لا ينبغي التوقع بتاتاً بأن معنى إسلامية العلوم - كعلم الطبّ مثلاً - هو أن تكون جميع قواعده الصغيرة و الكبيرة واردة في الأحاديث كالصلاة و الصوم، كما أن معنى إسلامية علم الأصول أيضاً لم يكن و ليس كذلك، لأن المسائل العقلية و العقلائية الكثيرة و كذا الاصطلاحات الأصولية الغزيرة المشهودة في هذا الفن المتراكم لا يوجد لها أثر في القرآن و الأحاديث.

و في هذه الصورة يستعيد الاجتهاد الفعّال معناه و يُسلك الطريق الأمثل لرأب الصدع و سدّ الثغور، إذ بعد وضوح فسحة ميدان العلوم الإسلامية و بيان

معنى إسلامية الفنون، يكون اجتهاد المظطلع البارِع و الخريّت الماهر خير وسيلة لتأمين التحضّر العلمي للمجتمع الإسلامي و إن تغيير عالم بالطبيعة أو التربة أو المنجم رأيه لا يضرّ بصيغة علمه الدينية، كما أن رجوع الفقيه أو الأصولي أو المُفسّر عن رأيه لا يضرّ بإسلامية العلوم المذكورة. و في الواقع فإن المظطلعين في الفنون الإسلامية هم بمثابة المفسرين التجريبيين للقرآن الكريم إذا طابَقوا الفهم الرئيسي على أصول الدين المبدئية و المعرفية.

تأثير الوحي في ازدهار العلوم الإنسانية

أشرنا فيما مضى إلى إن فنّ البيئَة الشريف و إن كان من ناحية يرتبط بالعلوم الطبيعية و التجريبية بيد أن مهارته و كيفية حياة البشر و تأمين صحته و نشاطه صبغة العلوم الإنسانية و من جانب آخر له اتجاه ديني كذلك؛ و من هنا لا بد من البحث في تأثير الوحي على ازدهار العلوم الإنسانية. لأنّ العقل و الوحي أحدهما في طول الآخر لا في عرضه و معنى ذلك أن العقل البرهاني و إن كان كافياً بل كاملاً في العلم بأصل المعارف في الجملة، إلا أن الوحي الإلهي في التعريف بجميع معارف عالم الوجود ضروري و أكمل من العقل البرهاني، و من هنا فما يفهمه العقل المُبرهن يُؤيّد الوحي السماوي و ما لا يفهمه و لا سبيل له إليه يُوجّه الوحي السماوي و يُثير دقائمه العلمية عبر البحث و الاستنباط و يُوصل المعارف الحاصلة لديه بالقوة إلى الفعل و يُبين له الحقائق التي كان يعلمها غامضة مُبهمة بصراحة و وضوح. و الحاصل أنه يجبر ضعفه و يرفع نقصه.

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في دور الأنبياء إزاء التعاليم الإنسانية: «و يُتبروا لهم دفائن العقول (المدفونة تحت غبار الكفر و المستورة إثر ظلمة الضلالة و التيه) و يروهم آيات المقدرة...^١. فيتجلى أثر العقل البرهاني في ضوء الوحي الإلهي و ينمو بالاستلهام من الأوامر السماوية و يستضيء بنورها.

تبيين الوحي للأنظمة الداخلية و الفاعلية و الغائية للأشياء

إن الوحي السماويّ هو كلام الله المحيط بجميع عالم الوجود إحاطة تامة و الذي لا يصدر منه إلا واحد واسع شامل (لا واحد عددي) و إن عالم الخلق بأسره ليس إلا نظام حقيقي واحد، و لذا فإن أراد الله الحديث عن شيء من منظومة عالم الخلق، يُبينه مترابطاً مع تركيبية عالم الإمكان و للأخير أيضاً صلة لا انفصام لها مع مبدأ الخلق بحيث يبدو جلياً بعد صلة ذلك الجزء بأول سبب موجد له فلا يمحصر تعريف شيء بتاتاً بفرز دائرة نظامه الداخلي و لا يكتفي بشرح مادته و صورته و لا يقنع ببيان جنسه و فصله و لا يقتصر على توضيحه و على ذكر ماضيه و حاضره و مستقبله المادي و لا يعتبر الوقوف على سيره الأفقي و تطوراته المادية كافياً.

إهمال بعض العلوم التجريبية و الإنسانية للنظام الفاعلي و الغائي للأشياء

و بيان ذلك أن بعض العلوم الإنسانية و العلوم التجريبية ناظرة إلى بيان الأدوار السالفة لموجود مادي و تحولاته الفعلية و تطوراته المستقبلية على خطأ

الزمن و الحركة و المادة و ما شاكلها و هذا هو الاقتصار على التاريخ الأفقي للموجود المادّي. و بعبارة أخرى تبحث في خصوص دائرة نظامه الداخلي؛ فعلى سبيل المثال تقوم في علم البيئة أو المعادن أو الطبّ أو الهندسة أو النجوم أو باقي فروع العلوم التجريبية و كذا بعض العلوم الإنسانية بشرح تحولات الموجودات الماضية و الحالية و المستقبلية و البحث في نظامها الداخلي، و لكن لا تتحدث عن نظامها الفاعلي و نظامها الغائي أيضاً؛ فمثلاً في بيان كيفية ظهور المنجم في قلب الأرض أو نشوئه في وسط الجبل و المراحل التي مرّت عليه و تحولاته الفعلية و تطوراته المستقبلية، لا يقع الكلام في موجد هذا الموجود المادي و أن الموجد لو كان موجوداً لاحتاج إلى موجد آخر حتى تصل السلسلة إلى علة الإيجاد و هو مبدأ «واجب الوجود» الذي وجوده عين ذاته و هو غنيّ محض و يقضي حاجة كل محتاج بالكامل.

و الحاصل أنه لا يتم البحث في النظام الفاعلي لهذا الموجود كما لا يدور الكلام عن هدفه أيضاً و أن هذا الهدف لو كان بنفسه موجوداً هادفاً حتى تنتهي السلسلة إلى غاية الأهداف و هو هدف «واجب الوجود» ذو الكمال المطلق الذي هو عين ذاته، لا يحتاج إلى كمال مفصول عن ذاته و ذاته هي الهدف الأخير لجميع الموجودات الهادفة و المحصلّ أنه لا يدور الحديث في «النظام الغائي» لهذا الموجود.

فقد اكتفت فروع العلوم التجريبية و كذا بعض العلوم الإنسانية ببيان «النظام الداخلي» للأشياء و لم تخض البحث في «النظام الفاعلي» و «النظام الغائي» لها

بل توكل هذه الأبحاث إلى الرؤية الكونية و تنظر إليها و تتعرض لها مبتورة عن المبدأ و المعاد. و من الواضح أن مثل هذه الدراسة في تفسير موجودات العالم و إن تصدت لبيان نظامها الداخلي بيد أنها مقطوعة عن نظامها الفاعلي و مبتورة عن نظامها الغائي. و بعبارة أخرى يُمثل عنوان الخلق هوية جميع الموجودات العينية فإن سلبنا هذا العنوان الخاص المقرون بالارتباط التكويني مع الخالق لما بقي أثر للإسلامية في المعلوم.

أثير الغفلة عن النظام الفاعلي و الغائي في البيان الناقص لأسرار العالم

التعرض للنظام الداخلي للموجودات و إهمال مبدأ هدفيتها و مقصدها إنما هو بيان ناقص و تفسير قاصر لأسرار العالم و الحرمان من الكثير من الفوائد القيمة لمعرفة أسراره و الوقوع في هاوية السيئات التي لا حصر لها و مصاديقها البارزة مشهودة في عالم العقل بلا وحي و العلم بلا عقل، بيد أن الوحي الإلهي في تبيان موجودات العالم يعتبر كل واحد منها «آية» و علامة لمبدأ العالم و في ضمن توجيهها و تفسير مراحلها الماضية و تحولاتها المستقبلية و توضيح سيرها الأفقي، يتعرض لتبيين نظامها الفاعلي و المبدأ الأول لها و كذا لشرح نظامها الغائي و الهدف الأخير لها و هو ربّ العالم و يذكر سيرها العمودي إلى جانب بيان سيرها الأفقي معتبراً وجود ارتباط بين هذين النظامين الفاعلي و الغائي اللذان يمثلان الجناحين القويين لجسم النظام الداخلي للعلوم التجريبية و بعض العلوم الإنسانية و يهب لها قوة الطيران و يسوقها من الجمود و الركود إلى

الحركة و النشاط و يجعل الميدان الواسع للرؤية الكونية الإلهية نُصب عينها و يدها بشكل جليّ على مسير الطيران و يحثّها على ذلك.

و على سبيل المثال فإن هذه الآية القرآنية تشير في جملة مختصرة إلى هذه النُظْم الثلاثة: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾؛ أي أن ربنا أعطى كلّ شيء نظامه الداخلي و زوّده بمستلزمات كماله ثم هداه و دلّه على هدفه الحقيقي.

تكامّل الوحي في ضوء بيانه للنظام الفاعلي و الغائي

لقد طرّح هذا الأمر بشكل جليّ في جميع القرآن الكريم حول موجودات العالم؛ فإنه يتعرض في تفسير أي موجود من الموجودات السماوية أو الأرضية و من الموجودات الحية أو التي لا نفس فيها و من النباتات و الحيوانات و البشر و ما شاكلها خلال شرح نظامها الداخلي، إلى توضيح نظامها الفاعلي و تبين نظامها الغائي و بالتالي يضع هذين الجناحين القويين للرقىّ نحو التعالي في بدن النظام الداخلي لجميع فروع الدارسة و البحث في شأن الموجودات و يُحييها و يسوقها إلى الطيران و يُبدّل العلم إلى العقل و المعرفة إلى البصيرة و يوصل الفكر إلى الشهود و يُطبّق معطيات العقل النظري بالتنسيق مع العقل العملي و ينقل المفاهيم الذهنية إلى أعيان خارجية و زبدة الكلام أنه يجعل الإنسان «المتخصص» «مُتشرعاً» و «المحقق العلمي» «متحققاً عملياً» و «المنظر»

«متعبداً» و «المُبدع الفني» «ملتزماً دينياً» و «المُخترع الصناعي» «متديناً» و بالتالي يُثير الفكر الحام حتى ينضج. و فيما يلي نشير على سبيل المثال إلى بعض موارد ازدهار العلوم في ضوء الوحي الإلهي.

المورد الأول

تبيين النظام الداخلي و الفاعلي و الغائي للسموات و الكواكب في القرآن يقول الله في تبيين نشوء السموات و كيفية استوائها بغير أعمدة مرئية و جريان الكواكب و النظم و النسق الخاص للشمس و القمر: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^١. فتعرض في هذه الآية ضمن بيان النظام الداخلي للسموات و الكواكب، إلى نظامها الفاعلي و نظامها الغائي كذلك؛ أي أنه عنى بمسألة التوحيد و بمسألة المعاد أيضاً.

المورد الثاني

تبيين النظام الداخلي للأرض و الإشارة إلى نظامها الفاعلي و الغائي في القرآن

يقول الله في بيان امتداد الأرض و إرساء الجبال التي سببت كالأوتاد استقرارها و كيفية تربية الثمرات و الأشجار في المزارع المتنوعة و استقائها

بأسرها من ماء واحد و غرسها بأجمعها في أرض واحدة: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّضُ لُبَّغُضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَابًا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^١.

فعمدت هاتين الآيتين ضمن توضيح النظام الداخلي للأرض الواسعة و الجبال الراسية و الأنهار الجارية و مسائل الزراعة و غيرها إلى بيان نظامها الفاعلي و نظامها الغائي كذلك؛ أي أنهما تعرضا للتوحيد و للمعاد أيضاً، و لكن هناك اختلاف بين طريقة بيان النظام الفاعلي في هاتين الآيتين حيث أشير في الآية الأولى من الوحدة إلى الكثرة، أي أن الله الواحد هو الذي مدّ الأرض و جعل فيها جبالاتاً رواسي و أنهاراً جارية و، و لكن تمت الإشارة في الآية الثانية من الكثرة إلى الوحدة، أي أن السير ثنائية للأرض الواحدة ذات القطع المتجاورة و في كل قطعة مزارع و ثمار خاصة مع أن قطع أرض تلك المزارع متشابهة و تُسقى كلها بماء واحد، يهدي الإنسان العاقل إلى المبدأ الواحد. ثم تبين مسألة المعاد و الخلق بعد الموت من جديد. فالحاصل أن عنوان الخلق مقوم هوية الأرض و ما شابهها و لا يمكن معرفة شيء من دون معرفة مقومه بتاتاً و لا يتأق معرفة الخلق من دون معرفة الخالق و إن عمل الخالق الحكيم هادف لا محالة.

المورد الثالث

بيان النظام الداخلي لخلق و تربية الأنعام و الإشارة إلى نظامها الفاعلي و الغائي.
يقول الله في بيان خلق الأنعام و كيفية تربية الحيوانات و الاستفادة من
قطعان الأنعام و جمالها حين الذهاب إلى المرعى و العودة منها و ما يتعلق
بالحيوانات الأهلية و مسائل أخرى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءًا وَمَنَافِعُ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ
أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْأُنْفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ *
وَالْحَنَاطِلَ وَالْبِعَاطَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾!

فقد تعرضت هذه الآيات خلال بيان النظام الداخلي لخلق و تربية الأنعام
(علي أساس إلقاء الأصول و تفريع فروعها) إلى نظامها الفاعلي و هو التوحيد.
و في نهاية هذا البحث أشارت إلى نظامها الغائي أيضاً حيث قالت: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ
وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي لا بد
من الاهتمام بالنظام الفاعلي و الإيمان بالنظام الغائي كذلك.

المورد الرابع

بيان النظام الداخلي لظهور الغيوم و نزول المطر و الإشارة إلى نظامها
الفاعلي و الغائي.

١. سورة النحل، الآية ٥-٨.

٢. سورة النحل، الآية ٢٢.

يقول الله في بيان ظهور الغيوم و التأليف بينها و جعلها ركاماً و نزول المطر من بينها و تكوين الغيوم المتلبدة في الفضاء كالجبال السماوية ينزل منها البرد و كيفية توزيعه و طريقة إضاءة البرق و سائر المسائل المختصة بتنظيم الليل و النهار و بيان خلق الحيوانات المختلفة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْزِجُ سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يَغْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ * وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١.

فأشارت هذه الآيات ضمن بيان تأليف الغيوم و المطر و البرد و البرق و ... إلى النظام الفاعلي بأن الله القادر على الإطلاق هو الذي خلقها و أنشأها و أدارها و إلى نظامها الغائي معتبرة بأنها كلها آيات لله و متعرضة للهداية إلى الصراط المستقيم الذي ينتهي إلى الهدف و المعاد؛ أي أنها تعرضت بعد تعليم النظام الداخلي للظواهر الجوية و ما شاكلها إلى النظام الداخلي و نهاية سلسلة الخلق في طول العلل و هو ربّ العالمين و إلى النظام الغائي أيضاً و نهاية سلسلة الأهداف و الغايات عبر الصراط المستقيم و هو الهدف الذاتي و الغاية النهائية؛ لأن الصراط المستقيم هو الذي ينتهي إلى هدف حقيقي.

و الملخص أن القرآن الكريم في تبيان الموجودات المادية و المجردة الأرضية و السماوية، و البحرية و البرية، و ذوات الأرواح و التي لا نفس لها و الجوية و غير الجوية و ... يبين أولاً نظامها الداخلي بشكل مختصر مفيد، ثم يتعرض لنظامها الفاعلي و نظامها الغائي أيضاً، بل يتمحور الشطر الأوفى من البحث في بيان التوحيد و المعاد و مبدئها و منتهاها في السير العمودي و لا يعتبر مطالعة متن النظام الداخلي للأشياء من دون التوجه إلى هذين النظامين كافياً بتاتاً.

نماذج من ازدهار العلوم في ضوء الوحي

و هنا لا بد من ذكر نماذج من ازدهار العلوم في ضوء الوحي لبيان تأثير المعطيات السماوية في العلم و المعرفة البشرية.

بيان كيفية استخدام القوة بواسطة الوحي

إن ما يُوقّره الإنسان عبر الفكر هو القوة و القدرة، و لكن لا يعرف جيداً كيفية استخدامها و تشخيص مواطن الانتفاع بها و معرفة منافعها و مضارّها بيد أن الوحي السماوي يبيّن جيداً طريقة استخدامها فيقول مثلاً كأصل شامل و أمر عام: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾؛ فقد أوضح عبر هذه الهداية الشاملة و القيادة العامة كيفية استخدام جميع القوى المادية و المعنوية.

صناعة أفضل الأدوات الدفاعية من أشدّ الوسائل الهجومية

بعد أن لان الحديد الصلب للنبي داود عليه السلام بالإعجاز الغيبي، جاء أمر الوحي الإلهي أن يستخدمه في صناعة الأسلحة الدفاعية لا المُخرّبة قاتلاً: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اْعْمَلْ سَابِقَاتٍ وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ وَاْعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^١، فأمره أن يصنع دروعاً وسيعة بحلقات هندسية و ثقوب متناسقة.

النقطة المهمة هي أن يُصنع من أشدّ الوسائل التخريبية أفضل الأدوات الدفاعية و من أقوى القدرات الهجومية أدقّ الصناعات الدفاعية و من أسمى مظاهر الهجوم و القمع أفضل أسباب المقاومة و الصمود. و زبدة البحث أنه قد انصبّ السعي في الكلام عن الحديد الذي فيه «بأس شديد» و فيه «منافع للناس»؛ ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾^٢، في بعده النافع لا في بعده الخشن و القاتل و المُخرّب.

إرشاد الإسلام في بيع السلاح للفتنات الباطلة و المتخاصمة

إن شبّ القتال بين فئتين من أهل الكفر و الباطل و اندلعت نيران الحرب و راجت سوق السلاح في خضم هذه الأزمة، يتصدى في هذا المجال العلم البشري الذي يُستعمل في خدمة الأرباح الدنيوية العابرة لتصنيع الأسلحة المُخرّبة و يبذل واسع جهده لبيعها للطلاب، بيد أن الوحي السماوي قد بيّن

١. سورة سبأ، الآية ١٠-١١.

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥.

مسار الإنسان في هذه الكارثة الرهيبة والحدث المرّ بشكل جيد و يقول في هذا الشأن بأن هاتين الفتيتين و إن كانتا من أهل الباطل على الافتراض المذكور و لم تكونا من المسلمين و أهل الحق، و لكن لا ينبغي بيع السلاح المُخرّب و القاتل لهما، بل لا بد من وضع الأسلحة الدفاعية بين أيديهما.

فقد روي عن هشام عن محمد بن قيس أنه قال: سألت أبا عبد الله عن الفتيتين يلتقيان من أهل الباطل أبيعهما السلاح؟ فقال: «بعهما ما يَكْتَهُمَا؛ الدرع و الحَفَيْن و نحو هذا»^١.

فإن هذا أمر إسلامي إنساني حيث لا يُجيز لأحد أن يستغل هذه الفرصة المرّة حيث نيران الحرب مستعرة أو أن يُهَيأ أرضية الدمار و القتل عبر بيع الأسلحة الهجومية أو أن يتسبّب من خلال التمييز و الانحياز إلى عرق خاص أو صنف مشخص أو حزب معين أو جمع محدد استعلاء فئة على أخرى و تأمين طموحها التوسعية و بالتالي يقوم بإرساء ركائز الاستكبار، بيد أن الإنسان الحرّ المتحرّر من أغلال الحرص و شراك الطمع و سلاسل اكتناز الأموال و فتح الجشع مُكَلّف بالبيع لكلا الفتيتين المتخاصمين المتقاتلين لا البيع لفئة واحدة و أن يبيعهما سلاحاً دفاعياً لا مُدمراً و ذلك لصيانة دماء الناس من أبناء جنسه و الحؤول دون التخريب و الهجوم و الدمار، و لذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «بعهما ما يَكْتَهُمَا؛ الدرع و الحَفَيْن و نحو هذا»؛ أي بع كلا الفتيتين ما يكون حافظاً و حارساً لهما و حائلاً دون إراقة الدماء كالدرع و ما شابهه.

ازدهار العلوم السياسية في ضوء الوحي

لقد رسم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الهندسة الإسلامية و نموذج السياسة الإلهية في كتابه إلى مالك الأشتر حيث بيّن فيه كيفية استخدام القدرة المركزية و حدّد طريقة استعمال القوة السياسية و اعتبر مجال نفوذ الحكومة محدوداً بمحدود العدالة قائلاً: «و لا تكوننّ عليهم سُبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^١.

فقد تجلّى في هذا الأمر السياسي الذي هو مظهر للوحي الإلهي ازدهار جزء من العلوم الإنسانية بشأن الحكمة العملية و هي سياسة المجتمع بوضوح؛ لأن الإمام عليه السلام قد حصر كيفية استخدام العلم السياسي و حقوق الناس بدائرة العدل و لم يسمح بتاتاً اجتياز حدوده المقدسة حتى بالنسبة لغير المسلمين و هذا هو ازدهار علم سياسة المجتمع في ضوء الوحي الإلهي.

فمن الواجب أن تحوم رسالة الثورة الثقافية حول هذه المسائل المذكورة لكي تنال العلوم الإنسانية ذروة ازدهارها و تصل العلوم التجريبية أيضاً إلى قمة سموها و بالتالي فكما يُدوّن و يُدرّس «النظام الداخلي» في الفروع التخصصية، ينبغي التعرض أيضاً لنظامها «الفاعلي» و «الغائي» الذي يوجب التعهّد و التعبّد الديني و يتم تطبيقهما جنباً إلى جنب ليظهر العلم بمظهر العقل و يقترن التخصص بالتعهّد الإلهي.

الفصل الثالث

علاقة الأعمال الحسنة و السيئة
بالمحوادث الطبيعية

عرفنا بأن القرآن الكريم قد أمر بإعمار الأرض و دعا الجميع إلى ذلك بجدّ و وضع للقيام بهذا العمل المهم الوسائل اللازمة في الطبيعة و هدى البشر إلى الحياة الأسمى عبر العقل من الباطن و أنبياء الله من الظاهر. و السؤال الذي يطرح نفسه للكثير هو أن الله سبحانه نظراً إلى التوحيد في الخالقية خالق كل شيء و فاعل كل فعل فكيف يظهر بين الحين و الآخر زلزال مدمر أو سيل مخرب أو كوارث طبيعية أخرى فتضرب المدن و القرى للحظات قليلة و تخلف فيها الدمار؟ و يمكن طرح هذا السؤال بصورة أعم و هو أنه كيف يتم انتساب الشرور التكوينية لله و ما هو دور الإنسان في مثل هذه الحوادث؟ قبل الدخول في هذا البحث بشكل مبسوط و مستدلّ، لابد من ذكر بعض النقاط.

أهمية البحث

تكمن أهمية بحث الشرور في أن عدم فهمه بشكل صحيح يتنافى و الأصول الاعتقادية لكلّ موحد كالتوحيد الأفعالي و العدل الإلهي و الحكمة الإلهية و النظام الأحسن. و من جانب آخر فإن الكثير من العقائد الشركية و

الأفكار المنحرفة كالاعتقاد بإله الخير والشرّ و مسألة التفويض المزعومة و ...
ناهضة من التحليل الخاطيء لمسألة الشرور والسيئات.

و لا بد من الالتفات إلى أن تحليل هذه المسألة في كلّ واحد من الأصول
المذكورة يحتاج إلى بحث مستقل و ما قيل في بحث لا يمكن الاكتفاء به في
بحث آخر إذ قد يكون الجواب لحلّ المسألة في أصل وافياً و لا يكون كافياً
في أصل آخر.

إن ما نبهته الآن و نجيب عليه هو عدم الانسجام بين الشرور التكوينية و
اقتراف الذنوب و بين التوحيد في الخالقية، أي بناء على عدم وجود خالق في
العالم سوى الله، فمن يكون الخالق للشرور التكوينية (الحوادث السيئة) و
التشريعية (المعاصي)؟

النسبة بين «الخير و الوجود» و بين «الشرّ و العدم»

الخير مساوٍ بل مساوق للوجود، أي أن كلّ خير وجود و كلّ وجود خير،
أما الشرّ فلا يساوي العدم بل أخصّ منه، أي أن كلّ شرّ عدم و لكن ليس كلّ
عدم شرّ. و بعبارة أخرى الشرّ عدم خاص و هو عدم الملكة من موضوع قابل و
مستعد. فالنسبة بين الخير و الشرّ أيضاً عدم و ملكة. إذن فالخير و الشرّ لا
يتحدان مع الوجود و العدم حتى يكونا نقيضين.

و هناك فرق أيضاً بين الخير و النفع و بين الشرّ و الضرر. فالخير و الشرّ
معنيّ بهما من حيث الهدف و نهاية العمل، و النفع و الضرر من حيث الطريق و

كيفية الوصول إلى الهدف. و بتحليل دقيق يعود النفع و الضرر كالخير و الشرّ إلى الوجود و العدم و لكن بالنظر إلى الطريق لا بالنظر إلى الهدف، كالهداية و الضلالة فالهداية أمر وجودي و الضلالة أمر عدمي و كلاهما يُنظر إليهما بالنسبة إلى الطريق خلافاً للسعادة و الشقاوة التي تُطرح في الأغلب مع ملاحظة الهدف و نهاية المطاف.

و لابدّ من الالتفات إلى أن الوجود و العدم تارة حقيقيان و أخرى اعتباريان و علاقة الخير و الشرّ بالوجود و العدم حقيقية لا اعتبارية، بخلاف الحُسن و القُبْح للذاتان هما من مسائل الحكمة العملية و من الأمور المبدئية. فالخير و الشرّ يردان في الحكمة النظرية و المعرفية و الحسن و القبح في الحكمة العملية و المبدئية؛ و إن كان هذا الاختلاف قد لا يُلاحظ في طرح المسائل و يدخل عنوان الخير و الشرّ في الحكمة العملية، كما يدخل الحسن و القبح أيضاً في الحكمة النظرية و يكون المراد منهما الحسن الوجودي أي درجته الأعلى و القبح الوجودي أي درجته الأدنى.

الخير المطلق و النسبي و الشرّ النسبي

الخير و الشرّ إما ذاتيان و نفسيان و إما نسيبان و قياسيان، أي أن وجود بعض الأشياء خير أو شرّ من دون ملاحظة الغير و مع غضّ النظر عن مقارنتها بشيء آخر كالعلم و الجهل، و هناك بعض الأشياء تتصف بالخير و الشرّ من خلال تقييمها و مقارنتها بالغير بحيث أنها من دون المقارنة خير لا شرّ كالأفعى

و العقب و الحيوانات المفترسة التي تتصف بالشر إذا ما قارناها بالإنسان و الضرر الذي تلحقه به أو بحيوآن آخر و إن نظرنا إليها من دون هذه المقارنة يكون وجودها خير.

و إن هذا التقسيم صحيح بالنسبة للخير فقط و أما الشرّ فهو نسبي و قياسي ليس إلا، إذ يتضح من خلال التحليل الدقيق أنه لا يتّصف أي موجود بالشرّ الذاتي و المطلق. نعم هناك بعض الأمور العدمية تتصف بالشر نسبة إلى بعض الأمور الوجودية.

معيار الخير و الشرّ

في التمييز بين الخير و الشرّ لا ينبغي جعل الإنسان و النفع و الضرر الذي يلحق به هو المحور. و لا يسوغ القول بأن ما كان يلائم الإنسان فهو خير و ما لا ينسجم مع حاله فهو شرّ، لأن الإنسان أيضاً فقرة من فقرات عالم الوجود و لا ميزة له من هذا الجانب على سائر الموجودات.

و إن منشأ الكثير من الإشكالات المطروحة حول الشرور هو تقييم خير الأشياء و شرّها من خلال نفع الإنسان و ضرره و لو كان محور القضاء و الحكم هو النظام بأسره و مفردات عالم الوجود بأجمعها لا خصوص الإنسان ستخرج الكثير من المسائل التي تحسب من الناحية الفردية و الجزئية شرّاً من دائرة الشرور بالنظر إلى كلّ النظام.

الحسنة و السيئة في القرآن

قد يُطلق القرآن الكريم «الحسنة» و «الحسنات» و «السيئة» و «السيئات» على أعمال الإنسان الصالحة و الطالحة نظير: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^١. و في مواطن كثيرة يُطلق هذه التعابير على الخير و الشرّ التكويني؛ ﴿وَبَلَّوْا تَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^٢.

الفرق بين «من عند الله» و «من الله»

إن القرآن الكريم في الوقت الذي يُثبّت التوحيد الأفعالي، ينسب السيئات و المصائب إلى الإنسان. و بنظرة ثاقبة - تلك التي يُعبر عنها القرآن بـ«التفقه» و الكثير محروم منها - يتضح أن شمولية التوحيد الأفعالي لا تتنافى مع تنزيه الله سبحانه عن السيئات.

و قد وردت في القرآن الكريم آيتان رئيسيتان تعرض لنا تحليلاً شاملاً و بليغاً عن سبب ظهور الشرور و السيئات التكوينية و كيفية استنادها إلى الله سبحانه: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾^٣.

١. سورة هود، الآية ١١٤.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٦٨.

٣. سورة النساء، الآية ٧٨-٧٩.

يتضح من خلال فهم النقاط الهامة لهاتين الآيتين و لاسيما الفرق بين «من عند الله» و «من الله» أنه كيف تكون المحسنة و السيئة - الخير و الشر - كلاهما «من عند الله» و المحسنة إضافة إلى ذلك «من الله» أيضاً أما السيئة فليست «من الله» بل «من نفسك». و بعبارة أخرى المحسنة «من عند الله» و «من الله» أيضاً أما السيئة فهي «من عند الله» و ليست «من الله» بل «من الإنسان»^١. إن للأشخاص الضعفاء في الإيمان إزاء الأحداث المريرة و الممتعة أربعة أنماط من الحكم:

- ١- إذا ما أحلّ حادث مرير بالآخرين كالهزيمة و الأسر و القتل ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾^٢.
- ٢- و إذا ما أحلّ بالآخرين حادث ممتع كالاتصار على الأعداء قالوا: ﴿يَلَيَّتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^٣.
- ٣- و إن يحلّ بهم حادث ممتع يقولون هذا من عند الله: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسْرَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^٤، و قد يعتبروه لهم كأصحاب النبي موسى عليه السلام الذين كانوا يعتبرون الحسنات لهم - و لعلّ ذلك ناجم مما كانوا يرون لأنفسهم من صلاح :- ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسْرَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾^٥.

١. راجع تفصيل هذا البحث في تفسير التسنيم، في تفسير الآيات المذكورة.

٢. سورة النساء، الآية ٧٢.

٣. سورة النساء، الآية ٧٣.

٤. سورة النساء، الآية ٧٨.

٥. سورة الأعراف، الآية ١٣١.

٤- و إن نزل بهم حادث مرّ نسبوه إلى الأنبياء عليهم السلام و المؤمنين. فقد نقل القرآن الكريم عن بعض معاصري النبي الأكرم عليه السلام أنهم إن تحلّ بهم حادثة مؤلمة قالوا له عليه السلام هذه السيئة من عندك: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾^١، كما نقل عن أصحاب النبي موسى عليه السلام أنهم كانوا يتشاءمون منه و من أتباعه: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾^٢.

ففي مثل هذا الجوّ الفكريّ و في الردّ على مثل هذه الأحكام الباطلة، يفرّق القرآن الكريم بين الحسنات و السيئات و يقول: الحسنات «من عند الله» و «من الله»، أما السيئات فهي «من عند الله» و ليست «من الله».

و السرّ في أن القرآن الكريم ذكر هذه المسائل مخاطباً النبي الأكرم عليه السلام هو أن الأشخاص الضعفاء في الإيمان و المبتلين بالخرافات لا يستطيعون فهم مثل هذه المسائل و لذا قال في نهاية الآية الأولى: ﴿مَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^٣.

الحسنة و السيئة التشريعية

تعرضنا للبحث حول الحسنة و السيئة في مقامي التشريع و التكوين. ففي المقام الأول يأمر الله سبحانه بالحسنة و البرّ و ينهى عن السيئة و القُبْح؛ ﴿إِنَّ

١. سورة النساء، الآية ٧٨.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٣١.

٣. سورة النساء، الآية ٧٨.

اللَّهُ يَا مُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيَّتَى ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ ﴿١﴾، «قُلْ إِنْ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ» ﴿٢﴾.

و يقول في سورة الإسراء بعد إحصاء عدد من الذنوب: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ
سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾^٣، إذن فالسيئات التشريعية لا أنها ليست من الله
فحسب بل قد مُنيت بكرهته ونهيه.

و إن كراهة الله سبحانه ونهيه عن الذنوب تشريعي لا تكويني، لأن مخالفة
نهي الله التكويني يستلزم أن يكون العاصي غالباً والقادر المطلق مغلوباً، وهو
مستحيل عقلاً و مردود في الكثير من الروايات أيضاً.

أقسام الشرور التكوينية

السيئات و الشرور التكوينية على نمطين: إما أمور عدمية نظير فقدان
الوجود و فقدان الفيض كالفقر و الجهل و العجز و ... أو أمور وجودية تظهر إلى
الوجود إثر أسباب و عوامل خاصة بها كالسيل و الزلزال و الحرب و ...
ففي الصورة الأولى التي تكون فيها الظواهر الأليمة أمور عدمية، لا تقع
في حيز الوجود و الموجود من الأساس حتى تُنسب إلى الله أو إلى غير الله،
لأن العدم و فقدان لا يحتاج إلى علة و فاعل حتى نبحت عن فاعله. نعم يمكن
في هذا المجال البحث عن سبب قطع أو إمساك هذا الفيض الخاص من قبل الله

١. سورة النحل، الآية ٩٠.

٢. سورة الأعراف، الآية ٢٨.

٣. سورة الإسراء، الآية ٣٨.

و قد يُستنتج أن أعمال الإنسان السيئة هي السبب في زوال استحقاق تلقي هذا الفيض.

و للحوادث في الصورة الثانية جهتان «الوجود» و «الشر» فهي من جهة الوجود منسوبة إلى الله و من جهة الشر منسوبة إلى الإنسان، إذ قد تقدّم في مقدمات البحث أن الوجود مساوق للخير و الحوادث الأليمة بغض النظر عن العناوين العارضة عليها و التي تعدّ مصيبة للمجتمع البشري، ممكنة الوجود و كلّ ممكن للوجود ينتهي بالواسطة أو بغير واسطة إلى واجب الوجود الغني بالذات.

إذن فأصل الوجود لهذا القسم من السيئات و الشرور من عند الله كما هو الحال في الحسنات و الأحداث المتعة؛ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾^١، و كلّ ما كان من عند الله فهو خير و فيض و نعمة بيد أن الإنسان هو الذي يستبدل الخير بالشر لعدم استغلاله بشكل أمثل، فعلى سبيل المثال يتبدّل ماء المطر بسبب عدم بناء سدّ و هدايته بشكل صحيح من الرحمة الإلهية إلى نقمة سيل مدمر، أو أن الطعام المقويّ و الشافي يتبدّل إلى عامل للضعف و المرض بسبب كثرة الأكل و الاستعمال الخاطيء.

و بعبارة أخرى فإن سنة الله سبحانه الدائمة هي منح النعم و دوام الفيض و لكن الإنسان يبدّل النعمة إلى نقمة بسوء اختياره.

و لا بد هنا لبيان ما ذكر، البحث في مجموعتين من آيات القرآن الحكيم؛ الآيات القائلة بأن سنة الله الدائمة هي نزول النعمة والخير والآيات القائلة بأن تبديل النعمة إلى نقمة سيئة تتحقق إثر سوء اختيار الإنسان. و حصيلة البحث في هاتين المجموعتين من الآيات تتلخص في سورة «النساء» من أن الجانِبِ الوجودي للحوادث الذي هو خير و نعمة من عند الله؛ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾^١، و جانب الشرِّ و القبح فيها ناجم من سوء اختيار الإنسان و من نفسه؛ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكُمْ﴾^٢.

دور الإنسان في تبديل النعمة إلى نقمة

واحدة من الأصول الثابتة في القرآن الكريم هي أن الله لا يسلب نعمة و لا يبدها إلى نقمة، إلا أن يُغَيِّرَ المتنعِّمون ما في أنفسهم من أخلاق و سجايا نفسانية؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^٣.

تبين هذه الآية قاعدة كلية و سنة إلهية مستمرة و هي أن ما كان من عند الله فهو نعمة و رحمة؛ ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^٤، و الإنسان المتَّعمِّ مختار و بإمكانه عبر حسن استخدامه للنعمة أن يُدِيمَهَا على نفسه و أن يتمتع بنعمة

١. سورة النساء، الآية ٧٨.

٢. سورة النساء، الآية ٧٩.

٣. سورة الأنفال، الآية ٥٣.

٤. سورة النحل، الآية ٥٣.

خاصة أخرى من باب الأجر و يمكنه بسوء اختياره أن يبدل النعمة إلى نقمة و أن يستجلب الألم و العذاب لنفسه و يحجبها من فيض الله الخاص؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^١، أي أن الإنسان كما أنه يستطيع بسوء اختياره تبديل النعمة إلى نقمة يمكنه بحسن اختياره استبدال القبيح بالحسن، و بما أن الحسن نعمة على كل حال و النعمة خير و الخير مساوق للوجود فإن الحسنات تكون «من عند الله» و «من الله» كذلك، لكن القبائح و السيئات فهي من الناحية الوجودية المتصفة بالخير و النعمة «من عند الله» و أما من ناحية قُبْحها و سُوئها المتصفة بالشر ليست «من الله» و لا تُنسب إليه بل هي منسوبة إلى الإنسان، و إنَّ عدم نسبة الشرور إلى الله لا يتنافى مع التوحيد الأفعالي لأن جهات الشرِّ و القُبْح فقدان و نقص و عيب و الله سبحانه منزّه عن العيب.

و على هذا الأساس ينسب القرآن الكريم السيئة و المصيبة و الفساد في آيات كثيرة و بتعابير مختلفة إلى الإنسان؛ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^٢، ﴿أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أِنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾^٣، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾^٤، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^٥.

يستفاد من مجموع هذه الآيات و أمثالها التي أشرنا إلى بعضها نفس ما تم التصريح به في سورة «النساء» من أن الحسنات و السيئات من جهة أصل وجودها من عند الله؛ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾^١، و الحسنات أيضاً لاتصافها بالخير و النعمة من الله أيضاً؛ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، و أما السيئات فلاتصافها بالشرّ و القبح من الإنسان؛ ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾^٢.
عندما انتصر المسلمون في معركة بدر و فرّ عدد من الأعداء و أجمع و عُفي عن آخرين، قال الله سبحانه و تعالى مخاطباً النبي الأكرم ﷺ: ﴿أَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^٣.

فعلى الإنسان أن يصل إلى هذه البصيرة و هي أن كلّ ما يملك و إلى أي منزل يرقى فمن فيض الله، لأن قوة الاختيار و الإرادة و هداية العقل و الفطرة من الباطن و الوحي و النبوة من الخارج و سائر أسباب الترقى و التعالي كلها من الله.

فقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه دعا الله سبحانه قائلاً في مقام شكر النعم الإلهية: «فكلما قلت لك الحمد و جب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد»^٤.
فلا سبيل للإنسان إلا أن يكون مظهراً و مجرى لصفات الله و أفعاله و أقواله و إلا فهو حقيقة لا يملك من نفسه شيئاً. و إن هذه البصيرة تؤدي إلى عدم

١. سورة النساء، الآية ٧٨.

٢. سورة النساء، الآية ٧٩.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٢٨.

٤. مفاتيح الجنان، مناجاة الشاكرين.

سقوط الإنسان في وادي العجب و الكبر الهائل؛ أي أن الجمع بين التكامل و التواضع يجعل الإنسان السالك الصالح مظهراً لله سبحانه: «الداني في علوه و العالي في دنوه»^١، لئلا يهبط إلى ضلالة فساد المباهاة التي في غير محلها كما ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في دعائه أنه قال: «و هب لي معالي الأخلاق و اعصمني من الفخر»^٢.

نشأ انتزاع الخير و الشر

إن للأستاذ العلامة الطباطبائي (رحمه الله) بحث مبسوط في استناد الحسنات و السيئات إلى الله سبحانه و عصارته:

إن الحسنة و السيئة - أو الحسن و القبح - مقتبسان من نظام التكوين. فإن كانت التركيبة الباطنية لموجود ما منسجمة و متكاملة في نظام التكوين و لا نقص فيها للوصول إلى الهدف فهو موجود جيّد و حسن، و إن حلّ به نقص من الداخل أو الخارج و فقدّ انسجام أجزائه و تعذّر عليه الوصول إلى هدف خلقته فهو موجود رديء و سيء.

و العدل و الظلم كذلك يردان بنفس المعنى في نظام التكوين. فإن نمت شجرة بشكل طبيعي و لم تتضرّر و أثمرت في أوانها فهي شجرة عادلة معتدلة و إن تضرّرت و قلّ ثمارها لفقدانها تعادل أجزائها الداخلية فهي شجرة ظالمة؛

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٧.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠ (مكارم الأخلاق).

﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ مَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ نَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا﴾^١، فعبر في هذه الآية عما تقدمه الرياض المشجرة من ثمر وافر في نهاية السنة بعدم الظلم.

وقد سرت العناوين المذكورة - الحسنة والسيئة، والحسن والقبح، والعدل والظلم - من نظام التكوين والواقع إلى نظام التشريع والاعتبار. فإن وافق العمل المحكم الشرعي فهو حسنة وإن خالفه فهو سيئة، وقد تم التعبير في الشريعة عن هذه العناوين بتعابير أخرى كالحلال والحرام والطاعة والعصيان. وهذه المسألة جارية في النظام الاجتماعي والأمور العرفية أيضاً، فإن انسجم عمل مع النظام القانوني الحاكم على المجتمع الذي يهدف إلى تأمين سعادة الجميع فهو حسنة وإن خالفه ولم ينسجم معه فهو سيئة.

ثم إن الحوادث الجارية في عالم الوجود قد تتلاءم مع السعادة الفردية والاجتماعية للإنسان وتبعث على الرفاه والصحة والأمل فيه، فينتزع منها الناس عنوان الخير والحسنة وقد تكون الحوادث عكس ذلك مريرة ولا تتسجم مع المتطلبات الفردية والاجتماعية للبشر، ففي هذه الصورة يُنتزع منها عنوان الشرّ والسيئة.

النظام الأحسن

فتحصل مما تقدم أن الحسنة والسيئة من العناوين الإضافية والنسبية التي تُستقى من مقارنة الظواهر والحوادث مع كمال نوع الإنسان أو سعادة أفرادها،

فقد تكون حقيقة سيئة و شرّاً لجمع و حسنة و خيراً لآخرين كقصاص الجانسي الذي هو سيئة للقاتل و متعلقه و حسنة لأولياء الدم. بيد أن أصل وجود حقائق العالم مع غض النظر عن هذه المقارنة خير و حسن و لا يتصف وجود أي مخلوق بالشرّ المطلق و السيئة لأن كل موجود مخلوق لله؛ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^١ و خلق الله كل شيء بقدر لازم و هندسة و نظم؛ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرَهُ تَقْدِيرًا﴾^٢ فوهبت هذه الهندسة و النظم لمخلوقات العالم جمالاً و حسناً؛ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾^٣، فكل شيء من حقائق العالم له حظّ من الحسن على قدر حظّه من الخلقة و الوجود و كلها تسير في نظام متناسق هادف باتجاه مقصد واحد؛ ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^٤.

فتبين من خلال هذه الرؤية القرآنية التي استخرجت من آيات عديدة أن عالم المخلوق بأسره خير و جمال و حسن و مخلوقات الله بأجمعها آيات و علامات تدل على جلال و جمال خالقها و لا يوجد في نظام العالم الأحسن أي موجود باطل و شرّ و زائد.

فكما أن الجنة من آيات الله الجميلة كذلك جهنم في النظام العام جميلة و مناسبة و قد عدّ القرآن الكريم جهنم من النعم؛ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا

١. سورة الزمر، الآية ٦٢.

٢. سورة الفرقان، الآية ٢.

٣. سورة السجدة، الآية ٧.

٤. سورة طه، الآية ٥٠.

المُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءان * فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿١﴾ ، و حتى الشيطان و وساسه المؤذية ضرورية و جميلة في مجموع نظام الاختيار و التكامل لوصول الإنسان إلى المقامات الإنسانية الرفيعة، و إن كانت المقارنة بين النار و الجنة و بين الشيطان و الملَّك تُسبِّب اعتبار القبح في أحدهما و الحسن في الآخر.

نسبيَّة الشرِّ

و أما كون بعض الموجودات شرِّ كالنار و الشيطان فهو أمر نسبي و إضافي؛ أي أن شرِّها ناجم من سوء اختيار الظالم الذي أوقع بنفسه في النار باتباعه الشيطان و أما بالنسبة للمؤمن الصالح الذي نال عالي الدرجات في الجنة عبر اختياره طريق الأنبياء ﷺ و الصمود أمام وساوس الشيطان، فهي ليست بشرِّ له بل تُعدّ خيراً.

و كذا الحيوانات المفترسة و الثعبان و العقرب فإن كلَّ واحد منها في أصل وجوده خير و نسبة إلى الإنسان الذي يوقع الضرر فيه فهو شرِّ و معنى ذلك أن شرِّها نسبي.

و كذلك الحال بالنسبة للحوادث المؤلمة كالزلازل و السيل التي تقع إثر علل و أسباب طبيعية فهي شرِّ لمن ابتعد عن تعاليم الأنبياء ﷺ النافعة و الناهضة عن عقل و تدبير و إلا فالمجتمع المتدين و المتحضر بمعناه الحقيقي قادر على أن

يستبدل السيل المدمر بقوة مفيدة و مؤددة للطاقة و ألا يعيش في مواضع صدع الأراضي المعرضة للزلازل أو أن يقوم لمجابهة الزلازل ببناء بيوت لا تُهدم.

و بناء على هذا فإن كل المخلوقات الإلهية مع غض النظر عن مقارنتها و ملاحظتها مع سائر الأشخاص و الأشياء خير و لا يوجد موجود في حد ذاته شرّ محض، و إن عدت بعض الموجودات من خلال مقارنتها مع الإنسان شرّ لبعض الأشخاص فهو ناجم من سوء اختيارهم و إلا فذلك الموجود الضارّ كالثعبان خير و جميل في حد ذاته.

عدمية الشرّ

هناك بيان آخر للشرور و هو أن مفهوم الشرّ منتزع من «عدم التحقق» و «زوال الفعلية»، فإن لم يتحقق شيء بتاتاً أو كان مستعداً لتلقي كمال و لم يتحقق ذلك الكمال، سيكون عدم تحقق أصل الوجود (ليس التامة) أو فقدان كمال الوجود (ليس الناقصة) هو المنشأ لانتزاع مفهوم الشرّ، و كذلك الحال فيما لو ارتفع أصل الوجود أو كماله عن شيء فإن زوال فعلية الوجود أو كماله هو المنشأ لانتزاع معنى الشرّ.

و إن ملاحظة مصاديق الشرّ الخارجية أيضاً يؤيد هذا التحليل المفهومي، لأن الشرّ لا يكون له مصداق إلا في حالة فقدان أصل الوجود - معنى «ليس» التامة - أو فقدان كماله - معنى «ليس» الناقصة - و أما إذا تحقق أصل الوجود و كماله لشيء فلا يبقى للشرّ مصداق.

و على هذا الأساس قالوا: الشرّ معدوم بالذات و موجود بالعرض، و أيضاً: الشرّ معلول بالعرض لا بالذات. و الحاصل أن الشرّ لا يحتاج إلى مبدأ فاعلي بالذات و ليس له غاية بالذات.

فلا يبقى مجال لهذا السؤال و هو أن مبدأ الشرّ الفاعلي هل هو الله أم غير الله، و لا يمكن القول أنه لو كان الفاعل للشرّ هو الله، فهذا لا ينسجم مع حكمته و عدله و مع النظام الإلهي الأحسن و لو كان غير الله فهو يتنافى مع التوحيد الإفعالي و عموم خالقية الله، إذ ثبت أن الشرّ معدوم بالذات و حقيقته فقدان الوجود أو فقدان الكمال.

العالم العاري من الشرّ

قد يطرح هذا السؤال نفسه و هو أن الشرّ و إن كان معدوماً بالذات و لكن لماذا تتم تركيبية العالم بصورة يكون متضمناً لأشياء فاقدة للوجود أو الكمال حتى تكون سبباً لظهور الشرّ و انتزاع مفهومه؟ و لماذا لم يُخلق العالم بصورة تكون فيه جميع الموجودات كاملة و لا يصاب أي مخلوق بالضرر في وجوده و كماله لتقتلع جذور الشرّ من العالم و لا يقع أي موجود مصداقاً للمعنى الشرّ بالعرض؟ و الجواب أنه قد تبين في فنّ الحكمة أن كلّ موجود وفق الاحتمال الأول لا يخرج عن أحد خمسة أقسام لا تقلّ و لا تزيد، لأن هذا المحصر عقلي و المحصر العقلي يبتني على تقيضين يستحيل ارتفاعهما كاجتماعهما، و الأسلوب المنطقي لبيان هذه الأقسام الخمسة هو أن الموجود إما خير محض أم لا، و في

الحالة الثانية إما شرّ محض أم لا وفي حالة كونه لا خير محض ولا شرّ محض إما خيره غالب أم لا وفي الحالة الثانية إما خيره و شرّه متساويان أم لا. و النتيجة المنطقية لهذه القضايا المنفصلة الحقيقية هي أن كلّ موجود إما خير محض أم شرّ محض و إما خيره غالب و شرّه مغلوب أم شرّه غالب و خيره مغلوب و إما خيره و شرّه متساويان.

و لا يمكن أن يتحقق إلا قسمين من بين هذه الأقسام الخمسة لأن القسم الثاني و هو الشرّ المحض محال ذاتاً، إذ يستحيل أن يكون شيء شرّاً لنفسه و لسائر الأمور و حتى لعلته و معلوله و لا ينسجم معها، لأن وجود الشيء لا هو عين عدمه و لا مقتضى لعدمه.

و تحقق القسمين الأخيرين ممتنع أيضاً لمنافاته مع حكمة الله سبحانه المنزه فعلة عن اللغو و العبث، لأن تحقق موجود يكون شرّه غالباً على خيره ترجيح المرجوح على الراجح و تحقق موجود يكون الخير و الشرّ فيه متساويان ترجيح بلا مرجح و كلاهما باطل.

و بناء على هذا التحليل لا يتحقق من بين هذه الأقسام الخمسة إلا قسمين: أحدهما الخير المحض و الآخر الغالب خيره.

و لكي يتضح أن النظام الموجود هو النظام الأحسن رغم اختلاطه بالشرّ و لا يمكن لعالم الإمكان أن يكون خيراً محضاً لا بد من التعرض إلى أمرين آخرين. أحدهما أنه لماذا لا يستطيع الموجود الغالب خيره أن يكون كالقسم الأول خيراً محضاً و كذا لا يمكن لكلّ الموجودات أن تتصف بالخير المحض و أن تخلو من الشرّ؟

و الآخر أنه لو ثبت عدم إمكان اتصاف كلّ موجودات عالم الخلق بالخير المحض، فما هي الضرورة التي تقتضي تحقق موجود متصف بالشرّ؟ و لم يكن بالمقدور أن يكون هذا القسم أيضاً كالأقسام الثلاث الأخر معدوماً ليرتفع الشرّ عن العالم؟

جواب السؤال الأول هو أن الموجود لو كان مجرداً محضاً فهو خير محض لنزاهته عن المادة و صيانتـه عن الحركة و بالتالي لا يتضرر و لا يلحق الضرر بالآخرين لأن المجرّد مصون من الطوارق الداخلية كالموت و المرض و مأمون من التزاحم و التعارض الخارجي مع باقي الموجودات؛ (لا تزاحم في المجرّدات).

و أما لو كان الموجود مادياً و سعة وجوده و قدرته لا تجتاز دائرة الحركة من القوة إلى الفعل فإن التزاحم و التصادم و بالتالي الشرّ القليل له ضروريّ و حتمي. و جواب السؤال الثاني القائل بأنه ما هي الضرورة لتحقق موجود مادي ملازم للشرّ، هو أنه لو تم بسبب الابتعاد عن الشرّ القليل للوجود المادي الإعراض عن خيره الكثير و عدم تحقق مثل هذا الموجود لاستلزم ترجيح المرجوح على الراجح و هو بنفسه شرّ غالب، لأن تفويت الخير الكثير للصون من الشرّ القليل يستلزم مزيداً من الشرّ.

و قد أضاف شيخ الإشراق (رحمه الله) هنا نقطة أخرى و هي أنه لو انزاح التضادّ و التزاحم عن عالم الوجود لما استدام الفيض الإلهي؛ «لولا التضادّ ما صحّ دوام الفيض على التجدد المستمر»^١، لأن التزاحم و الاصطكاك سبب لنزول

فيض جديد. إذ لو لم تتخذ الموجودات المادية صورة جديدة لنفسها إثر التناقض و التضاد لما تحقق التحول و التكامل و بالتالي لما تجدد الفيض الإلهي و هو مخالف مع دوام فيض الله؛ «دائم الفضل على البرية»^١.
و إن سبب حدوث التصادم و الوقائع الأليمة في حياة الإنسان الفردية و الاجتماعية تارة يكون ناجماً من سوء اختيار الإنسان و أخرى من حركة المجتمع السيئة و أحياناً لابتلاء الفرد أو المجتمع و امتحانهم أو لأسباب أخرى مخفية على البشر. فإن الله سبحانه قطعاً لا يريد أن تصيب الموجودات بأسرها و منها الإنسان أدنى سيئة و ظلم؛ ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^٢.

علاقة الإنسان مع الطبيعة و علاقتها مع الله

بما إن للإنسان علاقة خاصة مع الطبيعة و لمجموع الإنسان و الطبيعة أيضاً علاقة مع الله نبدأ أولاً بالبحث في علاقة الإنسان مع الطبيعة ثم نتعرض لعلاقة الإنسان و موجودات عالم الإيمان مع الله.

أ- علاقة الإنسان مع الطبيعة

علاقة الإنسان مع الطبيعة علاقة تسخيرية لا علاقة «قهر و قسر». و لتوضيح هذه المسألة نقوم في بادئ الأمر بتعريف القسر و القهر من جانب و التسخير من جانب آخر و يُبين الفرق بينهما.

١. مفاتيح الجنان، أعمال ليلة الجمعة.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٠٨.

القسر و القهر هو الضغط و السرعة المفروضة من الخارج و «الفاعل بالقسر» هو الذي يصدر عنه الفعل بضغط و فرض من قبل مبدأ خارجي. و بعبارة أخرى الفاعل الذي يصدر فعله من دون علم و اختيار و على خلاف مقتضى طبيعته فهو فاعل بالقسر، كحركة الحجر إلى الأعلى بالمقلاع حيث تصدر منه بالضغط و الفرض بواسطة مبدأ خارجي و من دون علمه و اختياره و على خلاف مقتضى طبيعته.

و التسخير في موطن يكون فيه الفعل متلائماً مع طبع الفاعل و قد خُلِقَ الفاعل مفروضاً للقيام بهذا العمل و العامل الخارجي يطلب منه منطقياً ما تقتضيه طبيعته. و يُطلق «الفاعل بالتسخير» على الفاعل الذي يعمل تحت تسخير مبدأ آخر حيث يقوم هذا المبدأ بهداية الفاعل المُسَخَّر إلى ما يمكن الانتفاع به على النحو الأمثل، كعمل المزارع الذي يسوق الماء الجاري طبيعياً من الجبل إلى الأرض إلى حيث الأشجار لتستقي منه، و في الحقيقة فإن المزارع قد سَخَّرَ ماء المزرعة، و أما إن تصاعد الماء على نحو فوارة و بالضغط إلى الأعلى يكون فعله «بالقسر» لأن الماء المفروض عليه يتَّجه بالضغط إلى الأعلى على خلاف طبيعته. و إن الله تقدَّست أسماؤه يعتبر علاقة الإنسان مع عالم الخلق علاقة تسخيرية و يقول بأن لكل موجود صفة و أثر خاص به فلو عرف الإنسان هذه الصفة و نظَّمها و قادها بشكل صحيح فقد سَخَّرَ ذلك الموجود، علماً بأن المُسَخَّرَ بالذات و الأصيل هو الله الذي جعل عالم الطبيعة طبعاً و ذلولاً للمجتمع البشري و سَخَّرَهُ للإنسان:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^١.

و إن موجودات عالم الخلق كما أنها تحت تسخير الله سبحانه فهي مُسلمة و ساجدة و مُسَبَّحة له أيضاً: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١، ﴿يَسْبُحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^٢، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^٣، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^٤.

فإن الله الذي خلق الإنسان قد خلق السماء و الأرض كذلك و أمر مجموعة نظام الكون بطاعة الإمام و الإنسان الكامل، فمن كان سالكاً سبيل الله و عبداً صالحاً له و أميناً عرف أمانته و حملها و لم ينقض عهده فيها يكون عالم الخلق تحت تسخيره، و أما إذا خان الأمانة الإلهية فإن نظام الكون لا يخضع لطاعته بل يكون أفضل منه قدراً و منزلة. و من هنا فإن انحرف الإنسان عن الطريق سيقف نفس هذا العالم بوجهه معادياً له و يسوقه إلى هاوية الموت، و نفس هذا الماء قد يتلع الإنسان المجرم كما حدثنا الله سبحانه عن قضية فرعون قائلاً: ﴿فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾^٥، ﴿فَتَبَدَّنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾^٦، و قد يكون هذا الماء أيضاً تحت تسخير الإنسان العاقل و سبباً لتربية الأشياء الحية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^٧، و تارة تتغلب الرياح على قوم و تبيدهم

١. سورة آل عمران، الآية ٨٣

٢. سورة الجمعة، الآية ١.

٣. سورة النحل، الآية ٤٩.

٤. سورة فصلت، الآية ١١.

٥. سورة طه، الآية ٧٨.

٦. سورة الذاريات، الآية ٤٠.

٧. سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

كما قال الله سبحانه: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾^١، و تارة يقضي عليهم بطرق أخرى.

و بناء على هذا إذا اكتسب الإنسان قيمته الوجودية و حافظ عليها و كان أمين الله تكون علاقته مع الطبيعة علاقة تسخيرية، و يكون قادراً على إخضاع السماء فتعمل الغيوم و الرياح و الشمس و القمر و الفلك من أجل أن يحصل الإنسان على لقمة العيش و لا يصرفها في غير محلها، و أما إذا خان الأمانة فستجابه جميع ظواهر نظام الوجود و يكون لها ردود فعل أمامه، لأنها بأسرها خاضعة لإرادة الله لا غير و تعمل بأمره و بطلبه تحفظ حرمة المتقي و تنتقم من المجرم.

ب- علاقة الإنسان و الطبيعة مع الله

إن الإنسان و الطبيعة بل و كل موجودات عالم الإمكان متعلقة و مرتبطة بالله و مملوكة له و هناك ثمة أدلة عقلية و نقلية كثيرة في هذا المجال. و بالاستناد إلى البراهين العقلية و الفلسفية المتقنة لا يتأتى للموجودات الممكنة لكون وجودها «ربط» أن يكون لها ظهور و بروز في أي آن من الآتات و في أي شأن من شؤون عيشها و لا يمكنها مواصلة حياتها من دون فيض الله المطلق. إذ لا يمتلكون من أنفسهم أية استقلالية بل مرتبطون بالله ارتباطاً محضاً. و إن هذا الربط و التعلق الناجم من عليه الله و خلقته لهم ينتهي

إلى مالكية الله التامة لأن تعلق المخلوقات المحض بذات الله القدسية يؤدي إلى أن ينفرد في تدبير العالم و تقديره و هذا هو معنى المالكية التامة. و من جانب آخر فإن الأدلة النقلية و القرآنية أيضاً تؤكد على هذه المسألة على نحو العموم و الخصوص، فعلى سبيل المثال يقول الله سبحانه فيما يخص التأكيدات العامة: ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١ و ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لُهُ قَانِتُونَ﴾^٢.

و يقول حول الإنسان فيما يتعلق بالتأكيدات الخاصة بأنا و هبنا له نعمة الأعضاء و الجوارح: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾^٣، و يستطيع الإنسان أن يستفيد منها لحياته. و يقول أيضاً بأنا أعطيناه الأعضاء للانتفاع بها فصار إثر ذلك يتمتع بالسمع و البصر: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^٤، و لكن يقول بعد ذلك: كن حذراً و لا يخاتلك هذا التوهم بأنك المالك الحقيقي لأعضائك لما تتمتع به من إمكانية استخدامها و الانتفاع بها على النحو المطلوب.

فإن زعم الاستقلال تصور فارغ و سطحي ليس إلا. و إن الإنسان أمين الله لا غير و أعضاء بدنه أمانة بيده. فقد قال الله في هذا الشأن: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾^٥، هذه الآية بالنظر إلى أن «أم» منقطعة تدلّ بالصراحة على

١. سورة آل عمران، الآية ١٨٩.

٢. سورة البقرة، الآية ١١٦.

٣. سورة البلد، الآية ٨-٩.

٤. سورة الإنسان، الآية ٢.

٥. سورة يونس، الآية ٣١.

مالكية الله سبحانه لسمع الإنسان وبصره. و من المسلم به أن الله إن كان مالكاً للسمع و البصر التي هي من منافع الأعضاء فهو مالك للسماعة و الباصرة أيضاً بل إن باقي الأعضاء و كل وجود الإنسان ملك لله و متعلق به.

و قد تمّ التأكيد في آيات أخرى على أن المذنب يظلم نفسه في الحقيقة؛ ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^١، و قد نهي في آيات أخرى عن ظلم النفس؛ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾^٢.

و من الواضح أن هوية الإنسان و نفسه لو كانت من ملكه فلا معنى حينئذ لظلم النفس، لأن عنواني الظالم و المظلوم غير متحدان كالعالم و المعلوم بل لا بد أن تختلف مصاديقهما.

و الحاصل أن الإنسان لو كان مالكاً لوجوده لما صدق على التصرف في شؤون ذاته و فرض أي رذيلة على نفسه و إيداع أي ملكة قبيحة كالكبر و العجب و الحسد و الرياء و أمثالها في هويته عنوان الظلم. فالظلم هو أن يتصرف الإنسان في حق غيره من تلقاء نفسه و يتعدى على حقوق الآخرين و أموالهم من دون إذنهم، لا أن يتصرف في ماله و حقه.

فاتضح أن الهوية الموضوعية تحت تصرف البشر متعلقة بالله و ملك له و أمانة إلهية و الإنسان أمين الله. و لذا يصدق عنوان الظلم على التصرف السيء فيها.

ضرورة وجود الإذن الإلهي للتصرف في المخلوقات

لو كانت هوية المرء ونفسه بهذه الصورة و كان الإنسان لا يملك ما هو تحت اختياره بالكامل و كان لا يؤدي بشأن الأعضاء التي يمكنه التصرف فيها بسهولة و يُعبّؤها لاستخدامه خلال لحظة إلا دور الإنسان الأمين و كان لا يملك ما بين يديه، فإن حاله بالنسبة لسائر الموجودات و الأشياء معلوم من باب أولى و لا يمكنه بتاتاً شعور الملكية بالنسبة لها و اعتبارها من ملكه. و أن يعتمد لمزيد الانتفاع بها إلى تلوّث الطبيعة و يتصرف في البيئة بما يضرّها.

هناك قاعدة عقلية يؤيّدها العرف الدارج بين العقلاء و هي أنّ على من أراد التصرف في ملك الآخرين أن يستأذن المالك حتى لو كان أمانة في يده فلا بد أن يستأذن المستأمن و إلا فليس له حقّ التصرف في ماله.

فلو ثبت أن الإنسان أمين هويته و مالكها الحقيقي هو الله، لا بد أن تقتصر كل تصرفاته و علاقته بالنفس و أبعاض وجوده و الاستفادة من شؤونه العلمية و العملية برضا الله الذي هو المالك المطلق للوجود.

و تجري هذه المسألة وفق قاعدة الأولوية على سائر الموجودات أيضاً من الجبال و البحار و الغابات و المراعي و الثروات الطبيعية و غيرها و الإنسان بحاجة إلى إذن الله لإيجاد الارتباط معها أيضاً، ففي باقي الأمور على خلاف هوية الإنسان لا يوجد حتى توهم الملكية أيضاً و لا سبيل للزعم الباطل من استقلالية التصرف فيها.

و من هنا لابد للإنسان من أجل إيجاد الارتباط مع نفسه و الآخرين و باقي الموجودات و الأشياء أن يأخذ مملوكيته و سائر موجودات العالم نسبة إلى الله سبحانه بنظر الاعتبار و أن يسعى لاستجازه المالك المطلق لعالم الوجود. و إن استجازه الله مرهونة باتباع الأوامر و النواهي التي جاء بها أنبياء الله و رسله في قالب «الدين». و لذا فعلى من أراد اكتساب إذن الله أن يخضع لتعاليم الشرع و أن يجعلها نبراساً لأعماله.

وظيفة الإنسان إزاء النعم الإلهية

واحدة من مباني حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي، علاقة الإنسان الخاصة بالعالم و وظيفته إزاء النعم الإلهية في هذا العالم. و المحور الرئيسي لهذا الفكر هو أن لعمل الإنسان الحسن أو السيء دور مهم في ظهور أو نقيصة نعم العالم. فإن بإمكان الإنسان في أي إقليم و منطقة و بأي خصوصية جغرافية أن يبيلور العالم من خلال عمله و أن يعين دائرة نعم الوجود. و بالطبع لا ينبغي إغفال هذه المسألة و هي أن الله قد يغمر المجرمين بنعمه استدراجاً و ذلك من باب ابتلاء الناس و امتحانهم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾^١.

يظهر من هذا التمثيل القرآني أن الله قد يغمر قوماً بكلتا النعمتين الرئيسيتين و هما الاقتصاد السالم و الأمن ليلوهم أنهم هل يستفيدون من هذه

النعم للوصول إلى السعادة أم لا: ﴿فَكَفَّرْتَ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^١.

و نجد اليوم الكثير من بلدان العالم كأغلب الدول الأوروبية يسودهم هذا الوضع و لو لم يستيقظوا و لم يشكروا نعم الله لتورطوا بمثل هذا المصير.

و هناك آيات أخرى تشير إلى هذه الفكرة أيضاً فيحدثنا القرآن مثلاً عن أرض الحجاز و يقول بأن هذه المنطقة و إن لم تتمتع بموقع جغرافي مناسب و حالة اجتماعية مستقرة و لكنها و لوجود الكعبة فيها - و هي المركز المهم للدين الإلهي - حظيت بكلتا نعمتي الاقتصاد السالم و الأمن: ﴿إِلَيْلَافٍ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^٢.

فيتضح بالنظر إلى هذه المسألة أن بيان وظائف الإنسان الحقوقية بحاجة إلى التعرف على علاقة الإنسان مع العالم و وظيفته إزاء نعم الوجود. و يتسنى التعرف على هذه العلاقة و الوظيفة من خلال رؤيتين متميزتين بالكامل.

فالرؤية الأولى التي علمها القرآن الكريم للبشر هي أن السبب لجعل العالم طبعاً للإنسان و مُسَخَّراً له و وصوله إلى الصلاح و الفلاح و هما عبارة عن تزكية النفس و تطهيرها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^٣.

١. سورة النحل، الآية ١١٢.

٢. سورة قريش، الآية ١-٤.

٣. سورة الأعلى، الآية ١٤.

و الرؤية الثانية كذلك من أن السبب لجعل العالم طبعاً للإنسان وصوله إلى الفلاح، و لكن الفلاح هنا هو عبارة عن منطق القوة و الاستعلاء: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾^١.

و من الواضح أن علاقة الإنسان بنعم العالم تتحدّد على سبيل التناقض بالاستناد إلى أي واحد من هاتين الرؤيتين. فقد قام القرآن الكريم وفق تعريفه للصلاح و الفلاح بالدلالة على الهدف و تبيان الأصول و المباني و المسير و عبّر عن هذا الإرشاد بـ«الربوبية». و من أشمل الآيات في هذا المجال القصيرة في عباراتها العالية في مضامينها هي: ﴿قُلِّلْهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢.

و قد جعل هذا الربّ الإنسان خليفة له ليستفيد من أي نعمة في الوجود في سبيل صلاحه و لذا سخرّ له العالم بأسره. و من هنا فحريّ بالإنسان حين استثمار النعم أن يتذكر الحقيقة و ألا ينسى بعد الاعتراف بعجزه حمد ربّه. فقد علّم القرآن الإنسان على سبيل المثال حين ركوب المركب أن يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾^٣.

فتشاهدون في هذا الكلام أن هناك اعتراف بضعف البشر و عجزهم و كذا تذكيرهم باليوم الذي يساقون على المركب (التابوت) إلى حيث الديار الموحشة.

١. سورة طه، الآية ٦٤.

٢. سورة الجاثية، الآية ٣٦.

٣. سورة الزخرف، الآية ١٣-١٤.

فإن تعليم القرآن للبشر من أن تطويع هذا المركب مسبوق بإرادة الله لا يقتصر على المركب بل يشمل جميع المصاديق و ذلك لـ «عموم التعليل»، فعلى المزارع أيضاً معرفة أن تسخير المطر و التراب و الشمس له بأمر من الله. و على الناس جميعاً الوقوف على هذه الحقيقة و الاعتراف بها لأن كل هذه العمليات إنما يتم إنجازها لثلاث ينسى الإنسان أنه عائد إلى ربه. و إن كان لابد من ذلك فعلى الإنسان أن يعدّ زاد الطريق و خير الزاد هو التقوى؛ ﴿تَزَوَّدُوا فَلِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾!

و أما بالاستناد إلى الرؤية الثانية فلا يدور الكلام عن ربوبية الله الشاملة. و إن الإنسان يرى بأن العالم كله طبع أمامه و لكنه لا يعرف لماذا و كيف! و لذلك ينسى تسبيح الله و الاعتراف بعجزه و تذكّر الرجوع إلى الله، و بالتالي ينسى البحث عن الزاد و اكتساب التقوى أيضاً.

و من نتائج الرؤية القرآنية هي أن الإنسان لا يمكنه حين استثمار العالم و نعمه القيام بما لا يلائم الصلح و السلم. و قد أشار القرآن إلى بعض الصالحين الذين لم تختلج أذهانهم فكرة الهجوم و التخريب قطّ رغم ما كانوا يتمتعون به من مواهب كثيرة و عظيمة كـ «سليمان» و «داود» عليهما السلام و «ذو القرنين». فداود عليه السلام مثلاً كان يمتلك قوة كبيرة لما كان يتحلى به من السيطرة على الحديد و من شخصية ثورية و من قيادة الشعب و لكنه لم يستخدم هذه القوة في

طريق الهجوم و التخريب و صناعة الأسلحة الهجومية بل استخدمها في صناعة الدروع: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾^١.

فاستعمل هذه القوة الفريدة الإلهية في طريق الدفاع لا في مسير الهجوم. و كان قائد ثورة منتصرة و خرج من الحرب مع «طالوت» منتصراً، و لكنه لم يسلك سبيل الهجوم و التخريب. و كان «ذو القرنين» أيضاً على هذا المنوال، حيث حدثنا القرآن الكريم بأنه قد توافرت له جميع إمكانيات عصره بإفاضة الله؛ ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^٢.

و لكنه رغم ذلك قَبِلَ اقتراح صناعة السدِّ لمواجهة «يأجوج» و «مأجوج» المُفسدين و لم ينتهج نهج التخريب و الهجوم. و بعد الانتهاء من صناعة السدِّ أيضاً لم يغفل عن قدرة الله و إرادته و لم يسلك سبيل نكران الجميل بل قال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾^٣.

فعلَّم القرآن البشر أن يختار الطريق الصحيح للاستفادة من نعم الوجود و أن يبحث في تحقيقاته و دراساته عن الإصلاح و النجاة كما لا بدَّ أن يكون هدفنا من تصنيع السلاح هو الدفاع و إحلال الأمن أيضاً. ثم إن التوجه إلى هذه الرؤية القرآنية له آثار قيمة في تربية الناس أيضاً. فعلى أساس الرؤية المادية مثلاً نجد إمكانية الانتفاع بوسائل اللهو و التسلية

١. سورة الأنبياء، الآية ١-٤.

٢. سورة الكهف، الآية ٨٤.

٣. سورة الكهف، الآية ٩٨.

في تطور يتناسب و تقدّم الإمكانات الصناعية. فقد صنع البشر اليوم لكل طبقة من أفراد المجتمع العوبة و تجد لكلّ من الصغار و الأطفال و الناشئين و الشباب و الكبار و الشيوخ وسائل للتسلية و من هنا فقد أصبح العالم عالماً يسوده اللهو و اللعب. و لكن بالاستناد إلى الرؤية القرآنية حول علاقة الإنسان بالعالم فإن المرء بعد مرحلة النشوء يضع خطاه في عالم البحث و طلب الحق و يجتاز حدود اللهو و اللعب.

ففي رواية سُئل الإمام «الصادق» عليه السلام عن صاحب هذا الأمر، فقال: «إنّ صاحب هذا الأمر لا يلهو و لا يلعب» و أقبل أبو الحسن «موسى» عليه السلام و معه عناق مكية و هو يقول لها: «اسجدي لرّبك» فأخذه أبو عبد الله عليه السلام و ضمّه إليه و قال: «بأبي و أمي من لا يلهو و لا يلعب»^١.

إذن فكيفية الرؤية إلى علاقة الإنسان بالعالم يعدّ أساساً مهماً لتعيين حقوقه و تكاليفه. و لا بد في هذا الخضمّ من التوجّه إلى الفارق الكبير بين الرؤية القرآنية و الرؤية المادية.

الترايط بين العمل و العامل

لكل عمل صلة تكوينية و ضرورية مع عامله و لذا فإن بينهما ترايط مباشر متواصل و من هنا فلا يمكن ألا يرى الإنسان أثر عمله و جزاءه كما يستحيل أن يرى الإنسان أثر عمل لم يفعله.

و إن لكل عمل على أساس البرهان العقلي نية و حركة و النية مختصة بروح العامل و الحركة بيدنه و لذا لا تكون للعمل صلة تكوينية إلا مع عامله لا مع الغير و هي صلة لا تنقطع.

و قد صادق البرهان النقلي (الآيات و الروايات) على هذا الأصل العقلي العام و هو أن من أحسن فلنفسه و من أساء فلها أيضاً: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^١.

و إن «اللام» في «لأنفسكم» ليست لام المنفعة حتى تكون «اللام» في «فلها» لام المشاكلة و موضوعة موضع «على»، بل «اللام» تفيد الارتباط و الاختصاص، بمعنى أن العمل الحسن للمحسن مختص به فقط و العمل السيء للمسيء مرتبط به لا بالغير لأن الإحسان مختص بالمحسن و الإساءة بالمسيء^٢. و قد أشار القرآن الكريم إلى هذه المسألة على نحو أصلين كليين قد وردا في كتب الأنبياء السابقين. فعلى أساس الأصل الأول المتعلق بالسيئات لا يحمل امرؤ على عاتقه وزر غيره و إنما يحمل وزره على ظهره كما و لا يستطيع وضعه على كاهل الآخرين أيضاً: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^٣، لأن الوزر لا يترك صاحبه بل هو مرهون بوزره و عمله على الدوام^٤.

١. سورة الإسراء، الآية ٧.

٢. مجمع البيان، ج ٥-٦، ص ٦١٥.

٣. سورة النجم، الآية ٣٦-٣٨. «الوازر» هي النفس التي تحمل العبء، كما يُعبّر عن من يحمل عبء الحكومة الثقيل بـ

«الوزير».

٤. المفردات، ص ٨٦٧-٨٦٨، «وزر».

و على أساس الأصل الثاني المرتبط بالحسنات، لا نصيب للإنسان إلا سعيه: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى﴾^١، و لا يطلب الله أكثر من ذلك و لكنه سبحانه بفضله يجازيه بأكثر من عمله و إن كان جزاؤه بالنسبة للسيئات جزاء يوافق الأعمال: ﴿جَزَاءً وَفِاقًا﴾^٢، بيد أن الحديث في الأعمال الصالحة عن الجزاء الأوفى: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾^٣، نظير ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْتِينَ﴾^٤، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾^٥، إذن فالحسنات و السيئات تنضوي تحت شعاع عمل الإنسان و لها صلة تكوينية مع العامل كما روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «من سنَّ سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء»^٦.

العامل مرهون بالعمل

كلّ عمل قبل تحقّقه تحت تصرّف العامل و بعده على نحوين: إن كان حسنة فهو تحت تصرفه أيضاً بحيث أنه لا يحدّ من حرّيته، و إن كان سيئة يأخذ العامل رهينة له لأنّ الذنب تضييع حقّ الله أو الناس فيكون فاعله حينئذ مديناً و على المدين أن يدفع رهناً. و الرهن في المسائل الاعتبارية للدائن يمكن أن يكون

١. سورة النجم، الآية ٣٩-٤٠.

٢. سورة النبأ، الآية ٢٦.

٣. سورة النجم، الآية ٤١.

٤. سورة القصص، الآية ٥٤.

٥. سورة الحديد، الآية ٢٨.

٦. بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٢٣.

سجّاداً و عقاراً، و أما في الأمور التكوينية و الحقيقية كالذنب فهو نفس الإنسان و لا يستطيع فكّها من سلاسل الرهن إلا بالاستغفار و أداء الحق كما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «أيها الناس! إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم»^١.

و قال الله سبحانه في هذا المجال: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^٢، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ * ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾^٣. ظاهر الآيتين الإطلاق، أي أن الإنسان مرهون بأعماله الحسنة و السيئة، و لكن الرهن بالاستناد إلى القرينة الداخلية و الخارجية مختص بالمسيئين لا المتقين. القرينة الأولى خصوصية المحمول التي تدلّ على أن الموضوع مقيد لا مطلق كما أن ظاهر العبارة العرفية «كلّ من قام بفعل فاعتقلوه» مطلقة و لكن المراد بقرينة المحمول (الاعتقال) هو خصوص المسيء و العمل السيء لا كلّ إنسان و كلّ فعل. و القرينة الثانية قرينة ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ المتصلة، فلو لم تكن نفوس أصحاب اليمين رهينة لا تكون نفوس المقربين مرهونة على اليقين، كما أن عبارة ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مُصَدَّرَةٌ بآية تدلّ على التأثير الإيجابي للحسنات. و السرّ في أن «أصحاب المشئمة» مرهونون بأعمالهم السيئة و أصحاب الميمنة و المقربون متحررون من أغلال أعمالهم هو أن «أصحاب المشئمة» متصفون بالشؤم و سوء

١. عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ١، ص ٢٩٦؛ بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٣٥٧.

٢. سورة الطور، الآية ٢١.

٣. سورة المدثر، الآية ٣٨-٣٩.

العمل والعمل السوء والمشؤوم دَيْن و صاحبه مدين و على كل مدين دفع رهن و الرهن في المعصية نفس العاصي حيث لا يستطيع التحرر منه إلا بالاستغفار، و أما «أصحاب الميمنة» فإن عملهم متصف دوماً بـ«اليمن» و البركة و هي تستجلب الحرية.

تأثير الأعمال على الآخرين

إن لأعمال الإنسان آثار و نتائج حسنة و سيئة تترك أثرها تارة على آباء العامل أو أبنائه و أخرى على المجتمع البشري أعم من الجيرة و غيرهم لأن الله بفضله يغمر الآخرين برحمته بسبب عمل المحسن كما أن عكسه محتمل أيضاً. و ذلك بالنظر إلى هذا الأصل العام و هو أن خلف الوعد قبيح لا خلف الوعيد.

و قد قال الله سبحانه حول تأثير السيئات التي دائرتها أضيق بقليل: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^١.

و مثال تأثير الحسنات مشهود في قصة الخضر و موسى عليهما السلام حيث قال الخضر عليه السلام للنبي موسى عليه السلام في تأويل أعماله: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾^٢، و المراد من الأب هو الجد

١. سورة النساء، الآية ٩.

٢. سورة الكهف، الآية ٨٢.

السبعون على ما في بعض الروايات^١، إذن فالله لا ينسى العمل الصالح للإنسان و يوصل ثوابه إلى الأجيال اللاحقة لأن العمل حيّ.

و المثال الثاني الآية التالية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾^٢، أي أن المؤمنين إن اتبعتهم ذريتهم في إيمانهم - و لكن لم يصلوا إلى درجتهم في الإيمان - فإن الله سبحانه سيلحقهم بأبائهم في الجنة من دون أن ينقص من أعمال الآباء شيئاً. فلو كانت درجتهم الإيمانية كدرجة آبائهم لجازاهم الله على حسب أعمالهم و لا حاجة عندئذ للإلحاق، بيد أن مسألة الإلحاق تدلّ على أنهم أدنى مرتبة من آبائهم فيفيض الله عليهم بفضله و ببركة الآباء. كما أن عدم نقصان شيء من أعمال الآباء و المرين أيضاً يدلّ على أن إلحاق الأبناء بالآباء من فضل الله و لا يتنافى مع آية ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾^٣، لأن هذه الآية تدلّ على أن استحقاق الفيض مختص بسعي الإنسان و جهده و لا تتنافى مع الفضل الإلهي قطّ.

ثم إن الأواصر النسبية تتقطع بين الأشخاص في يوم القيامة: ﴿فَلَا أُنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾^٤، و لا يتأق لأحد حلّ مشكلة الآخر على أساس النسب الدنيوي، و لكن إن اتّبع الأبناء في الدنيا منهج آبائهم المؤمنين فإن الله سبحانه

١. علل الشرائع، ج ١-٢، ص ١٨٠؛ البرهان، ج ٥، ص ٤٨.

٢. سورة الطور، الآية ٢١.

٣. سورة النجم، الآية ٣٩.

٤. سورة المؤمنون، الآية ١٠١.

و بسبب التربية الصحيحة سيمتعمهم بالجزاء الأمثل و المواهب الأخروية كالشفاعة. هذا بالإضافة إلى ما ستغمر الآباء من لذة لقاء ذريتهم في الجنة، فباستطاعة الإنسان أن يوصل أبناءه إلى درجات رفيعة عبر أعماله الصالحة و أن يوقعهم في العذاب و المشقة عبر أعماله الطالحة.

و قد ورد في الروايات أيضاً نقل حسنات المذنب (القاتل و المستغيب) و سيئات المحسن (المقتول و المغتاب) إلى شخص آخر^١، و لكن هذا في الواقع هو حصيلة عمله، لأن القاتل أو المستغيب قد قام في الظاهر بالقتل أو الاغتيال و لكنه في الواقع أثر عمله حيث تظهر سيئات المقتول و المغتاب في صحيفة أعماله، لا أنها تنتقل إلى صحيفة عمله حتى لا تنسجم مع بعض الآيات أو ترد بعض الأبحاث من قبيل أن عمل الإنسان عرض أم جوهر و هل هو قابل للنقل و الانتقال أم لا^٢. فإن تعبير «النقل و الانتقال» تعبير ناهض عن التسامح و إلا فإن القاتل في الواقع يرى في صحيفة أعماله عصاره سيئات المقتول التي هي وليدة عمله، كما أن ظهور حسنات المستغيب في صحيفة المغتاب في الواقع هو إعادة ماء وجهه المراق إليه من قبل الله.

علاقة العمل بالعالم الخارجي

إن لنيات الناس و أعمالهم الصالحة و الطالحة سهم في حوادث العالم الحسنة و السيئة لأن بين هذه الأعمال و الحوادث صلة متصلة. و هذا ما يسانده البرهان العقلي و النقلي.

١. بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٥٩؛ وسائل الشيعة، ج ٢٩، ص ١٥.

٢. راجع: الميزان، ج ٢، ص ١٧٩-١٨٠.

الأول- البرهان العقلي: يمثل الإنسان بكل شؤونه حلقة من سلسلة عالم الوجود، فلا يستطيع الانفصال عن سائر الحلقات لأنه معلول للكثير من العلل و علة للكثير من المعاليل بحيث أنه يتأثر من الموجودات البحرية والصحراوية والبرية والجوية ويؤثر فيها كذلك، إذن فأعمال الإنسان تضع أثرها على الأحداث المفرحة والمؤلمة وتتأثر منها. وإن هذا التأثير والتأثر المتبادل لا يختص بنطاق جسم الإنسان بل يشمل عقائده وأخلاقه وسلوكه وأقواله وأفعاله أيضاً. وقد لا نستطيع البرهنة على تفاصيل هذه المسألة ولكن هناك برهان عقلي على علاقة الإنسان المباشرة مع الطبيعة وإن كانت تفاصيلها لا تثبت إلا بالنقل، إذن فكون الحسنة الفلانية تسبب هطول المطر المناسب أو نزول البركات الإلهية والذنب الفلاني يؤدي إلى الزلزال وموت الفجأة أمر مقبول وفق شروط معينة.

الثاني- البرهان النقلي: لقد بين القرآن الكريم العلاقة المباشرة لأعمال الإنسان مع الطبيعة في آيات مختلفة وأيد البرهان العقلي المذكور. والمراد بالتأييد إثبات أصل التعامل بين الإنسان والطبيعة الذي يعدّ أمراً كلياً قابلاً للتعليل العقلي، لا بيان حدث خاص جزئي كالزلازل في المنطقة الفلانية بهذا المقياس من الريختر لأن الحدث الجزئي لا يقبل البرهنة العقلية وبما أن العقل لا يحمل ادعاء في الأمور الجزئية فلا يصح تأييده بالنقل أيضاً. والمراد بالعمل هنا عنوان الحسنة والسيئة التي هي وصف للحركات الخارجية لا نفس الحركات والسكنات المنبثقة من الآثار الطبيعية للأجسام والمشاركة بين السوء والحسن. وإن الآيات القرآنية في هذا المجال تنقسم إلى عدة أقسام أصلية وفرعية:

الآيات الناظرة إلى أصل العلاقة المتبادلة بين أعمال الإنسان و حوادث العالم في الجملة أو بالجملة.

الآيات الدالة على علاقة الأعمال الحسنة بأحداث العالم الجيدة.

الآيات الناظرة إلى علاقة الأعمال السيئة بأحداث العالم المريرة.

و كل من القسمين الثاني و الثالث ينقسم إلى أقسام فرعية: التأثير المتقابل بين الأعمال الفردية الصالحة و الطالحة و حوادث العالم الحسنة و السيئة و التأثير المتبادل بين الأعمال الجماعية في المجتمع و حوادث العالم الجيدة و الأليمة.

الآيات الناظرة إلى أصل العلاقة المتقابلة بين عمل الإنسان و الطبيعة

﴿لَهُ مَعْبَآتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ﴾^١، تبين هذه الآية من خلال المدلول المطابقي علاقة أعمال الإنسان مع حوادث العالم و إن يظهر من مدلولها الالتزامي ضرب من الإنذار للناس. و هذه الآية عامة و تشمل النعمة و النعمة و الحسنة و السيئة. و بالاستناد إلى ذيل الآية فإن الله إذا أراد تغيير مصير قوم لا يستطيع أحد الوقوف أمام هذه الإرادة الإلهية لأنهم لا ولي لهم سوى الله.

والمحصل أن هناك سلسلة من الأعمال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وأمثالها يحيط بها الإنسان ويُقرّر فيها ويؤديها بالاستشارة وبعده النظر. وهذه الأمور المقررة والمنفذة إما أن تكون مطابقة للشريعة أو مخالفة لها، وفي كلتا الحالتين فإن الله سبحانه يقدر ويقرّر طائفة من الأحداث الخارجة عن نطاق التقدير والتفكير والاستشارة والتصميم لذلك المجتمع الحسن أو السيء وهي تمثل الرسالة العذبة أو المرّة للآية المشار إليها إلى هذا التعامل المذكور. ولا بد من الالتفات إلى أن المقصود من الاستدلال بالآيات لا يعني بأن جميع الآيات المذكورة تدلّ على نحو القضية الموجبة الكلية على وجود ارتباط وثيق بين جميع أعمال البشر بأبعادها المختلفة وبين كل الحوادث الكلية والجزئية في العالم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^١. تتحدث هذه الآية عن نعم الله التي هي كلها ابتداء: «كلّ نعمك ابتداء»^٢ ولا يطلب الإنسان الله شيئاً قطّ. وإن سنة الله وفق هذه الآية قد استقرت على ألاّ تغير نعمة فرد أو جماعة بتاتاً، إلا أن يغيروا منهجهم ويحرموا أنفسهم من هذه النعمة.

لقد جرى الحديث في الآيتين السابقتين عن تغيير النعمة وتبديلها لا عن سلبها وهذا ما يدعو إلى التأمل. فالعلم على سبيل المثال مدعاة لجمال الإنسان

١. سورة الأنفال، الآية ٥٣.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ١٢.

و كماله و في برهة من الزمن سبب لسلب كرامته و إراقة ماء وجهه و ذلك بأن عدم العمل به يهيء الأرضية للفهم و الاستنباطات الخاطئة و يسوقه إلى درجة من الخزي و الفضيحة لم يصل إليها أي جاهل.

فإن استعمل فرد أو جماعة أمواهم في طريق غير شرعي و صرفوها في الحرام سيوقعون أنفسهم في عذاب القهر الإلهي في الدنيا و الآخرة و يعبدون الطريق لسقوطهم في الهاوية.

و السرّ الكامن في ارتباط تغيير النعمة بتغيير النفس هو أن لنفسيات الإنسان صلة مباشرة مع الأحداث الخارجية.

الآيات الدالة على العلاقة بين الأعمال الحسنة و الأحداث الجيدة

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^١، تدلّ هذه الآية على أن الثبات على الطريق الصحيح يسبب التمتع بالماء الكثير الذي يروي عطش المزارع و المراعي و الغابات و الحيوانات و الناس. و هي وثيقة حية على كون صلاة الاستسقاء أمر منطقي و معقول، لأن الصلاة عمود الدين و الأمر بصلاة الاستسقاء أمر خاص يعتبر امتثاله من المصاديق البارزة للاستقامة على الطريق. و إن كان «الماء الغدق» لا يختص بالمطر بل يعد من مصاديق امتلاء العيون و القنوات و الآبار من الماء أيضاً. فإن الله سبحانه و من خلال الأعمال الصالحة يغمر قوماً بالبركات و النعم المادية، كما أن الكثير من الذنوب قد تؤدي

بأمر الله إلى غور الماء بحيث لا تصل إليه يد الحفّار والصانع: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^١، و«الماء المعين» هو الماء الذي «تناله الدلاء و تراه العيون»^٢.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾^٣. فكما أن الإيمان والتقوى و غفران الذنوب متعلق بدخول الجنة، كذلك الإيمان والعمل بأوامر التوراة والإنجيل و القرآن مرتبط بالتمتع بنعم السماء والأرض.

﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ هي النعم السماوية التي تظهر على نحو نزول الثلوج و الأمطار أو سطوع الشمس و ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ هي النعم الأرضية من جعل الأراضي صالحة للزراعة و نبوع المياه الجوفية (العيون و القنوات).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^٤. تشير هذه الآية إلى أن إيمان و تقوى أهل المدن و القرى تؤدي إلى فتح أبواب بركات السماء والأرض عليهم و تبين بوضوح العلاقة بين أعمال الإنسان و حوادث العالم.

١. سورة الملك، الآية ٣٠.

٢. مجمع البيان، ج ٩-١٠، ص ٤٩٥.

٣. سورة المائدة، الآية ٦٦.

٤. سورة الأعراف، الآية ٩٦.

٥. لأن الألف و اللام في ﴿أهل القرى﴾ ليست عهدية بل تفيد الجنس و تشمل كل المناطق.

يمكن تفسير عبارة ﴿بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بعدة صور:

أ- البركات السماوية نزول الثلج و المطر و سطوح الشمس و البركات الأرضية صلاح الأرض و نبوع العيون و القنوات و خروج النبات و الثمار.

ب- البركات السماوية العلوم و المعارف و البركات الأرضية النعم المادية.

ج- البركات السماوية العلوم الكشفية و الشهودية و البركات الأرضية العلوم الحسولية^١.

و لكن لا ينحصر معنى الآية في هذه الاحتمالات الثلاث و بالإمكان أن يكون له مصاديق أخرى. و ترد هذه الاحتمالات الثلاث في الآية السابقة أيضاً. و على أي حال فسواء كان المراد من الآية المسائل العلمية أو العملية و من المسائل العملية العلم الحسولي أم الحضورى، كلها من مصاديق الأمور الخارجية و تنبؤ عن علاقة أعمال الإنسان الصالحة (الإيمان و التقوى) بأحداث العالم الحسننة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^٢. تدلّ هذه الآية على العلاقة بين التقوى و بين اكتساب الطرق الباطنية أو الحركات الخارجية.

و كذلك آية ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١ التي تبين العلاقة بين التقوى و الصبر و بين الأجر و الوصول إلى المقصد. فإن هذين الآيتين تبينان على نحو أصل كلّي علاقة عمل الإنسان الصالح بنتائجه الجيدة.

١. راجع: مجمع البيان، ج ٣-٤، ص ٦٩٧-٦٩٨؛ روح المعاني، ج ٦ و ٩، ص ١٦-١٧.

٢. سورة الأنفال، الآية ٢٩.

إن آية ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾^٢ تعني أن التقوى تجلب الفرقان بحيث يستطيع الإنسان من خلاله الفصل بين الحق و الباطل و الغثّ و السمين و الطريق القويم و المنحرف، لأنه إذا تغلّب الهوى على الإنسان سيحول بينه و بين مشاهدة الحقائق الباطنية و الظاهرية كما هي عليه و بالجملة فالمراد بالآية هو أن تقوى الإنسان المتقي تمثل المبدأ القابلي و الإفاضة الإلهية المبدأ الفاعلي و هذه الإفاضة أولاً خارجة عن دائرة وجود الإنسان و عن حدود قدرته و ثانياً موجود عيني من أعيان العالم الخارجي زمامه بيد الله سبحانه و ثالثاً إيجادها له ارتباط مباشر بالعمل الصالح للإنسان و هذا هو نفس ادعاء ارتباط عمل الإنسان بعالم الخلق. و الحاصل أنه ليس المراد بالآية هي أنكم إن تتقوا سترون الحقائق، بل معناها هي أنكم إن تتقوا يجعل الله لكم فرقاناً تشاهدون الحقائق من خلاله.

سرّ تمتع الكافرين بالنعم الإلهية

واحدة من الشبهات المطروحة على الاستدلال بهذا القسم من الآيات هي: أن هذا الاستدلال و هو أن الإيمان و التقوى يسببان نزول البركات السماوية و الأرضية استدلال ناقص لأن الكفار و غير المؤمنين و المستقين أيضاً يتمتعون بالبركات السماوية و الأرضية و لا توجد لديهم أية مشكلة اقتصادية.

١. سورة يوسف، الآية ٩٠.

٢. سورة الأنفال، الآية ٢٩.

و في الجواب لا بد من القول أن هذه الآيات تتحدث عن البركة و المال المتصف بالبركة لا بد أولاً أن يكون حلالاً و ثانياً أن يُستخدم في مسير السعادة و الكمال، لا مطلق المال.

و لا بد هنا من الالتفات إلى النقاط التالية:

أولاً: يظهر من خلال تبيان الآيات القرآنية بعضها مع بعض أن المراد بآية ﴿لَاكُلُوا مِنْ قَوْعِهِمْ...﴾^١ هو البركة لا مطلق التنعم لأن آية ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾^٢ جعلت فتح البركة هو المعيار.

ثانياً: «البركة» في الثقافة القرآنية هي النعمة الخاصة لا كل نعمة. يقول الراغب: «البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء»^٣.

ثالثاً: قد يكون فتح أبواب النعمة للتعذيب العاجل نظير ﴿... وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^٤.

رابعاً: ليس المدعى في البحث حصر العلة بتاتا، بل هو إثبات العلاقة بين عمل الإنسان و حوادث العالم.

١. سورة المائدة، الآية ٦٦.

٢. سورة الأعراف، الآية ٩٦.

٣. المفردات، ص ١١٩، «ب ر ك».

٤. سورة الأنعام، الآية ٤٣-٤٤.

و بيان ما قيل في الفرق بين البركة و غيرها هو أن ثروة الشري و قدرة المقتدر قد تكون من حبات الله. و من أجل دفع مثل هذه الشبهة اعتبر الله الوصول إلى بركات السماء و الأرض منوطاً بالإيمان و التقوى و أنذر إلى جانب ذلك الكفار المتنعمون برفاهية العيش أن امتلاك المال و الإمكانيات الرفاهية لا يدل على عناية الله بهم و إنما هي سنة الإمهال و الاستدراج، بمعنى أنه يُمهلهم لتزداد ذنوبهم و يقعون في عذاب مهين و لكنهم في غفلة عن ذلك: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيَازِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^١. و إن المال و القدرة و الإمكانيات الرفاهية هي نقمة لهم في الحقيقة لا نعمة: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^٢.

و قد أشار الله سبحانه لتبيين أصل المسألة إلى سنة الإمهال و الاستدراج قائلاً: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمَلِّئُهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾^٣. و كما أن حبل الله المتين «لا انفصام له» فإن كيد الله المتين أيضاً كذلك.

إضافة إلى ذلك فقد قال الله في آيات كثيرة مخاطباً نبيه ﷺ من حيث أنه قائد الأمة الإسلامية: ﴿لَا يَغْرِبُكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ

١. سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

٢. سورة المؤمنون، الآية ٥٥-٥٦.

٣. سورة الأعراف، الآية ١٨٢-١٨٣.

مَا وَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ^١، و قال أيضاً مع اختلاف قليل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^٢. فقد دفعت هذه الآيات الشبهة المذكورة بشكل جيد.

جدير بالذكر أن سنة الله في الدنيا هي ألا يهب الرزق و الدنيا العامرة لأحد مجاناً بل لا بد من السعي الحثيث للوصول إلى هذا الهدف علماً بأن مسألة الإعجاز و الكرامة و الإمداد الغيبي أمر آخر.

فقد قال الله سبحانه بعد أن أقسم بعدة أقسام: بأن هذا الإنسان الذي جعلنا خلقته ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^٣ خلقناه في شدة و عذاب: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^٤، فلا يصل إلى الجنة و الثروة و الإمكانيات الرفاهية مجاناً، بل عليه كالراكب على الفرس الوحشي الركوب على مناكب الأرض (الجبال) و الاستفادة من ثرواتها و ذخائرها. فقد جعل الله الأرض ذلواً و لكن لا يسهل السيطرة عليها: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^٥، فقد تكون تطورات الكفار الاقتصادية و إمكانياتهم الرفاهية ثمرة جهودهم و حرمان بعض المسلمين من هذه المواهب المادية نتيجة و ههناهم و تقاعسهم، و لكن أولاً لا ينبغي للمتعممين بنعم الدنيا المادية اعتبارها

١. سورة آل عمران، الآية ١٩٦-١٩٧.

٢. سورة التوبة، الآية ٥٥.

٣. سورة التين، الآية ٤.

٤. سورة البلد، الآية ٤.

٥. سورة الملك، الآية ١٥.

سعادة لهم و عناية ربانية و الاغترار بها فقد تكون الثروة و بالاً لا رفاهاً و نعمة لا نعمة. و ثانياً لا ينبغي أن يُعجب و يغترّ بها المؤمنون لأنها متاع قليل و زائل في الدنيا و قيمة المرء بإيمانه و تقواه لا بالجمال الظاهري و الإمكانيات الرفاهية التي هي أكبر همة الحيوانات.

تأثير الصلاة في نزول المطر

لقد بنى عالم الوجود على أساس نظام العلة و المعلول. و لا يوجد أي موجود من دون وجود علته و من تلقاء نفسه كما يلزم في نزول المطر تحقق سيره الطبيعي من سطوع الشمس على البحر و تبديل الماء إلى بخار و ظهور السحاب بواسطة الريح و حملها حتى البرد و الهطول. و لكن لا بد من الالتفات إلى أن نظامه بيد الله سبحانه و لا ينحصر طريق نزول المطر بالطريق الذي عرفه الإنسان فقد ورد في التعاليم الدينية الحديث عن تأثير الصلاة و الدعاء في نزول المطر أيضاً. و إن المرحوم ابن سينا أحد كبار حكماء الإسلام قد أفرد رسالة في هذه المسألة و تعرض لها أيضاً في كتابه إلهيات الشفاء الذي يعد أهم كتبه الفلسفية قائلاً: «و اعلم أن أكثر ما يُقرّ به الجمهور و يفزع إليه و يقول به فهو حقّ و إنما يدفعه هؤلاء المتشبهة بالفلاسفة جهلاً منهم بعلله و أسبابه و قد عملنا في هذا الباب كتاب البرّ و الإثم فتأمّل شرح هذه الأمور من هناك و صدق!»^١.

فمن لا يستطيع بيان العلاقة بين صلاة الاستسقاء و الدعاء و بين نزول المطر ليس بفيلسوف و إنما هو متفلسف يدّعي ادّعاء باطلاً لأن للدعاء أثر على كل نظام التكوين.

و إن من الأصول الكلية التي أشار إليها القرآن الكريم هي أن الإنسان كما يتأثر من الحوادث يُؤثر فيها أيضاً، لأنه ليس مبتوراً و بعيداً عن حوادث العالم حتى لا يكون له دور المتأثر منها و المؤثر فيها. إذن فالحوادث الخارجية تضع آثارها في الإنسان على اليقين و لا شك أن الذين يعيشون في منطقة يكون تفكيرهم و طلباتهم مناسبة مع تلك المنطقة و بالاستناد إلى ما يحدث فيها، بيد أن المسألة التي أمارت القرآن اللثام عنها هي أن لأعمال الإنسان أيضاً أثر في الحوادث الخارجية، فلو اتجه المجتمع إلى حيث الصلاح و السعادة ستتغير الحوادث الخارجية أيضاً و لو سار باتجاه الطلاح^١ و الطغيان و التعدي سيكون تغيير الأحداث الخارجية مبتتياً على هذا الأساس.

و من هنا وعد القرآن الكريم بأن المطر ينزل في موعده على الصالحين: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^٢، كما و أمر بصلاة الاستسقاء أيضاً. فقد وعد القرآن الكريم بأن المجتمع لو سار باتجاه الصلاح و السعادة لأنزلنا عليه المطر في موعده علماً بأن هذا الوعد لا يختص بالمطر بل ذكر المطر من باب التمثيل لا التعيين و هو جارٍ على سائر النعم أيضاً فالنباتات

١. الطلاح نقيض الصلاح. كتاب العين. ج ٣. ص ١٦٩. ذيل كلمة «ط ل ح».

٢. سورة الجن. الآية ١٦.

تخرج في موعدها و المناجم تتكوّن في موعدها و الإشارة إلى المطر من باب أن الماء أصل و عنصر محدّد في الحياة و لذا قال في آية أخرى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^١، فالأمر إذن لا يختص بالمطر.

دور الطهارة في استدامة الرزق

شكا إلى النبي الأكرم ﷺ رجل قلة الرزق فقال ﷺ: «أدم الطهارة يدم عليك الرزق» ففعل الرجل ذلك فوسع عليه الرزق^٢.

إن الله الرازق يقدرّ الرزق الكثير للبعض و القليل للبعض الآخر وفق المصلحة سوي أنه لا يترك الإنسان الطاهر العفيف صفر اليدين و يؤمّن رزقه. و لكن كما أن للدنس «درجات» للطهارة أيضاً «درجات» و بالتالي فإن للرزق أقسام كذلك.

لقد تضمن هذا الحديث معارف كثيرة فلا ينحصر دوام الطهارة على أن يكون الإنسان دوماً على وضوء، و إن الوضوء الدائم أحد أقسام الطهارة، و على سبيل المثال من لم يكن من أهل التكسّب و العمل فليس بطاهر لأن التكسّب واجب على من يريد تأمين المعيشة لنفسه و لعائلته و مثل هذا لا يستطيع ترميم دنس ترك التكسّب بالوضوء الدائم بتاتاً لأن التوضؤ المستمر عمل مستحب و ترك التكسب عمل حرام و لا يُجبر الحرام بالمستحب. فالمدوام

١. سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٥، ص ١٦؛ مستدرک الوسائل، ج ١، ص ٣٠٠.

على الطهارة يعرف أولاً تكاليفه الفقهية ثم يعمل بها. و الكاسب الطاهر يأكل الحلال و يبيع الحلال و لا يحتكر و لا يتلاعب بالأسعار و لا يُطْفَفُ: ﴿وَيَلْ لِلْمُطَفِّينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^١.

و النقطة المهمة هي أنه لا يسوغ للإنسان الطاهر أن تكون نيته من الطهارة الوصول إلى الرزق الكثير لأنه يجعل طهارة الروح وسيلة لرفاهية البدن. و بعبارة أخرى من كان هدفه من محاولة ترك الذنوب و إخراج الروح من الدنس ازدياد الرزق المادى، فقد جعل الهدف الرفيع وسيلة لشيء وضيع و هذا كأن يؤمر حكيم كبير بتنظيف غرفة. فعلي الإنسان أن يسعى لثلا يجعل الطهارة القريبة وسيلة للرزق المادى.

و كذلك الحال في صلاة «الاستسقاء»: فمن يصاب بالجفاف و يصلحها يستجاب دعاؤه و لكن لا ينبغي له القيام بذلك لنزول المطر. و إن كانت مثل هذه الصلاة صحيحة و تلبى حاجته إلا أن هذا هو مرحلة نازلة من الأخلاق. فقد كان المعصومون عليهم السلام أيضاً يصلون صلاة الاستسقاء، و لكن هناك فرق بين من يصلحها لنزول المطر و بين من يصلحها لهذا الهدف و لا يتعبد كالمستول بشرط الأجرة و لكن يعلم بأن الله يفي بوعده و يقضى حاجة المصلين بنزول المطر فيقوم عندها بشكر الله و لكنه سيكون عند عدم نزول المطر شاكراً صابراً و

هي مرحلة لا تتيسر لأي أحد و لكنها يسيرة لسلاك طريق الحق الذين سلكوا الطريق منذ مدة.

و المرحلة الأسمى هي أن الإنسان بالإضافة إلى كونه لا يجعل صلاة الاستسقاء و دوام الطهارة وسيلة للرزق المادي ينسى كونها وسيلة، و في الواقع فهو غافل من الأساس عن هدف هذه الصلاة و هو نزول المطر و إنما يؤديها عبادة و قرينة ليس إلا.

تأثير إحياء البيئة على سعادة الآخرة

إن جميع الأعمال الحسنة ثابتة في نظام الإسلام المبني على أساس القيم و المبادئ إلا أن بعض الأعمال قد ذكرت بوصفها أعمال خالدة باقية. فإن كتابة القرآن الكريم أو تأليف الكتب العلمية المستقاة من العلوم القرآنية في روايات أهل البيت عليهم السلام عمل خالد تبقى آثاره الحسنة للإنسان بعد موته أيضاً.

و من جملة هذه الأعمال الحسنة الثابتة إحياء البيئة كغرس الأشجار و حفر القنوات و الآبار و صناعة السدود و سائر النشاطات التي توفر أرضية مناسبة لحياة البشر. فقد ورد في التعاليم الدينية أن من غرس شجرة أو قام بما ينتفع به الناس، سيكتب الأجر و الثواب في صحيفة أعماله ما دام هذا العمل باقياً. فإن هذه الرؤية إلى الأعمال التي يعمّ نفعها تسبب اشتياق الإنسان لإحياء البيئة.

فالعامل الذي يقوم به الإنسان المادي إنما هو من أجل تأمين مصالحه القصيرة الأمد و لكن إذا نظر المرء إلى الأعمال بوصفها سنة حسنة و عمل خالد ستوسع دائرة رؤيته و يشهد ما وراء الحياة المادية و يسعى من أجلها.

وقد جاء في تعاليم الإسلام السماوية أن سقي الشجرة له من الأجر و الثواب كسقي المؤمن. حيث ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «من سقى طلحة أو سدره فكأنما سقى مؤمناً من الظمأ»^١، ففي الوقت الذي يكون أجر سقي الشجرة كسقي المؤمن فإن غرس الأشجار و إيجاد رحاب خضراء كذلك يدخلان في عداد السنن الدينية المحسنة المؤثرة في سعادة الإنسان الأخروية.

الآيات النازرة إلى العلاقة بين الأعمال السيئة والأحداث المريرة

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾^٢، هذه الآية تنذر الكافرين و تعتبر عذابهم ناجم من الآثار السيئة لكفرهم.

و قال أيضاً في موضع آخر: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾^٣، ﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾^٤. تبين هاتين الآيتين العلاقة بين الأعمال السيئة و الأحداث المؤلمة في الدنيا، لأن عودهم إلى السيئات يهيء أرضية عود السنة الإلهية للانتقام، فالقهر الإلهي الذي يظهر بمظاهر طبيعية مختلفة مرتبط بمحدد المجرمين على مظاهر الله الدينية و هذا الارتباط هو نفس العلاقة بين عقائد البشر و أخلاقهم و أعمالهم و بين أحداث

١. بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢١٢.

٢. سورة الأنفال، الآية ٣٨.

٣. سورة الإسراء، الآية ٨.

٤. سورة الأنفال، الآية ١٩.

العالم المتنوعة التي تتحقق بالإبداع الإلهي. لأن هذا الترابط لا ينبثق من ضرورة ذاتية حتى يكون غنياً عن مبدأ الإيجاد.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^١، فإن أئمة الفجور يفسقون و الناس بدلاً من النهي عن المنكر ما بين تابع لهم و ما بين ساكت يشهد معاصيهم فيحلّ بأجمعهم غضب الله لما كانوا يظلمون به أنفسهم.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^٢، قد تستفاد من هذه الآية و من آية ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^٣ العلاقة الطبيعية بين أعمال الإنسان القبيحة و ظهور الفساد في البرّ و البحر و اعتبار هذه الآية بياناً لسائر الآيات القائلة بان هناك علاقة تكوينية بين فجور المجتمع و حوادث العالم المرّة و هي كباقي الأعمال التكوينية خاضعة لتدبير الربوبية الإلهية.

تبين هذه الآية نقطتين: العلاقة بين أعمال الناس السيئة و الأحداث المؤلمة و أنه قد يكون الجزاء أقلّ من العمل، كما قال: ﴿يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾^٤، و قال أيضاً: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾^٥.

١. سورة الإسراء، الآية ١٦.

٢. سورة الروم، الآية ٤١.

٣. سورة الشوري، الآية ٣٠.

٤. سورة نوح، الآية ٤.

٥. سورة المائدة، الآية ٤٩.

﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾^١!

ففي ظل السير في التاريخ و مشاهدة الأحداث التاريخية و دراسة الوقائع
الماضية و تحليلها، نرى أصحاب القدرة أمثال فرعون لم يبق منهم اليوم إلى اسمهم
في الكتب التاريخية فأهلكهم الله بذنوبهم و لم يكن لهم أمام الله ناصر و معين.
و قد وردت آيات كثيرة في قارون^٢ و قوم سبأ^٣ و سائر المجرمين و أئمة الجور
تدلّ على أنهم قد سقطوا في شرك الأحداث المريعة و حرموا من النعم و
البركات الإلهية بسبب ذنوبهم الفردية أو الجماعية.

فهناك بالاستناد إلى هذه الآيات علاقة بين الأعمال السيئة من جانب و
الحوادث المؤلمة في عالم الطبيعة من جانب آخر، و لكن كما أن الله سبحانه و
تعالى قد يعفو عن أصل السيئة و يغض الطرف عنها، فإنه في التأديب
بالأحداث المرّة أيضاً قد يتعامل بالإمهال و لا يأخذ المجرم على الفور بل يمهل
للتوبة أو يؤاخذها بأقل من سيئته و يعفو عن كثير من أخطائه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ
مِنَ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^٤، و معنى ذلك أن أي مصيبة
تصيب الإنسان فهي وليدة أعماله لا أنه يرى المصيبة إزاء كل عمل اقترفه ثم إن

١. سورة غافر، الآية ٢١.

٢. سورة القصص، الآية ٧٦-٨٢.

٣. سورة سبأ، الآية ١٥-١٩.

٤. سورة الشورى، الآية ٣٠.

الله يعفو عن كثير^١ من ذنوبه و يؤاخذة بالقليل منها. إذن فأحداث العالم تتبع أعمال الإنسان إلى حدّ ما، فلو أن الناس أطاعوا الله و سلكوا طريق العبودية تتفتح عليهم أبواب رحمة الله و بركاته و لو انحرفوا عن جادة العبودية و ساروا في وادي الضلالة و بطلت أفكارهم و فسدت نياتهم، يظهر الفساد في المجتمع و تشمل دائرته البرّ و البحر و يسوق الشعوب إلى الهلاك بسبب الظلم و الحرب و الاضطراب و سائر الشرور و يجرّ عليهم البلايا و المصائب المدمّرة كالسيل و الزلزال و الصاعقة، و قد عدّ القرآن الكريم السيل العرم^٢ و طوفان نوح^٣ و صاعقة ثمود^٤ و صرصر عاد^٥ من هذه الحوادث.

إن الذي تقدّم هو بيان «المجتمع الطالح و المجتمع الصالح». و في الرؤية القرآنية فإن «الفرد» أيضاً حكمه حكم المجتمع، بمعنى أنه يرى أثر أعماله الحسنة و جزاء أعماله السيئة و لكنه تارة يتمتع بنعم الماضين و أخرى يتورط بأثر مظالم أجداده السالفين، علماً بأن التلازم المذكور في عمل المجتمع لا يمكن تبيانه بسهولة حول عمل الفرد أيضاً.

و إن النعم التي يهبها الله للفرد أو المجتمع الصالح هي من باب الإحسان و الامتحان نظير قوله تعالى حول النبي سليمان عليه السلام: «قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي

١. قوله «كثير» و عدم قوله «أكثر» دلالة على رافة الله و رحمته لأن الكثير يقابل القليل و الأكثر يقابل الكثير.

٢. سورة سبأ، الآية ١٦.

٣. سورة العنكبوت، الآية ١٤.

٤. سورة فصلت، الآية ١٧.

٥. سورة الحاقة، الآية ٦.

لِيُنلُوهُمُ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ^١. فإن الشكر من الأعمال الحسنة للبشر التي تسبب ازدياد النعمة: ﴿لَنْ يَشْكُرَهُمُ لَأَزِيدَنَّكُمْ^٢﴾، و الإنعام لأهل الفساد من باب المكر و الاستدراج و هي ظاهرها الجمال بيد أنها نعمة لهم و باطنها الجلال.

كما أن نزول البلاء و المصيبة على الفرد أو المجتمع الصالح أيضاً قد يكون للامتحان من أجل فصلهم و فرزهم عن الفسق أو الفاسقين كما يوضع الذهب في موقد الصانع لفرزه عن الشوائب أو اختباره لظهور مقياس عياره: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^٣﴾.

و إن نزول البلاء على أهل الفسق و الفجور عقوبة و جزاء لأعمالهم السيئة كما يُوفَّر لهم مجال التوبة و الإنابة ليستيقظ المذنب المعاقب على الفور و يعود إلى الصراط.

فإن ما ذكره هي نتيجة الأعمال التي تظهر في هذا العالم و تصيب صاحبها، إلا أن القرآن في مقام ذمّ الدنيا و ضلالة متاعها عند الله يقول: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ^٤﴾، و من هنا لا

١. سورة النمل، الآية ٤٠.

٢. سورة إبراهيم، الآية ٧.

٣. سورة العنكبوت، الآية ٣.

٤. سورة الزخرف، الآية ٣٣-٣٥.

تتنافى هذه الآية مع الآيات المبينة لتأثير الأعمال على مصير الإنسان في هذا العالم^١.

و بالإضافة إلى آيات القرآن الكريم الدالة على تأثير الأعمال الطالحة في إيجاد الحوادث السيئة هناك روايات عدة تبين هذا التأثير أيضاً.

فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أما إنه ليست سنة أمطر من سنة ولكن يصفه (يضعه) حيث يشاء إن الله عز وجل إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرها من الفياضي والبحار والجبال وإن الله عز وجل ليعذب الجعل في جحرها يحبس المطر عن الأرض لخطأ من بحضرتة وقد جعل الله له السبيل والمسلك إلى محل أهل الطاعة. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فاعتبروا يا أولي الأبصار والألباب. ثم قال: وجدنا في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ظهر الزناء كثر موت الفجأة وإذا طفف المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن وإذا جاروا في الأحكام وتعاونوا على الظلم والعدوان وإذا نقضوا العهود سلط الله عليهم عدوهم وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي أشرارهم وإذا لم يأمرؤا بمعروف ولم ينهوا عن منكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم أشرارهم فيدعوا أخيارهم فلا يستجاب لهم»^٢.

١. راجع: الميزان، ج ٢، ص ١٨١-١٨٣.

٢. نواب الأعمال و عقاب الأعمال، ص ٢٥٢.

و علاوة على تأثير الأعمال السيئة في الحوادث المؤلمة، فإن لنية الذنب أيضاً أثر سوء. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن المؤمن لينوي الذنب فيحرم رزقه!».

الانسجام بين تأثير الأعمال و نظام العلة و المعلول

إشكال: بما أن عالم الطبيعة تتم إدارته على أساس نظام العلة و المعلول، فإن جميع الحوادث العامة و الخاصة و السيئة و الحسنة (كالمسيل و البركات السماوية و الأرضية) معلولة لعلل طبيعية بحيث أن وجود هذه الحوادث و عدمها منوط بوجود و عدم عللها الطبيعية. و إن كل مؤمن أو كافر يستفيد أو يتضرر من الطبيعية بمقدار ما يتمتع به من علل طبيعية بشكل صحيح أو غير صحيح، و لذا فإن إسناد الحوادث المؤلمة و المفرحة إلى أعمال الإنسان الصالحة و الطالحة غير صحيح بل فرضية لا تمت إلى الواقع بصلة.

الجواب: هذا الإشكال إشكال أساسي و ينفي علاقة الأعمال بحوادث العالم بل و أيّ ضرب من الارتباط بين الإنسان و عالم الطبيعة عبر طرق ما وراء الطبيعة و ما وراء المادة، سواء كان من باب تأثير الأعمال الحسنة و السيئة أو تأثير الدعاء و الصدقة و صلة الرحم أو تأثير معاجز الأنبياء، بيد أن منشأ هذا الإشكال يعود إلى الفهم الخاطيء لآيات القرآن و كلمات أهل البيت عليهم السلام لأن أتباع نظرية العلاقة بين الأعمال الصالحة و الطالحة و حوادث العصر الممتعة و

المريرة ليسوا بصدد إنكار و نفي قدرة العلل الطبيعية أو إشراك الأعمال مع العلل الطبيعية في التأثير، كما أنه لم يكن مرادهم إشراك الله مع العلل الطبيعية أو نسبة بعض الأحداث إلى الله و بعضها الآخر إلى العلل المادية، بل مرادهم إثبات علل أسمى تُدعى بالعوامل المعنوية و هي في طول العوامل المادية، بمعنى أن الحوادث تُنسب من جانب إلى العلل المادية و من جانب أسمى إلى العلل المعنوية، كالكتابة التي تُسند إلى اليد و إلى الكاتب أيضاً. و هذه العلل المجهولة تدرج تارة في عداد العلل الفاعلية و أخرى في سلسلة العلل القابلية. و إن نظام العلة و المعلول بسبب حقائته يوكل زمام الأحداث إلى العلل الغيبية و يحيل عالم الطبيعة إلى نشأة ما وراء الطبيعة.

و بيان ذلك أن كلَّ موجود لا يكون وجوده عين ذاته لا يستطيع الاعتماد على نفسه و الاستناد إلى موجود يائثله و لا محيص له من الاتكاء على شيء يكون وجوده عين ذاته. و إن «قانون العلية» المهمّد لإيراد هذا الإشكال يرشدنا إلى الله الذي هو «علة العلل» و «مبدأ الكل» و من هنا فيكون للأشياء ارتباط غيبي مع علتها الأولى (علة العلل).

فلو اقترب الإنسان من الله عبر الحسن الفعلي و الفاعلي ستغمره رحمة الله و فيضه و عندها ستحلّ الخيرات و البركات بهذا الإنسان الصالح أو تُرفع من الإنسان الطالح من قبل الله الذي بيده الملك و الملكوت و تحت تدبيره العلل و الأسباب الطبيعية حيث يقوم بذلك مع حفظ كلِّ مظاهر العلية، فإن الله على

سبيل المثال وإن كان لا يُخرج الأشجار من دون الأمطار، إلا أنه وضع لنزول المطر علل و أسباب كثيرة بعضها مجهول، و بتحقيق أي واحد منها و كلها تحت تدبير الله ينزل المطر و استقامة المجتمع و استسقاؤهم في الصلاة الخاصة من جملة هذه العلل غير الطبيعية و المجهولة: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^١.

و إن للإنسان الصالح ارتباط بالمبدأ الذي زمام المياه بيده فيهدي الله سبحانه الرياح ليحمل الزرع و يسوق السحاب إلى حيث الأراضي الجرداء القاحلة ثم يأمر السحاب أن ترسل أمطارها على الأرض الفلانية: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾^٢. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا تُمُّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ تُمَّ يَجْعَلُهُ رِكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾^٣. إذن فمدبر العالم بأسره في نظام العلة و المعلول هو الله و نظام العالم يدور بأمره و إن سار الناس في الصراط المستقيم سيرسل الله عليهم الأمطار في الوقت المناسب و إلا فسيُحرمون من فيض الله و رحمته. و من هنا فإن مناط الإشكال و الجواب واحد، بمعنى أن ارتباط الأعمال الحسنة و السيئة مع حوادث العصر لا ينفي قانون العلية لأن الله الذي هو «علة العلل» و «مسبب الأسباب» يُوفِّق الصالحين و يهدي الأحداث وفق مرادهم و يأخذ بيدهم إلى المقصد و من لم يكن صالحاً سيُحرَم من هذا التوفيق فيما بينه و بين أحداث العالم.

١. سورة الجن، الآية ١٦.

٢. سورة السجدة، الآية ٢٧.

٣. سورة النور، الآية ٤٣.

ملاحظتان:

- ١- تقدّم أن الله قد يختبر قوماً على أساس الاختبار الحكيم بالإمكانيات المادية أو يجعل حصيلة أعمالهم الجيدة التوصلية (لا التعبدية) سبباً لتأمين رفاههم في الدنيا فإن هذا كله لا يتنافى مع البحوث السابقة.
- ٢- التجربة تبعث على الطمأنينة و هي معتبرة بالنسبة إلى المسائل التي تم اختبارها و لكن لا تدلّ على الحصر بتاتاً، بمعنى أنه لا يمكن قطّ نفي ما لم يوضع في حلبة الاختبار من خلال علم التجربة كالدعاء و الصدقة و صلة الرحم و صلاة الاستسقاء لأن التجربة تسير في دائرة الإثبات لا النفي.

علاقة البلايا الطبيعية بالامتحان الإلهي

واحدة من أسباب الحوادث الطبيعية المدمرة كالزلازل و السيل و الطوفان و تسونامي و انهيار الجبل و الهزة الأرضية و غيرها من الكوارث الفادحة التي تخلف خسائر بشرية و مالية هي الامتحان الإلهي.

و قد تعرض القرآن الكريم لهذه المسألة و أوصى بالصبر أمام المصائب: ﴿وَلْتَبْلُوْا كُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^١، و السرّ من هذا الامتحان و تنوعه هو أن الناس خلّقوا بمواهب مختلفة و الباعث على ازدهار هذه المواهب هي الامتحانات المتنوعة.

و إن الصبر و الشكر من كمالات الإنسان و لا ينتقل هذا الكمال من القوة إلى الفعل من دون الابتلاءات المختلفة، و من هنا فتارة يختبر الله سبحانه الإنسان بالنعمة و المنحة^١ و العزة و أخرى بالنقمة و المحنة و المهنة ليظهر شكره و صبره الباطني، و يُعرف الإنسان الصابر في الابتلاء بالضرء و النوائب و الظروف العصبية و المرّة، و الإنسان الشاكر في الامتحان بالسراء و رفاهية العيش و الدعة، و على هذا الأساس يرد الابتلاء بالشدائد و الصعوبات و الصبر عند الحرب و تجهيش الجيوش و الامتحان بالمسائل الرفاهية بعد الانتصار و اكتساب غنائم الحرب.

و يظهر من التأكيد الوارد في هذه الآية و في آيات أخرى في قوله ﴿وَلْتَبْلُواْكُمْ﴾ أن الابتلاء قضاء إلهي حتمي و لا مفرّ منه لأي أحد فمن طلب من الله قائلاً: اللهم ارفع عني الابتلاء، لا يستجاب دعاؤه و عليه أن يقول: اللهم اجعل إيماني راسخاً و وفقني لأن أخرج من ابتلائك مرفوع الرأس^٢.

الابتلاء بعدم استقرار الأمن و الفقر الاقتصادي

المقصود من الابتلاء بـ«الجوع» و «الخوف» في الآية السابقة هو الابتلاء بعدم استقرار الأمن و الفقر الاقتصادي، و بعبارة أخرى ليس المراد بالجوع هو خصوص الجوع الذي يقابل العطش بل المراد به أعم من الجوع و العطش و

١. المنحة: العطاء و الهبة (قاموس دهخدا، ذيل كلمة منحة).

٢. راجع: وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٣٧، «باب أنه يكره أن يقال اللهم إني أعوذ بك من الفتنة بل يقال من مضلات الفتن».

سائر الأضرار و المصائب البدنية، كما ذكر العطش و التعب في بعض الآيات إلى جانب الجوع بالصراحة: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

فإن التعبير عن النقص في المسائل المالية و الاقتصادية بـ«الجوع» كالتعبير عن التصرف في مال الغير بـ«الأكل» أو التعبير عن اقتراف الذنوب بمختلف أعضاء البدن بـ«اقترافه باليد»، فالمراد بالأكل في بعض التعبيرات نظير ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^٢، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^٣ هو مطلق التصرف، و قد تم التعبير عن التصرف في أموال الآخرين بالأكل لأنه أبرز مصاديق التصرف، و المقصود أيضاً من ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^٤ هو جميع الذنوب لا خصوص التسي تُقترف بواسطة اليد، و قد عبّر بذلك لأن أكثر الأعمال يتم إنجازها عبر اليد، و كذلك الحال في الآية التي نبحت فيها لأن الجوع هو المثال البارز للفقر و الضعف و لذا فقد تم التعبير به عن الجوع و الفقر في الملابس و المسكن و نظائرها، كما هو

١. سورة التوبة، الآية ١٢٠. ينبغي الالتفات هنا إلى أن التفصيل قاطع للشركة، ففي المواطن الذي يُذكر الجوع إلى جانب سائر

٢. سورة البقرة، الآية ١٨٨.

٣. سورة النساء، الآية ١٠.

٤. سورة الشورى، الآية ٣٠.

الحال في آية ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^١ حيث عبّر عن الازدهار الاقتصادي بالإطعام من الجوع.

النقص في المال و النفس و الثمر

تارة يتحقق الابتلاء و الامتحان الإلهي بالفقر: ﴿بَشِيءٍ مِنْ... وَالْجُوعِ﴾ فإن الإنسان في هذه الحالة و لو لمدة قصيرة يفتقر وجود أي شيء للأكل و أخرى بنقص المال: ﴿وَتَقْصِرِ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾^٢ و «النقص» غير الزوال، و الإنسان المبتلى بنقص المال ليس جائعاً أو عرياناً أو متشرّداً بل عليه أن يعيش حياة بسيطة. و بالنظر إلى هذا التنوع في الابتلاءات تبدل سياق الآية من ﴿بَشِيءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ إلى ﴿وَتَقْصِرِ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾، لأن المراد من ﴿وَتَقْصِرِ...﴾ هو «و بنقص» لا «و بشيء من النقص». علماً بأن عبارة ﴿بَشِيءٍ﴾ تشير إلى قلة الابتلاءات المذكورة و محدوديتها زمنياً و يكون معناها «بشيء قليل». و الحاصل أن الإنسان المبتلى في هذه الحالة إما أنه لا يحصل على شيء أو إن حصل عليه يُؤخذ منه و كلها من باب الامتحان.

و المراد بـ«نقص الأنفس» الذي يعدّ من الابتلاءات الإلهية هو القتل في سبيل الله أو أعم منه و من الموت الطبيعي لأنها بأجمعها من مصاديق «نقص النفس»، كما أن المقصود من «نقص الثمرات» إما أن يكون الثمر الاقتصادي و

١. سورة قريش، الآية ٤.

٢. سورة البقرة، الآية ١٥٥.

لاسيما المحاصيل الزراعية و ثمار الأشجار، أو الأولاد نظراً إلى ما يقال من أن الأولاد ثمار القلوب و بالإمكان أن يشمل الجميع.

و لعل في ذكر الثمر بعد المال إشارة إلى أن الثمر ليس مالياً باستمرار لأن ثمار أشجار الأراضى التي لا مالك لها ليست من الأموال الشخصية.

عظمة أجر الصابرين

إن الذين يخرجون من الابتلاء الإلهي المذكور في الآية التي نبحت فيها منتصرين يدخلون في عداد الصابرين و تشملهم البشارة الإلهية و لذا قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^١، و إن عدم ذكر البشرى و متعلق التبشير إنما هو لإلفات الأنظار إلى أهميتها و سعتها. فلو كانت البشارة بأمر جزئي لقال: بشرهم بالأمر الفلاني، و أما إن كان لأجر الصبر من الأهمية بمكان لا تحده حدود فهو خارج عن نطاق الذكر، و أجر الصابرين كذلك لا يُحدّ و لا يُعدّ: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^٢.

و إن حذف متعلق التبشير علاوة على الإرشاد إلى عظمتها يدلّ على شموليته أيضاً. فهذه البشارة تشمل نعم الدنيا و الآخرة و لا تختص بالنعم الآخروية. فإن الله سبحانه يهب للصابرين في الدنيا من باب البشارة الكثير من النعم و الفضائل و الملكات الحميدة - التي يتعلق بعضها بالآخرة - و السرّ في

١. سورة البقرة، الآية ١٥٥.

٢. سورة الزمر، الآية ١٠.

ذلك هو أن الصبر من عزم الأمور: ﴿وَاضْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾!

و بيان ذلك أنه لا يتم أي عمل من دون تصميم و عزم و إرادة و كلّ عمل إرادي و إن كان بسيطاً مسبقاً بالإرادة بيد أن بعض الأعمال من عزائم الأمور، أي أنها «مما ينبغي أو يجب أن يُعزم عليه» و لا تحقق بإرادة اعتيادية. و على الإنسان لتحقيق مثل الأمور أن يفكر في عاقبتها و يتدبّر و يستشير فيها للوصول إلى الجزم حتى لا يتغلغل إلى إرادته الوهن و فتور الهمة و الكراهة و التردد و الشك و الانزجار و يكون مصمماً على القيام به. أما الإرادة التي تنزل بأدنى حدث فهي ليست من الصميم الخالص و ما دامت غير خالصة لا يطلق عليها التصميم لأن «الصميم» هو الشيء المحض الخالص و لذا يُطلق على الصخرة المستحكمة التي لا يوجد فيها شقّ و لا فطور «صخرة صماء» و على الصديق الذي لا خلل في صداقته «صديق صميم» و على الرجل الفاقد لسمعه الذي امتلأت أذنيه و لا سبيل لنفوذ الصوت إليها «أصم».

و الصبر ليس بعمل طبيعي حتى يستطيع الإنسان أن يصبر من دون تصميم، إذ لا بد أن يأخذ زمام نفسه بيده في كل لحظة لئلا يجرّ التردد و الكراهة و أشباهها مركز عزمه و تصميمه إلى الوهن و يسوقه إلى الجزع، فالإنسان الصابر قد حقق عبر صبره واحدة من عزائم الأمور. علماً بأن «الصابر» يطلق على من

يحمل ملكة الصبر في جميع الحوادث و تكون هذه الصفة بالنسبة له ثابتة مستمرة و من هنا فإن «الصابر» صفة مشبهة، لأن للصفة المشبهة الدالة على الثبات و الاستمرار أوزان مختلفة، و إنّ وزن الفاعل و المفعول أيضاً إن دلّ على الملكة و الاستمرار كالصابر و المحمود فهو صفة مشبهة لا اسم فاعل أو اسم مفعول. و من يصبر في حادثة واحدة لا يدعى بالصابر أو «الصبور» بل يقال فيه بأنه «صَبِرَ»، أو من يجزع في حادثة واحدة لا يوصف بـ«المجزع» بل يقال فيه بأنه «جَزَعَ».

و على أي تقدير فإن الذي يُبشّر بالنعم الإلهية دنيوية كانت أو أخروية هو من يحمل «ملكة الصبر»، و «الصابرون» المتمتعون بالبخشارة الإلهية هم أصحاب الملكة و المقام لا المستودع و الحال.

عالم الطبيعة نشأة الامتحان

إن حدود عالم الطبيعة بأسرها تدخل في دائرة الامتحان الإلهي و كلّ ما يحقد بالإنسان في هذا العالم من ألم و مشقة أو رفاهية و دعة و من نوائب الدهر الحلوة و المرّة هو ابتلاء إلهي و كما أنه لا يحصل الإنسان على شيء مجاناً فإن أعطي أجراً بسبب نجاحه في الامتحان السابق فهو بداية امتحان جديد لأن الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء و الجزاء المحض الذي لا يرافقه التكليف و الابتلاء مختص بيوم القيامة.

و قد قال الله سبحانه في بيان أن عالم الطبيعة كله نشأة الامتحان: ﴿وَأِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^١، فإن كل ما على الأرض زينة لها و وسيلة لامتحان أهلها لا زينة للإنسان. و إن نعمة الأرض و غضايتها لا ابتلاء الشكر، و نقتها و ضمورها لا ابتلاء الصبر. أما زينة الإنسان فهو الكمال المودع في قلبه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^٢، و ما هو خارج عن نطاق نفس الإنسان و مفصول عن حقيقته لا يعدّ زينة للإنسان و إن الحليّ و اللباس الفاخر و ما إلى ذلك زينة اليد و الجسم لا زينة النفس. فمن اكتسب العلم و التقوى و جعلهما نبراساً لحياته فقد زين نفسه و أما من أحيا أرضاً ميتة بالزراعة أو بنا بيتاً فقد زين الأرض لا نفسه. إذ ليس من المعقول أن يزدان الإنسان بازدهار الأرض و زهائها و أمثال ذلك، لأن الإنسان موجود خالد و هذه الأمور زائلة و عن قريب أو بعيد ستؤول نضارة الأرض و طراوتها إلى الأفول و الخمول: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾^٣، فمن اشتغل و انتهى بما هو خارج عن ذاته فقد أضع رأس ماله لأنه يأتي زمان يرحل عنه ما هو خارج عن هويته و يبقى ما في باطنه خالياً فارغاً.

١. سورة الكهف، الآية ٧.

٢. سورة الحجرات، الآية ٧.

٣. سورة الكهف، الآية ٨.

و الحال كذلك حتى لو سافر الإنسان إلى الكرات الأخرى و أصبح مالكاً للمنظومة الشمسية و سائر الكواكب، إذ كما أن المزرعة و البيت و ما شابههما زينة الأرض لا الإنسان، كذلك الكواكب فإنها زينة السماء لا الإنسان: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^١، فعلى الإنسان سواء كان أرضياً أم سماوياً أن يبحث عن الكمال في أعماق وجوده.

و قد صرّح القرآن الكريم بأن «المال» و «البنين» اللذان عبّر عنهما بالزينة: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^٢ ليسا إلا امتحان و فتنة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^٣، فكما أن الفقر أو نقص المال فتنة و ابتلاء: ﴿وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾^٤، كذلك الغنى و كثرة الأموال فتنة أيضاً.

الابتلاء بالمصائب

إن وقوع أي حدث سواء كان مفرحاً أم مؤلماً هو من أجل الامتحان، بيد أن الإنسان المتوسط و الضعيف لا يتعامل مع الأحداث المفرحة على أنها امتحان و هو غافل عن هذا الجانب. و إن أغلب عباداته أيضاً تبتني على أساس العادة لا شكر الله. فمثله الغارق في عالم الطبيعة و المنافع المادية لا يؤدي شكر الحق

١. سورة الصافات، الآية ٦.

٢. سورة الكهف، الآية ٤٦.

٣. سورة الأنفال، الآية ٢٨.

٤. سورة البقرة، الآية ١٥٥.

بتأناً. و من أجل أن يتوجّه مثل هذا الإنسان إلى ما وراء عالم الطبيعة يبتليه الله سبحانه بالآلام والمصائب.

ثم إن الله لا يريد تعجيل العذاب لأي أحد حتى الفراغته، ولكن حينما لم يعد لنصيحة موسى و هارون عليهما السلام و هدايتهم و دعوتهم و تذكرتهم من قبل الله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^١ أثر في قلوبهم القاسية أخذهم الله و لسنين متمادية بالمشقة و الجفاف و قلة المنافع الزراعية و الحيوانات و ابتلاهم بها لعلهم يتذكرون: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾^٢، و السرف في قوله «لعل» هو أن التذكرة على حد التمهيدي و لعل خبر عن مقام فعل الله و ذلك التمهيدي لا أنها خبر عن مقام الذات الواجبة، فالترديد ناجم من إمكانية تأثير هذه التذكرة و بالتالي تذكّرهم، و إلا فإن الله سبحانه و تعالى في مقام الذات عالم بتأثير التذكرة أو عدمه و كذا بتأثيرهم منها أو عدمه.

إن المشاكل الفردية و الجماعية امتحان إلهي و للامتحان الإلهي مراتب و درجات و كما ورد في الآية التي نبحت فيها فقد كان الابتلاء أولاً شيء من الخوف و الجوع و قد يصل في مرتبته العالية إلى درجة من القوة و الشدة يصاب المؤمنون فيه بزلزال شديد. حيث يقول الله في القرآن الكريم بهذا الشأن: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ

١. سورة طه، الآية ٤٤.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٣٠.

الْقُلُوبِ الْحَتَّاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا^١. ففي هذا الابتلاء الذي يزلزل الإنسان حتى آل بالمنافقين وضعاف الإيمان أن يتركوا الساحة: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا^٢، تجرد المؤمنون أهل استقامة و صبر و ثبات: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا^٣.

و إن مثل هذا الابتلاء لا يختص بأمة و فئة كما يقول الله سبحانه مخاطباً المؤمنين في المدينة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ^٤. و إن هذه الآيات تحتاج إلى مزيد من التدبر لأن عبارة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ...﴾ تخاطب من كانوا يصلون الصلوات الخمس في أشرف المساجد بعد المسجد الحرام و هو مسجد النبي و بإمامة أفضل إمام في العالم و هو الرسول الأكرم ﷺ و يسمعون حديثه و مواعظه و يضافحونه. فيقول هؤلاء: حسبتم أن تدخلوا الجنة بأعمالكم هذه من دون ابتلاء و امتحان.

١. سورة الأحزاب، الآية ١٠-١١.

٢. سورة الأحزاب، الآية ١٢.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

٤. سورة البقرة، الآية ٢١٤.

و هناك آيات أخرى تدلّ على أن المصائب من وسائل الامتحان الإلهي و هي التي تتحدّث عن مسائل الحرب و صعابه قائلة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُؤُوا أَخْبَارَكُمْ﴾^١.

ملاحظة: الابتلاء بالخوف و الجوع غير الجزاء و العقوبة بهما و هذا ما هو مشهود بالكامل من قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾^٢، و هناك فرق كبير بين هاتين الآيتين، ففي إحداها ابتلاء و في الأخرى جزاء، و في إحداها ﴿بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ...﴾^٣ و في الأخرى عنوان الخوف و الجوع، و في إحداها إشارة إلى اللباس و إحاطة العذاب و اشتماله و في الأخرى التي هي موطن البحث إشارة إلى غير ذلك^٤.

الابتلاء بالنعمة

إن الله سبحانه كما يبتلي الإنسان بالفقر و الأخذ و نقص النعمة يبتليه أيضاً بإعطاء النعمة كالمقامات الظاهرية و الباطنية و الانتصار و التمكّن و المال و الأولاد و كثرة الثمرات، علماً بأن الحياة الدنيا على حدّ البرعمة و لا تثمر أبداً، لأن شجرة الدنيا قد غُرست في مكان بارد و براعمها قبل أن تتحول إلى ثمرة تصاب ببرد قبل أوانه و تسقط، و لذا لا تجد أحداً قطف ثمرة من شجرة الدنيا،

١. سورة محمد، الآية ٣١.

٢. سورة النحل، الآية ١١٢.

٣. سورة البقرة، الآية ١٥٥.

٤. تفسير التحرير و التنوير، ج ٢، ص ٥٣، مع شيء من التغيير.

سوى أن هذه البرعمة أيضاً وسيلة للامتحان كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَعْدَنَّ عَيْنِكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^١.

فإن التمتع بالأموال والأولاد ووفرتها وكثرتها للكفار والمنافقين ضرب من العذاب: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^٢، ولغيرهم ابتلاء ليس إلا وإن كانوا لا يشعرون بذلك و يحسبونه خيراً لهم: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^٣، والحال أن الخير هو الخشية والإيمان والابتعاد عن الشرك وعبادة الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^٤.

والمحاصل أن الدنيا قد امتزج فيها الحق والتكليف وكلها ابتلاء سواء كانت من السراء أو الضراء، وحتى لو استجيب دعاء امرئ وحلّ به الخير والبركة فهو له ابتلاء لأن الخير والبركة تستجلب المسؤولية، وعلى هذا الأساس وإلى جانب بيان تمتع أهل الاستقامة بالرزق الكثير، ذكر الله سبحانه بأنه ابتلاء وفتنة

١. سورة طه، الآية ١٣١.

٢. سورة التوبة، الآية ٥٥.

٣. سورة المؤمنون، الآية ٥٥-٥٦.

٤. سورة المؤمنون، الآية ٥٧-٦١.

قائلاً: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾^١. ولذا لا تجد شخصاً حتى المستجاب دعاؤه في الدنيا و نشأة التكليف خارجاً عن دائرة الامتحان الإلهي، لأن هناك بإزاء كل نعمة مسؤولية تدل على أنها ابتلاء، وعلى هذا الأساس فإن تنعم المتقين أيضاً لا يخلو بتاتاً عن وقوع المسؤولية على عاقبتهم.

ومن هنا فإن البركات السماوية والأرضية وإن كانت وليدة التقوى - علماً بأن النعم والرفاهية التي غمرت الكفار والفاسقين إنما هي تهديد لعذابهم - ولكنها ليست عارية عن المسؤولية ومن باب الأجر الأبدي. والبركات السماوية تشمل نزول المطر في أوانه و سطوع الشمس و أمثالهما وكذا العلوم والمعارف الغيبية التي يُلقِيها الله على قلوب المؤمنين: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^٢، كما يمكن أن تشمل البركات الأرضية صلاحية الأرض للزراعة وكذا العلوم المدرسية التي يُستعان في تعلمها من الكتاب والأستاذ والبصر والسمع.

الابتلاء بالخير والشر

إن الحوادث بأسرها امتحان إلهي سواء كانت مفرحة أو مؤلمة. فيبتلي الله سبحانه البعض بالرفاه والبعض الآخر بالمشقة كما يقول: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^٣، ويقول أيضاً: ﴿وَبَلَوْنُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^٤.

١. سورة الجن، الآية ١٦-١٧.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

٣. سورة الأعراف، الآية ١٦٨.

و السرّ في تقديم ذكر الخير على الشرّ في هذه الآية هو أن امتحان الشدة لدى أكثر الناس أهم من امتحان الرخاء، و الحال أن امتحان الرخاء إن لم يكن أقوى و أشدّ من امتحان الشدة فهو ليس بأسهل منه على اليقين لأن الشكر يساوي الصبر إن لم يكن أشدّ منه، و سبب ذلك هو أن الغني المرفّه غالباً ما تراه يطغى و يمتنع عن أداء الحقوق الإلهية إلى بيت المال و المبتلى بالشدة و البلاء بدلالة الكثير من الآيات و الروايات يعلم أنه في حال الامتحان، أما المرفّه المنتعم لا يعلم أنه في موضع الابتلاء الإلهي و لذا يكون غافلاً. و قد روي في هذا الشأن عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من وسّع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله»^١، «... من وسّع عليه في ذات يده فلم يرَ ذلك استدراجاً فقد آمن مخوفاً»^٢.

ثم إن الله لا يهب أي نعمة لأحد من دون مسؤولية و ابتلاء بيد أن الإنسان الساذج الفكر حينما يبتلى بالشباب و السلامة و القدرة يقول: إن الله أكرمني، و عندما يبتلى بالمرض و الشدة يقول: إن الله أهانني، و الحال أن كلا الحدين ابتلاء كما أن الله سبحانه قد عبّر عن كلتا الحادتين بـ«الابتلاء»: «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا»^٣. فلا يوجد فرق بين الإنسان السالم و المريض

١. سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

٢. المفردات، ص ١٤٥-١٤٦، «ب ل ي»: بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٨٦.

٣. نهج البلاغة، الحكمة ٣٥٧.

٤. سورة الفجر، الآية ١٥-١٧.

من منظار المعارف القرآنية، فمن ابتلي بالسلامة عليه أن يكون شاكراً و من ابتلي بالمرض عليه أن يكون صابراً و صعوبة الشكر لا تقل عن مشقة الصبر لأن الشكر الحقيقي هو صرف كل نعمة في موضعها المناسب و يمكن معرفة هذه المناسبة من خلال الدليل العقلي أو النقلی.

و الشاهد الآخر على هذا المعنى و هو أن كلا الحالتين المذكورتين امتحان إلهي، الآیة التالية: ﴿وإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾^١، فإن الله يطلب من الإنسان ألا يعرض عنه في حال الرخاء و الدعة و ألا يكفر و ينكر الجميل في حال الشدة و إلحاق الضرر به. فإن هذا المضمون الشامل شاهد على أن كلتا الحالتين ابتلاء، فإن غمرت الإنسان رحمة لا ينبغي أن يعتبر نفسه مستحقاً لها، لأن الحسنة أو دعاء الخير السابق لها و المزعوم أنه الأساس لهذا الاستحقاق أيضاً نعمة من الله و مشمول لهذا الأصل العام و هو ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^٢، كما قال الإمام السجاد عليه السلام: «كل نعمك ابتداء»^٣.

و يقول القرآن الكريم في الاستنتاج من المباحث المذكورة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^٤.

١. سورة الشوري، الآیة ٤٨.

٢. سورة النحل، الآیة ٥٣.

٣. الصحيفة السجادية، الدعاء ١٢.

٤. سورة الحديد، الآیة ٢٢-٢٣.

هذه الرؤية التوحيدية تبعث على راحة الإنسان واستقراره في الحياة لأنه يعلم أن الدهر يظهر في كل يوم بلون ومظهر خاص، يوم له ويوم عليه و كلاهما امتحان و لذا لا يرى نفسه مستحقاً في حال الرفاه و التمكّن و لا يتفاخر بذلك كما و لا يغتمّ في حال زوال المكنة أيضاً و لا يُهزم و لا يوقع نفسه في التعب و المشقة.

خطر الغفلة عن الامتحان الإلهي

تقدّم أن الامتحان في حالة الشدة سهل و قابل للتحمل لعلم الإنسان بأنه مبتلى، بخلاف حالة الرخاء التي تحول الممتع بها عن إدراك كونها ابتلاء و تؤول به إلى الغفلة، و من هنا فإن أولياء الله لا يطلبون المسائل الرفاهية في الأغلب و إنما يطلبون من الله الحسنة في الدنيا و الآخرة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾^١، و حسنة الدنيا هي الرفاه المقرون بالشكر لا الرفاه المقترن بالغفلة و الطغيان.

و قد أشار القرآن الكريم في تبيانه لإحدى السنن الإلهية إلى هذه المسألة قائلاً: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^٢.

١. سورة البقرة، الآية ٢٠١.

٢. سورة الأنعام، الآية ٤٢-٤٤.

إشارة: إن السبب في التعرض لمثل هذه المعارف الإسلامية في بحث البيئة هو أن سلامة البيئة منوطة بسلامة المجتمع الذي يعيش فيها و سلامة المجتمع مرهونة بسلامة ثقافته و آدابه و سننه و القانون المتداول فيه و سلامة كل هذه الأمور مربوطة بالإيمان بكرامة الإنسان و كرامة الإنسان مدينة لخلافته لله. لأن خليفة الله الكريم يتصف بالكرامة و خلافة الإنسان في صيانة روحه المجردة و الملكوتية التي نُفخت فيه من قبل المستخلف عنه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^١ و سلامة كيان الروح المجردة في الاعتقاد الراسخ بالأصول و المعارف الدينية و في التخلُّق بأخلاق الشرع المبين و في الالتزام و التدبُّن العملي بالفقه و الحقوق الإلهية و في مثل هذه الظروف تتكوّن بيئة سالمة من أي ضرر و مصونة من أي خطر لا محالة.

الفصل الرابع

العمل في الطبيعة

و تأثيرها في سلامة البيئة

دور العمل في سلامة البيئة

واحدة من أبعاد سلامة البيئة هي حركة و نشاط أفراد المجتمع، و إنّ السكون و الركود من الآفات التي قد يكون لها أثر سوء على الفرد و على المجتمع كذلك.

فعلى الإنسان أن يكون دوماً في جهد و سعي للوصول إلى التعالي و التكامل:

و ما نيل المطالب بالتمنى و لكن تؤخذ الدنيا غلاباً
و ما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركاباً

و إنّ قيمة العمل لا تقتصر على تحصيل الأموال بل تتبعها آثار كالكسب الشخصية و الشعور بالاستقرار النفسى و أن يكون مفيداً للمجتمع بالإضافة إلى أنه يمثل تكليفه الإلهي، لأن الإنسان العاقل عن العمل من جانب يصاب بالكآبة لما يرى من نفسه أنه عالة على أفراد الأسرة و المجتمع و يُبتلى بالأمراض النفسية و الأمراض الجسدية كذلك و من جانب آخر يقع مورداً لغضب الله

أيضاً: «إن الله ليبغض العبد الفارغ»،^١ و من هنا لابدّ من تبيان أهمية العمل و الكدّ و دوره في سلامة البيئة أيضاً.

أهمية العمل في الإسلام

يُذكر العمل في نظام الإسلام القائم على أساس القيم و المبادئ بوصفه سرّ الخلق و حكمة الوجود. و إن الإنسان ليُظهر جوهرة الوجودية من خلال الجِدّ و الجهد و يحدّد قيمته الحقيقية عبر العمل.

فقد خلق الله سبحانه الإنسان و أودع فيه الروح المنسوبة إليه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^٢ و سخر له كلّ ما هو ضروري لاكتساب الكمالات الروحية و المادية: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^٣ و وصفه بالكرامة و الفضل على الكثير من المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^٤. كما و أنشأه من الأرض ليقوم عبر الجِدّ و الكدّ بإعمارها: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^٥ و يتعرّف عبر أعماله الصالحة على حكمته الوجودية و يتصدي لاكتساب كرامته النفسانية. من أجل أن تتحقق سلامة البيئة و تكاملها في ضوء العمل لإعمار الأرض و معرفة النفس.

١. وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٥٨.

٢. سورة الحجر، الآية ٢٩.

٣. سورة لقمان، الآية ٢٠.

٤. سورة الإسراء، الآية ٧٠.

٥. سورة هود، الآية ٦١.

فإن عزة أي شعب وكرامته و استقلاله و سلامته و أمنه مرهون بهمته و جهده، كما و أن ذلّة كلّ شعب و دناءته و خموله و عدم استقرار الأمن فيه وليد كسله و ركونه إلى الراحة و الدعة و بطالته.

و يمكن استنباط أهمية العمل و قيمة الاشتغال في إسناد العمل إلى الله. فإن القرآن الكريم يُسند القيام بأعمال مختلفة إلى الله في مواطن كثيرة و يقول في بعض الآيات على نحو جامع و شامل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^١، فإن الله في كلّ يوم بل و في كلّ ظهور و تجلّ يظهر بعمل جديد. و إن أفعاله غير مكررة و لا يشابهه أحدها الآخر، لأنه في حال الإيجاد على الدوام و لكلّ موجود ميزة خاصة يمتاز بها عن غيره و لذا فإن تجلي الله لا يقبل التكرار و كلّ المخلوقات لا تعرض احتياجاتها إلا عليه: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢، و إن تلبية الطلبات بأجمعها مختصة بالله و فكّ العقد بأسرها منوط بإرادته: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾^٣.

العلاقة بين العمل و الرؤية الكونية

إن رؤية الإنسان للعمل تضاهي رؤيته لعالم الوجود، فمن يعتبر أن جميع المخلوقات منحصرة في النطاق المادي و لا يتعرف رسمياً في مجال علم المعرفة إلا بطريق الحسّ و التجربة، يزعم أن العمل محدود بالإنتاج المادي و الاستهلاك

١. سورة الرحمن، الآية ٢٩.

٢. سورة الرحمن، الآية ٢٩.

٣. سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

المادي، و أما العارف بالثقافة القرآنية يعلم أن القرآن قد قسم الوجود إلى غيب و شهادة و تبعاً لذلك تنقسم المعرفة إلى هذين القسمين و العمل أيضاً كذلك. و على هذا الأساس فمن يرى الوجود أكبر من المادة ينظر إلى العمل أيضاً بنظرة أكثر شمولية و سعة و يوسّع دائرة نشاطاته عبر تقديسه بالرؤية المعنوية.

سعة دائرة العمل

إن من التكاليف المستمرة في كل يوم هي النشاط الإنتاجي و التكسب و العمل من خلال السيطرة على الطبيعة و استخدامها. يقول الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^١، و يقول أيضاً: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾^٢.

و إن دائرة عمل البشر لا تتحدد بنقطة خاصة بل يمتدّ ميدان الجهد و الجدّ من أعماق البحار إلى أوج السماء و سعة البراري و الصحاري: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾^٣، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^٤.

و لا بد من الالتفات هنا إلى أن العمل لا يقتصر على النشاط البدني، بل إن العالم الذي يسعى عبر علمه و بحثه لحلّ مشاكل المجتمع العلمية أو الطبيب الذي

١. سورة النبأ، الآية ١١.

٢. سورة المزمل، الآية ٧.

٣. سورة الملك، الآية ١٥.

٤. سورة النحل، الآية ١٤.

يداوي المرضى أو المهندس الذي يُخطِّط المشاريع الفنية أو طالب العلم الذي يجتهد في سبيل اكتساب العلم و... كل واحد من هذه الجهود العلمية و الأبحاث الدراسية مصداق بارز للعمل مع اختلاف في قيمتها وأهميتها.

المجهد الجادّ والمستمر

إن من تأكيدات الإسلام المهمة إلى الناس هي ألا يتوقفوا عن الاجتهاد و العمل في أي زمن من حياتهم. و على الإنسان دوماً خوض ميدان الجهد و الجهاد بصورة جادة و مستمرة في مختلف عرصات حياته - و منها العمل لتأمين متطلباته الاقتصادية و المعيشية - ليتأقّى للمجتمع الديني في ضوء هذه الجهود و المساعي الوصول إلى الصلاح من الناحية الفردية و نبيل الأهداف السامية من الناحية الاجتماعية.

و قد ورد في بيان نوراني للرسول الأكرم ﷺ تبين ميزان عمل المسلم في حياته جلياً حيث يقول: «إن قامت الساعة و في يد أحدكم الفسيلة فإن استطاع أن لا تقوم الساعة حتى يفرسها فليفرسها»^١.

فبالاستناد إلى هذا البيان ينبغي على الإنسان أن يعمل مادام على قيد الحياة و على كل فرد في المجتمع الإسلامي أن يبذل جهده و سعيه بمقدار استعداده و استطاعته.

١. مستدرک الوسائل، ج ١٣، ص ٤٦٠؛ كز العمال، ج ٣، ص ٨٩٢

فالمزارع في إنتاج المحاصيل الزراعية و الصانع في الإنتاجات الصناعية و المعلم في التعليم و المحقق في التأليف و التدوين، و على الجميع أن يبذل كل ما بوسعه للقيام بتكاليفه كميّاً و كيفيّاً و أن يعملوا حقيقة بمقدار استطاعتهم.

و من جانب آخر فكما أمر الناس - طبق التعاليم الإلهية - بالمجهود في مجال الإنتاج و رُغّبوا على ذلك، مُنعوا أيضاً من الكسل و التقاعس عن العمل بحيث أن الشخص العاقل عن العمل و بواسطة ابتعاده عن الجدّ و الكدّ في المجتمع الإسلامي إضافة إلى أن له تأثير سيء في سلامة العائلة نفسياً و سلامة البيئـة، قد استجلب لنفسه أكبر تهديد و شقاء في نظام الخلق و هو غضب الله كما قال الإمام الكاظم عليه السلام: «إن الله ليبغض العبد الفارغ»^١.

و قد عدّ التكاسل و التقاعس في روايات أهل البيت عليهم السلام من أبغض الخصائص الأخلاقية التي تضع دينا الفرد و تفسد آخرته، فقد ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في هذا الشأن أنه قال: «إياك و الكسل و الضجر فإنهما يمنعانك من حظك من الدنيا و الآخرة»^٢.

فعلى الإنسان أن يكون مفيداً للمجتمع عبر الكدّ و العمل ما دام على قيد الحياة و أن يقوم بالعمل الذي في عهده و بمقدار استطاعته على النحو الأحسن سواء كان في مجال الزراعة أو تربية الحيوانات أو الصناعة أو الأعمال الثقافية و العلمية. و أما البطالة فهي مرفوضة من قبل المجتمع و مبعوضة من قبل

١. وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٨٥

٢. الكافي، ج ٥، ص ٨٥

الله، و من هنا فإن دعاء الإنسان العاقل لا يستجاب. إذن فجميع الأفراد مكلفون بالعمل كلِّ بمقدار قدرته الجسدية و الفكرية و بالطبع فإن مقدار العمل المُتوقَّع من الشاب لا يُنتظر من الشيخ الكبير.

علماً بأن هناك روايات كثيرة في هذا المجال تبين من خلال الرؤية الشاملة لها قيمة الجهد و العمل البالغة في المدرسة الإسلامية، و لكن رغم كلِّ هذه التأكيدات يسعى البعض لإنكار نظرة الدين الإيجابية إلى الجهود الفردية و الجماعية المبذولة لاكتساب أمور الحياة المادية. و يتمسكون لذلك بالتأكيدات القرآنية و الروائية على منع المؤمنين من «طلب الدنيا» و أمرهم بالابتعاد عن المظاهر الدنيوية و عدم التعلُّق بها.

و إن الرواية التالية على ما يبدو تبين جلياً بطلان التوهّم المذكور أعلاه في قالب التغاير بين طلب الدنيا - المذموم حقيقة - و السعي لتحصيل أمور الحياة المادية - المحمود حقيقة - قال محمد بن المنكدر: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي ... و هو متكئ على غلامين له أسودين أو موليين، فقلت في نفسي شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أشهد لأعظته فدنوت منه فسلمت عليه فسلم على بيهر و قد تصبَّب عرقاً فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا لو جاءك الموت و أنت على هذه الحال ... قال: «لو جاءني و الله الموت و أنا في هذه الحال جاءني و أنا في طاعة من طاعات الله تعالى»^١.

فكم هناك فرق بين هذا الزعم و هو أن توفير مستلزمات الحياة المادية ضرب من التخلف عن الأوامر الإلهية و التخطي عن طلب الآخرة و الإيمان الحقيقي بالمعاد و بين هذه المعرفة الحكيمة و هي أن مثل هذا السعي يعدّ طاعة من طاعات الله و قد وردت تأكيدات كثيرة على ترغيب آحاد المجتمع عليه، و لاسيما الأمور التي يؤدي تركها إلى عواقب جسيمة في دنيا الفرد و آخرته.

عظمة الخلقـة و الدنيا المذمومة في ثقافة الوحي

إن الذي يُبعد الإنسان عن ذكر الله و يظهر بمظهر الذنب و تتصاعد منه رائحة المصيبة المتعفنة هو الدنيا، و من هنا فإن الدنيا المذمومة في ثقافة الوحي غير السماء و الأرض و البحار و القفار التي هي مخلوقات و آيات إلهية و قد تحدّث عنها القرآن بعظمة قائلاً: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^١، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^٢، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^٣.

فقد تحدّث القرآن الكريم كراراً عن جمال السماء و الأرض، و إن البحار و القفار و سلسلة الجبال و الأشجار و سمك البحر و كواكب السماء و ... في ثقافة الوحي آيات إلهية و ليست من الدنيا. ثم إن الحياة الدنيا في قبال الحياة

١. سورة الجاثية، الآية ٣-٤.

٢. سورة الذاريات، الآية ٢١.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

الآخرة و إن تُطلق على هذه الأمور و لكن لم يرد الذمّ في أي واحد منها. فالدنيا هي التعلّقات و الاعتبارات و الأنانيات التي تسوق الإنسان إلى اقتراف الذنوب. و الدنيا هي عبارة عن اللهو و اللعب و الزينة و التفاخر و التكاثر في الأموال و الأولاد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^١. فالدنيا تتلخّص في هذه المراحل الخمس و تخدع كلّ إنسان و بأيّ مستوى من العمر عبر وسيلة خاصة و هذا الخداع سمّ للروح و الروح المسمومة في عذاب إلى الأبد و قد أرسل الله سبحانه و تعالى لكونه «أرحم الراحمين» أطهر الناس و أصلحهم بوصفهم أطباء للروح.

إذن فإن الله سبحانه قد اعتبر الحياة الدنيا لعب و هو و زينة و تفاخر بين الناس و تكاثر في الأموال و الأولاد. فـ«اللعب» و «اللهو» و «الزينة» و «التفاخر» و «التكاثر» هي الأدوار الخمسة التي تمرّ على عمر الإنسان. و لا ينبغي لتأمين البيئة الاقتصار على هذه الحقول الخمسة و الغفلة عمّا وراء الطبيعة.

و فيما يلي شرح للأدوار المذكورة:

الأول: مرحلة «الطفولة» التي يقضى الفرد فيها حياته باللعب.

الثاني: مرحلة «النشوء» التي يتم فيها استبدال اللعب باللهو فيبحث

الإنسان عن ما يُلهمه و يغفل عن المسائل الجادّة.

الثالث: مرحلة «الشباب» وهي فصل الهياج والحبّ والميل إلى الزينة و المسائل الكمالية. فالإنسان في مرحلة الشباب يهتمّ كثيراً بالزينة والترتيب الظاهري وارتداء الثياب الفاخرة والمظاهر الباهرة.

الرابع: مرحلة «الكهولة». فالإنسان بعد مضيّ مرحلة الشباب و العبور من سنّ الأربعين لا يهتم كثيراً باللباس الجيّد الفاخر بل يلتهي بالتفاخر و ينشغل بالمناصب و المقامات و الألقاب.

الخامس: مرحلة «الشيخوخة». و في هذه الفترة غالباً ما لا يكون للشخص منصب في المجتمع و لا يوصف بالألقاب، و لذا يتّجه صوب التكاثر و يخادع نفسه بكثرة الأولاد و الأحفاد و جمع الأموال.

جدير بالذكر أن شخصية بعض الناس قد تتوقف في المرحلة الأولى و الثانية و يبقى في شيخوخته أيضاً مشتغلاً باللهو و اللعب. و البعض الآخر يبقى في مرحلة الزينة و التجمّل و يضلّ مأنوساً إلى آخر عمره بالكماليات و اللهو و اللعب و تبقى روحهم و طلباتهم طفولية.

و إن الدنيا التي طلقها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ثلاثاً هي هذه الخيالات و الأوهام و التفاخر و التكاثر التي باطنها بمثابة الميتة المنتنة التي يتكالب عليها الظالمون كالكلاب كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يتنافسون في دنيا دنية و يتكالبون على جيفة مريحة»^١.

فمن يشهد باطن الدنيا لا يتعلق بهذه الميتة بل و يُطَلِّقها ثلاثاً لا رجعة فيها. و لأن يفتح الإنسان عين قلبه و يشهد ميتة الدنيا عليه السعي لأن لا يصبح ميتة بنفسه، فالإنسان المغترّ بالدنيا الذي يُشبع بطنه بالأكل و يكثر نومه لا يتيسر له الوقوف على أسرار العالم و باطنه لأن مصير البدن إلى الميتة: «فصار جيفة بين أهله»^١ و كل أفراد العائلة يضعون أيديهم على أنفهم من ريح الشخص الميت المتعفن و يفرّون منه و يسعون لدفنه في أسرع فرصة.

فمن المؤسف أن يتبدل الإنسان إلى ميتة قبل أن يفهم بأن الطبيعة ميتة في حقيقتها، كما يقول الإمام علي عليه السلام: «إنه يموت من مات منا و ليس بميت و يبلى من بلى منا و ليس ببالي»^٢. فإن الإنسان يستطيع عبر الابتعاد عن الدنيا أن ينجو من التبدل إلى ميتة و أن يبقى بعد الموت أيضاً حياً نورانياً.

و قد عرف الله الدنيا المذمومة قائلاً: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مَصْفُراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾^٣.

و بما أن المثل غير الممثل، يتضح أن الأمور الطبيعية لا تماثل فصول الدنيا الأربعة، فإنها آيات الله المنتظمة و الحسنة، أي أن الخريف في موضعه يتصف بالحسن و الجمال كالربيع في موضعه، إذ لو لم يكن الخريف و الشتاء لما كان الربيع، بيد أن الأنانيات التي تبعث على النشوة أياماً قليلة ثم تؤول إلى الأفول و الخمول هي الدنيا التي لها جاذبية كاذبة.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

٣. سورة الحديد، الآية ٢٠.

إصلاح و إعمار الدنيا و الآخرة

يزعم البعض أن فلسفة التكليف الإلهي للعباد ليست إلا إعمار الآخرة. فمن كان من أهل الصلاة و الصوم و الحج و الزكاة عليه أن يفكر بإصلاح آخرته و لا ينبغي أن يشغله أي شاغل في الأمور الدنيوية لأنه يتخلف عن العمل للآخرة، فقاموا بتعزيز هذا التصور الآفل و الزعم الفائل و تبليغه من أن أهل الدين لا بد و أن يتركوا الدنيا إلى غيرهم و يحافظوا على الآخرة بشكل جيد، و كأن رحي التكليف تدور حول الآخرة لا غير و الدنيا خارجة عن نطاقه. ثم وسَّعوا دائرة زعمهم و قالوا: الهدف من الدين و بعثة الأنبياء هو الدعوة إلى الآخرة و عبادة الله فقط لا إصلاح الدنيا و إعمارها، و فوائد التكليف تظهر و تتجلى في الآخرة لا في الدنيا. و على الديانين أن يبرمجوا لآخرتهم و أن يتركوا الدنيا بيد العقلاء في المجتمع.

إن هذا التحليل ناهض من فكرة فصل الدنيا عن الآخرة و يحتاج في موضعه إلى جواب مستدلّ. و إن من أهداف الدين المهمة هي الإجابة على إشكال فصل الدنيا عن الآخرة و زعم اختصاص دور الدين بإصلاح الآخرة، و قد توصل هؤلاء إلى هذه النتيجة الباطلة عبر توهم الفصل بين العقل و الدين و هو ناتج من مقدمات وضعوها خاطئة و باطلة. فإن العقل غير مفصول عن مصادر معرفة الدين، بل هو جزء رسمي من تلك المصادر و منشأً للتعاليم الإلهية و التكاليف الدينية. و إن العقل و النقل المعتبر يشكّلان أساس معرفة الدين و المتعبّدون بالتكاليف الإلهية هم من العقلاء بل من أعقل أفراد المجتمع.

و لا يصحّ أن يقال بأن إصلاح الدنيا على عاتق المتقّين و أهل الدين لا بد و أن يفكروا بإعمار آخرتهم و يشهدون آثار تدبّئهم هناك، أو أن يقال بأن التكليف للمكلفين يبعث على الجمود و الركود و السكون و الحال أن إصلاح الدنيا بحاجة إلى حركة و نهضة و ثورة.

و إن مثل هذا الحكم على أهل الدين من قبل طائفة خاصة بإمكانه أن يكون وليد التجاهل عن عمد أو الغفلة أو النظرة السطحية للدين و ما إلى ذلك و عبر مزيد من التدقيق و التعمّق في النصوص الدينية يمكن الاستنتاج بأن الهدف من التكليف هو إصلاح و إعمار الدنيا و الآخرة. فإن السير في مسير الدين و إجراء أحكامه بالإمكان أن يؤمّن المنافع الدنيوية و أن يضمن المنافع الأخروية أيضاً، و لكن لا بد من الالتفات إلى هذه المسألة و هي أن منافع الدنيا لا تتحدّد بالذات الصورية و التصنعية، و إن كان هناك اختلاف و صراع في هذا الشأن فهو لا يرتبط بأصل المسألة بل لعله يعود إلى مفهوم المنافع.

التأكيد على الدافع الإلهي عند العمل في الطبيعة

يتعامل الإسلام مع حسنّ المنفعة لدى الناس تعامللاً إيجابياً و لكنه يرفض الإفراط و التطرّف فيه. و ينبغي لتبيين رأى الإسلام الدقيق في حسنّ المنفعة الإشارة إلى معلم آخر في هذا المجال. فإن مدرسة الإسلام الإلهية لا تُجَبّد التوقّف عند مثل هذا الحسنّ و لاسيما للذي يطلب كمالاته الإنسانية و الروحية، و ترى ضرورة ارتقاء الهدف لدى الأشخاص من الأمور المادية و المنافع

الشخصية إلى الدوافع الإلهية السامية، لأن الإنسان في تعاليم الإسلام الإلهية لا يتقرب إلى الله من خلال الدعاء والصلاة والصيام وأداء مناسك الحجّ فحسب، بل قد تكون شؤون حياته العرفية والطبيعية - كالمعاملات وتأمين المعاش و ... - سلباً للتقرب إلى الله و سبباً لتكامله الروحي والمعنوي.

و هناك ثمة روايات في هذا المجال تنبأ عن وجود العلاقة بين الأمور المعيشية والمعنوية كالتي تقول بأن الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله^١ أو أنه طلب الآخرة^٢.

تؤكد هذه الإشارات والتنبيهات على إمكانية تقرب الإنسان إلى الله في ضوء التمتع بالأمور الظاهرية والدينية فيتعلم الناس القيام بسدّ احتياجاتهم المادية وتدير أعمالهم الاقتصادية والمعيشية و عدم التغافل أيضاً عن تعزيز الجانب الإنساني و القرب إلى الله، و قد قال الله واصفاً هؤلاء: ﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾^٣، إذ لا يوجد من الأساس تناف و تناقض بين مقولة التجارة و النشاط الاقتصادي و بين ذكر الله و بالإمكان أن تسير بأجمعها صوب اتجاه واحد و نحو هدف واحد.

و ترد هنا مسألتان مزعومتان لا بد من إمطة اللثام عنهما:

١- يتصور البعض أنّ دين الله الذي يُرغّب الناس على مراتب أسمى من الدوافع و النيات و يطلب منهم ألا يعطفوا تمام همتهم إلى الأمور المادية و

١. راجع: وسائل الشريعة، ج ١٧، ص ٦٧.

٢. راجع: وسائل الشريعة، ج ١٧، ص ٣٤.

٣. سورة النور، الآية ٣٧.

اكتساب المنافع الفردية فحسب و أن يُفكِّروا بالكمالات الإنسانية و يعتبروا الدنيا معبراً للتقرب إلى الله، يسبّب بذلك إغراض الناس عن الاهتمام بالمسائل الاقتصادية، و الحال أن التأمل في ما ذكرنا سابقاً قد يؤدي حتى إلى الخروج بما يخالف هذه النتيجة لأن التعاليم الإلهية لا تدعوا الإنسان إلى إزالة و تضعيف دافعه في إنجاز الأعمال الاقتصادية بل تحرّضه على استبداله بمراتب أسمى و أقوى من دوافعه الخيالية و الطبيعية.

و لا شك أن الدوافع المادية و الدنيوية لا تصل قطّ إلى قوّة الدوافع الاعتقادية و القلبية و ميزتها و إن الأشخاص الذين يحملون دوافع اعتقادية يصلون إلى أهداف أشدّ و أقوى بمراتب من الأمور الدنيوية، و لذا إن كانت النشاطات الاقتصادية تُساندها مسائل اعتقادية و معنوية فلا شك أنها ستتنصف بمزيد من القابلية و الجودة، و بما أن الإنسان المعتقد لا يحرص نتيجة أعماله بسدّ احتياجاته المادية و يرى مزيداً من القيمة لثمرات نشاطاته، يبذل سعيه و جهده بهمة و جدّية مضاعفة.

٢- يزعم البعض أن الإسلام الذي أوصى الناس بأن لا يحدّوا نيتهم بالأمور الدنيوية و حسّ المنفعة و ينظرون إلى مراتب أعلى، لا تتمتع الدنيا في رؤيته بقيمة بالغة و أساساً بما أن الدين ينظر إلى الدنيا نظرة تبعية و عرضية يكون إعمار الأمور الدنيوية و تنظيمها خارج عن نطاق اهتمام الإسلام و الإدلاء برأيه، ثم يستنتجون بأن الإسلام بما أنه لا يعتني بإعمار الدنيا و اهتمامه مختص بإصلاح الأمور الأخروية فمن أراد أن يستفيد من دنيا عامرة و

منتظمة لا يلزمه الرجوع إلى الدين بل يكفيه الرجوع إلى العلوم الدنيوية و
التجريبية و يستعين بها لبناء حياة أمثل في الدنيا و من أراد أن يستفيد من
آخرة عامرة لا بد له من الرجوع إلى الدين و العلوم الدينية.

و الظاهر أن بيان كون الدنيا و الأمور الدنيوية عرضية و تبعية من منظور
الدين يزيل هذا الزعم المشار إليه، و لكن للابتعاد عن البحث اللفظي من
الأفضل أن نكتفي بهذا المقدار و هو أنه إن كان مراد المستشكل من تبعية الدنيا
هو أن الدين لا يعدّ الأهداف المادية الصرفة موقفاً مناسباً للإنسان الطالب
للكمال و لا يعتبر الدنيا الوسيلة الوحيدة لنيل الكمالات الإنسانية و يعدّ اعتبار
الدنيا هدفاً يتنافى مع فطرة الإنسان الطالبة للحق فقد أشار إلى مسألة صحيحة.
و لكن لا يُعلم كيف قد تمّ الربط بين هذا الكلام و بين عدم اهتمام الدين
بإعمار الدنيا. و كأنّ الغايات و الأهداف هي الجديرة بالاهتمام لوحدها و باقي
الأمور، حتى الوسائط منها التي تمهدّ السبيل للوصول إلى الأهداف لا تجدر
بالعناية و الاهتمام، و لكن بأدنى تأمل يظهر بطلان هذا الزعم و أنه لا أساس له
و يتضح أن عدم كون الشيء هدفاً ذاتياً لا يستلزم سقوطه عن الاعتبار و
إغفاله و إهماله.

فإنّ للدنيا و النعم الدنيوية دور مهم جداً في الالتزام بالدين و نيل
الكمالات الإنسانية و المراتب الحقيقية للإنسان - التي تتجلى و تظهر في
الآخرة - بحيث أنه قد تمّ التعبير في الروايات عن النعم و الإمكانيات المادية

بأنها خير معين لطلب الآخرة فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في هذا الشأن: «نعم العون على الآخرة الدنيا»^١.

و من جانب آخر فقد أشير في الروايات إلى أن المشاكل المعيشية و الضيق و الفقر من الموانع الجدّية للعمل بالدين. كما في دعاء مشهور لرسول الله صلى الله عليه وآله حيث أشار فيه إلى الخبز - الذي هو رمز للنعم الدنيوية - معتبراً فقدانه يسبب تزلزل أركان التدين في المجتمع حيث يقول: «اللهم بارك لنا في الخبز و لا تُفرّق بيننا و بينه فلو لا الخبز ما صلّينا و لا صُمنّا و لا أدينا فرائض ربّنا»^٢.

فمن خلال النظر إلى التأكيدات الكثيرة في متون الإسلام النقلية التي تعتبر الإمكانات الدنيوية أمراً ضرورياً و لازماً لنيل الأهداف السامية و فقدانها من أشدّ موانع الوصول إلى الكمال، لا يبقى مجال لادّعاء عدم اهتمام الدين بالدنيا و إعمارها و إن للدين عناية خاصة بالنعم و الإمكانات الدنيوية كما أبان ذلك عملياً أيضاً و قد أكّد بشكل جادّ على تحصيل الإمكانات المادية و الدنيوية رغم امتناعه عن وضعها في عداد الغايات و الأهداف الذاتية للإنسان و ذلك لما تتمتع به من موقع خاص.

و من جانب آخر حيث اتضح الآن اهتمام الدين الخاص بالدنيا و إعمار الأمور الدنيوية و وصيته للإنسان بالجدّ و الاجتهاد في هذا الطريق لتحصيل الإمكانات الدنيوية، يُثار هذا السؤال و هو أن الإنسان هل يمكن اعتباره حرراً

١. وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٢٩.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٣١.

ففي كيفية تحصيل الإمكانيات بالكامل؟ وهل يتأتى له سلوك أي طريقة لهيئة الإمكانيات الدنيوية أو الانتفاع بها؟!

بأدنى مراجعة للعقل والنقل يتضح أن للدين طريقة خاصة في تحصيل الإمكانيات الدنيوية واستخدامها والناس لم يُتركوا سدى وأحراراً فسي هذا المجال بتاتاً وإن إطار الدين في كيفية التعامل مع الدنيا بالإضافة إلى أنه يهيء أرضية التقارب بين اكتساب القيم الإنسانية والإمكانيات الدنيوية، يُعبد الطريق لنيل إعمار الدنيا وتنظيمها على النحو الأمثل والمباحث التي ترد في الحقل التالي شاهد على هذا المدعى إلى حدّ ما.

ولذا فإن الإنسان المتدين لا يتغافل بتاتاً عن طريقة الدين ورؤيته الخاصة في التعامل مع الدنيا والإمكانيات المادية بل ويعتبر أن الوصول إلى دنيا أكثر عمارة وانتظاماً مرهون باستخدام هذه الطريقة. فهو مكلف بأمر من الدين أن ينتفع من أحدث العلوم والتقنية العصرية وأن يستخدمها في حياته، ولكنه لا يحدّد الوصول إلى الدنيا العامرة ويحصره باستخدام هذه الأمور بل يعتبر الوصول إلى الدنيا العامرة لا يتحقق إلا في ضوء التناغم والتلاحم بين النقل والعقل وبتبعه استخدام العلوم العصرية.

ومن هنا لا يمكن التدرّج بعدم اعتبار الدين هدفة الوصول إلى الدنيا والإمكانيات المادية للخدش في اهتمام الدين بإعمار الدنيا وإنّ الأسلوب الخاص لرؤية الدين إلى الانتفاع بالدنيا ينفي الاتجاه المحض والمحصري إلى

العلوم الدنيوية و إن التلاؤم و التواؤم بين العقل و العلم و بين النقل يؤول إلى تشكيل دنيا عامرة منتظمة.

الفقه و إصلاح المعيشة

روى عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال:

«من فقه الرجل أن يصلح معيشته و ليس من حبّ الدنيا طلب ما يصلحك»^١.

يقتضي فقه الشعب أن يكون له حياة صالحة و ليس المراد بإصلاح المعيشة هو خصوص الإصلاح الأخلاقي بل المراد كلّ ما له دخل في الحياة الأمثل و العيش الأسلم و الأفضل، علماً بأن الإسراف و الترف و أمثالهما لا تسبّب فقدان صلاح العيش فحسب بل تؤدي إلى فسادة و تدنّسه. و إن الدنيا التي هي رأس كل خطيئة لا تتجلى في البحث عن المال الحلال و اكتساب مستلزمات الحياة من وسائل الصحة و العلاج و التعليم و التربية و تجهيز القوى العسكرية و رجال الشرطة و نظائرها لأن هذه الأمور بأسرها من الوظائف المحمودة و المدوحة لدى العقل و النقل.

فإن الفهم الدقيق للدين الذي هو المقصود من الفقه يفصل بين حدّ حبّ الدنيا الباطل و بين إصلاح المعيشة الحق لئلا يذهب الإنسان البعيد عن الفقه الإسلامي العريق المتجذّر جهلاً إلى أن طلب المعاش بمعناه الشامل و الكامل هو حبّ الدنيا.

١. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٩٤٢.

الانسجام بين إصلاح الدنيا و العمل بوظائف الآخرة

ورد في حديثين عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أصلحوا دنياكم و اعملوا لآخرتكم كأئكم تموتون غداً»^١، «اعمل عمل

امرئ يظن أنه لن يموت أبداً و احذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً»^٢، و

الرسالة الإجمالية لهذين الحديثين الشريفين هي:

أ: إصلاح الدنيا لا يتنافى و العمل بوظائف الآخرة.

ب: إصلاح الدنيا لابدّ و أن يمرّ من خلال النظر إلى العمر الطويل، فلا يحق

لأحد في تدوين البرامج الدنيوية أن يكون قصير النظر و ضيق الأفق و إلا

فلا بد أن يجلس بانتظار العناء الشامل و مصيبة الفقر و الفاقة الدائمة و الحرمان

و الاضطهاد المستمر.

ج: للتخلص من العناء الشامل لا مفرّ من الشمولية في الفكر و التنمية

الشاملة، فمن له حياة طويلة المدى لابدّ له من بعد النظر و البرمجة الواسعة النطاق.

د: لا ينبغي الخلط بين الطلب المحمود و طول الأمل المذموم، فمن الضروري

في جميع المباحث الدينية التدبّر في هذا الكلام العميق للرسول الأكرم ﷺ —

الذي هو أصل كلي مشرق — حيث يقول: «الصراط أدقّ من الشعرة و أحدّ من

السيف»^٣، و معنى ذلك أن للصراط الإلهي المستقيم الذي تُطلب الهداية إليه من

١. نهج الفصاحة، ج ١، ص ٥٥.

٢. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٦٨١.

٣. بحار الأنوار، ج ٨، ص ٦٥.

الله في جميع الفرائض بُعد نظري و معرفي و بُعد عملي و عيني، فالصراط المستقيم من حيث العلم و المعرفة صعب جداً و إدراكه أصعب من رؤية الشعرة الدقيقة للغاية التي لا تُرى بالعين بسهولة، و بالتأكيد ما كان أدقّ من الشعرة الضعيفة تكون رؤيته أيضاً أصعب من الشعرة الدقيقة.

و الصراط المستقيم من الجانب العملي و العيني أيضاً صعب للغاية و اجتيازه أصعب من اجتياز حافة السيف الحادة.

و الحاصل أن الفرق بين طول الأمل المذموم و البرمجة الموسّعة الاقتصادية و الثقافية و السياسية و العسكرية لشعب هو نفس الفرق بين الحق و الباطل المتمثّل بالصراط المستقيم المعرفي.

و إن المسألة الأساسية في معرفة الدين هي أن الحقوق و التكاليف قد اختلطت في المتون الدينية، فإن كانت الأرض الصالحة للزراعة و الهواء السالم و الماء الكثير و الصحي و عشرات المزايا الطبيعية الأخرى حق الإنسان فهي بأسرها علاوة على الطابع الحقوقي لها جانب تكلفي أيضاً و يجب على الإنسان أن يتمتع بهذه المواهب، لأن الله خلق كلّ هذه الإمكانيات و سخّرّها للبشر و أعلن وجودها و تسخيرها للمجتمع البشري لئلا يقول أحد بأن البحار و القفار و الفضاء و المنظومة الشمسية و المجرة و بالتالي مجموعة نظام الكون بعيدة عن منال البشر. ثم كلفّ الناس بالاستفادة منها و استيفاء منافعها و أمرهم بتقديم المنافع العامة على المصالح الشخصية و ذكر الفاسدين و المفسدين بسوء و

حكمهم بعذاب مرير. فإن آيات تسخير السماء والأرض والبحر كثيرة في القرآن الكريم وأصل التسخير للعارفين بالقرآن الحكيم أمر قطعي لا شك فيه. وقد تقدم أن آية ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾^١، تتحدث عن ركن الاستعمار الركين والمبارك والمظلوم، فإن الاستعمار في الثقافة القرآنية بمعنى الطلب الجادّ والمؤكّد لعمران الأرض وإعمار المعادن والجبال والبحار والقفار والغابات والصفاف و.... حيث خلق الله هذه الأمور «بكرًا» وأعطى للبشر فكرة إعمارها واستغلالها وأمرهم باستيفاء منافعها عن عدل وقال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾^٢، أي يجب على البشر إعمار ما بين أعماق الأرض وذروة السماء وكدّ يمينه مختص به لا بغيره ولا فرق في هذا الانتفاع بين المرأة والرجل.

وإن الذي يُستفاد من آية ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾^٣، هو هذه العناصر المحورية من الاستقلال الاقتصادي للمجتمع البشري، فإن استغلال منابع الأرض ومنافعها ومصالحها وكل مواهبها المناسبة حقّ للبشر وتكليف إلهي أيضاً حيث يجب على الناس اكتساب الاستقلالية في الاقتصاد وإن قصّروا في ذلك فهم مسؤولون ويرون جزاءهم يوم القيامة. و

١. سورة هود، الآية ٦١.

٢. سورة النساء، الآية ٣٢.

٣. سورة الأعراف، الآية ١٠.

هذا هو الوجهان لعملة الاستقلال الاقتصادي فالوجه الأول حق البشر و الوجه الآخر التكليف الإلهي.

و إن مثل هذا الدين الذي يعتبر بطانة حُلّة المجتمع البشري و وجهها حق و تكليف و يعدّ الدنيا و الآخرة ظاهراً و باطناً للكسوة الإنسانية و يوصل حرمة البشر إلى أوج عروج الخلافة الإلهية بحيث أن الله يجعله خليفة له في عمران الأرض، لا يُهمل حقوق البشر و لا يغيض الطرف عن منافعهم على الإطلاق.

العمل سبب لاكتساب العزة

إنّ العزة و الرفعة لأي أحد من ثمرات إيمانه بالله، فالمؤمن عزيز و عليه الحفاظ دوماً على عزته و تعاليها و العمل هو أحد الطرق لاكتساب العزة و الوصول إلى الاستقلال المادي. و من هنا عبّر أئمتنا العظام عن العمل بـ«العزة».

قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: «أغدُ إلى عزك»^١.

و روي عن «عبد الأعلى» أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: استقبلت أبا عبد الله عليه السلام في يوم صائف شديد الحرّ فقلت: جعلت فداك حالك عند الله عزّ و جلّ و قرابتك من رسول الله عليه السلام و أنت تُجهد لنفسك في مثل هذا اليوم، فقال: «يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك»^٢.

١. وسائل الشيعه، ج ١٧، ص ١٠.

٢. الكافي، ج ٥، ص ٧٤.

و من جانب آخر فقد وقف الإسلام بشدة أمام الذلّة و الدناءة التي هي من الآثار السيئة للكسل و البطالة و اقتلع جذورها كما ورد في أخبار المعصومين عليهم السلام: «إياك و الكسل»^١، «آفة النّجح الكسل»^٢، «إياك و الكسل و الضجر فإنهما مفتاح كلّ شرّ»^٣.

و قال الإمام علي عليه السلام: «من وجد ماء و تراباً ثم افتقر فأبعده الله»^٤، فإن هذا الكلام يدعو الجميع إلى الإنتاج و الابتعاد عن البطالة. و روي أيضاً أن رجلاً أتى أبا عبد الله عليه السلام فقال: إني لا أحسن أن أعمل عملاً بيدي و لا أحسن أن أتجر و أنا محارف محتاج، فقال: «أعمل فاحمل على رأسك و استغن عن الناس»^٥.

فقام الإمام الصادق عليه السلام بترغيبه على العمل و أعطاه روح الثقة بالذات ليقوم بإمرار معاشه و لا يعتمد على الآخرين لأن الاحتياج إلى الناس لا ينسجم مع عزة الإنسان و كرامته.

فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعزّة، مذهبة للحياء»^٦.

١. الكافي، ج ٥، ص ٨٥.

٢. شرح غرر الحكم، ج ٣، ص ١١٢.

٣. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٧٥.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٦٥.

٥. الكافي، ج ٥، ص ٧٦.

٦. الكافي، ج ٢، ص ١٤٨.

أصول وقواعد العمل

إنّ الذوق الفني و التأمين الصحيح للنشاط و المتطلبات العاطفية لدى كلّ مجتمع منوط بعرض أعمال الفنانين الفنية.

و إنّ الاستقلال و التنمية الاقتصادية لكلّ مجتمع مرهون بالرؤية التي يحملها ذلك المجتمع إزاء ظاهرة العمل. و قد عنى الإسلام لتنظيم المجتمع و تكامله و التنمية الاقتصادية فيه بأصول و قواعد للعمل حيث يتم تأمين احتياجات الشعب المسدية و الروحية في ضوء مراعاتها. و فيما يلي نتعرض إلى جملة منها:

١- التخصص و الالتزام

لا شك أنّ لأصلي التخصص و الالتزام تأثير في تطوّر العمل كمياً و كيفياً، لأنّ الإنسان الملتزم و المتخصّص يتصف بالانضباط و الوجدان المسلكي في حوزة مسؤولية عمله و إنّ الله يحبّ مثل هذا الإنسان: «إنّ الله يحبّ المحترف الأمين»^١، و بريء ممن يقترح التصدي لشغل ما و يعلن استعدادده لذلك و هو لا يمتلك جناحي التخصص و الالتزام كما قال النبي ﷺ: «فمن دعا الناس إلى نفسه و فيهم من هو أعلم منه لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^٢، أي أنه يحرم في المعاد من نظرة عناية الله و رؤية تشريفه.

١. الكافي، ج ٥، ص ١١٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٢، ص ١١٠.

وإن المجتمع الذي لا يوكل العمل إلى الخبير يسير دوماً باتجاه التنازل و التسافل فقد روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «ما ولّت أمة أمرها رجلاً قطّ وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا»^١.

وإن الالتزام في العمل يؤدي إلى أن ينظر الشخص في اختيار شغله إلى حاجة المجتمع و الربح الاقتصادي العام و يبتعد عن الأشغال الكاذبة التي تتبعها تكاثر و أرباح طائلة للشخص و تخلف أضراراً على اقتصاد المجتمع.

٢- الإتيان و جمال الأثر

إن الإسلام يهتمّ في جميع شؤون الحياة بعنصرين محوريين و يعتبر الجميع و لاسيما رجال الدولة مسؤولون عن تأمين هذين الركنين الأساسيين: أحدهما الإتيان في العمل و الآخر الفنّ و الجمال فيه، فالعمل الذي لا يطابق الأصول العلمية غير مقبول لكونه خال من الإتيان و الإحكام و العمل الذي لا يتصف بالفنّ و الجمال فهو رغم إتيانه و إحكامه غير مطبوع و مطلوب.

و قد قال رسول الله ﷺ بشأن المحور الأول: «إن الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»^٢، و قال حول المحور الثاني: «يحبّ الله العامل إذا عمل أن يُحسن»^٣.

١. بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٤٣.

٢. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٦٨٣.

٣. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٦٩١.

و إن الله أيضاً قد خلق العالم على أساس أصلي الإتقان و الجمال و يُحبّ أن يكون خليفته إنساناً ورعاً تتصف هندسة أعماله بالعلم و جماها بالفنّ. فإن مراعاة هذين الأصلين المذكورين يحفظ جميع الأصول و المعايير البيئية، لأن الإتقان و الجمال سببان لتنقية فضاء الحياة و الفضاء النقي ثابت و مستقر كما أن المحيط الملوّث زائل و بائد.

و إن آثار العمل الذي يقام من دون النظر إلى قواعده آثار فاشلة جهيضة. و إن كان الهدف من العمل تلبية الحاجة العامة و تعزيز الأسس الاقتصادية للمجتمع لا التكاثر، يكون الإنسان ملزماً بمقتضى وجدانه لإتقان العمل المتصدي له و إنجازه في غاية الدقة و الإحكام.

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال بعد الفراغ من بناء عمله في غاية الدقة و الإتقان: «إني لأعلم أنه سيبلى و يصل البلى إليه و لكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه»^١.

و قد ورد الذمّ في الإسلام بشدة حول التقاعس و الخيانة و التزوير و الخداع و إخفاء الحقيقة في العمل و نهى القرآن الكريم عن هذه المسألة بصورة شاملة عامة قائلاً: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^٢. فإن رسالة هذه الآية جامعة بحيث تشمل جميع الأشياء و الأمور الخاضعة لقانون العمل سواء كانت من سنخ نقول و انتقالات العمل المادي أو من صنف العمل المعنوي.

١. بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٢٠.

٢. سورة الشعراء، الآية ١٣٨.

٣- الثبات في العمل

إن الله يدعو النبي والمسلمين في القرآن إلى الاستقامة والثبات حيث يقول: ﴿فَاسْتَقِمُّ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾^١. فإن الاستقامة في العمل تؤدي إلى أن يغضَّ العامل الطرف عن المتاعب المؤقتة والحرمات الموسمي ويبذل قصارى جهده للوصول إلى الهدف السامي.

ويستفاد من القرآن الكريم أن الاستقامة تؤول إلى ثبات القلب واستقراره^٢ وسعة في الرزق^٣.

ولا ينبغي أن نعتبر طريق العلاج مُغلقاً والمُخَلَّص منتفياً، لأن البحث المستمر والسعي الحثيث يوصل بالتالي إلى النتيجة فقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «من طلب شيئاً ناله أو بعضه»^٤.

٤- الإخلاص في العمل

إن من مستلزمات العمل تعزيز البنية الاقتصادية وقطع يد الأجانب عن البلد الإسلامي والوصول إلى الاستقلال، بيد أن التعاليم الإسلامية قد أوصت الإنسان إلى جانب ذلك بأن لا يتصدى للعمل إلا طاعة وامتثالاً لأمر الله. فإن الإخلاص يعزِّز الجانب العبادي في العمل ويهب له صبغة قدسية ويعدّ بمثابة زينة العمل وحُلَيْته.

١. سورة هود، الآية ١١٢.

٢. سورة فصلت، الآية ٣٠.

٣. سورة الجن، الآية ١٦.

٤. نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٦.

فقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: «أخلصوا إذا علمتم»^١.

٥- اختيار الشغل المناسب

إن لمهنة كل فرد أثر مباشر في أخلاقه و سلوكه، فمن لا يُدقق في اختيار العمل و الشغل المناسب لما يحمله من حرص اكتناز الأموال فقد أوقع الضرر بنفسه و حطّم شخصيته الإنسانية أكثر من الآخرين. إذ لا يمكن من خلال العمل الفاقد للشرعية الاتصاف بالروح النجيبة و العالية و حلّ مشكلة من المشاكل. و أما الشغل الجيّد الحسن فهو محلّ عُقد المجتمع و يؤثّر أيضاً في تعالي الإنسان روحياً و أخلاقياً، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله يحبّ معالي الأمور و يكره سفافها»^٢، و قد نقل سيد الشهداء عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله حديثاً بهذا المضمون.

ثم إن الإسلام يرى بعض الأشغال واجبة و بعضها محرمة و بعضها مستحبة و بعضها الآخر مكروهة و يعتبر أن من حقوق الولد على والده وضعه في موضع صالح و شغل مناسب^٣.

٦- الإبداع في العمل

إن جوهرة العمل بل العمل الجوهري هو التلاحم الكامل بين القَدَم و الصنعة و التناغم بين الطبيعة و الفنّ. فقد وضع الله سبحانه جميع الموادّ الأولية و

١. شرح غرر الحكم، ج ٢، ص ٢٣٩.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٧٣.

٣. وسائل الشيعة، ج ٢١، ص ٣٩٠.

الضرورة لأي ضرب من الإبداع في مائدة السنة الإلهية و أودع في سرائر البشر أرضية كلّ ما للصناعات البديعة و الإبداعات من أنواع و أصناف و ذلك لتكامل أساس العمل من بساطة الصدف إلى تعقيد الجواهر و الابتعاد عن التكرار و الاتجاه صوب الإبداع.

و إنّ الأصل الحاكم على العمل هو تزيين الموادّ الأولية القديمة بوجه الصنعة الناصع حيث هيأ الله الأول بيد الطبيعة في خارج الذهن و أشعل الثاني بيد الصنعة في دائرة فكر البشر لتصل جميع طلبات الإنسان من العلم إلى العين و من السمع إلى العيان، و يُطلق على مثل هذا العمل الجوهري بالكيمياء.

فقد عبّر الإمام الصادق عليه السلام عن صنعة الزراعة بالكيمياء الأكبر قائلاً: «الكيمياء الأكبر الزراعة»، لأن المواد الجامدة الطبيعية في ضوء مثل هذه الصنعة تتمتع بالحياة النباتية و فنّ هذه الصنعة الخاصة هو تهيئة أرضية الحركة من مرحلة الجماد و الموت إلى منطقة النبات و الحياة. فلا بد أن يكون أصل العمل بمثابة نفخ روح الفنّ في مادة الطبيعة الفاقدة للروح ظاهراً لتكون صنائع الإنسان تبلوراً لحياة الفن و تجلياً للحياة و الإحياء.

٧- العمل الهادف

إن العمل يتبلور على نحو الفن الحديث إذا نجا من بدعة التساهل و
التعاس و الكسل و الفشل و اتّصف بسنة الإبداع و الهدفية.
لأن استدامة حياة العامل مع تقبل المسؤولية مرهونة بالعمل البديع و
القانوني و الإنسان الذي يسعى للخروج من الضمور و الوصول إلى الظهور
عليه الالتزام بالنقاط التالية:

ألا يكون عمله لنفس العمل بل يكون هدف أسمى.

أن يكون هدفه معقولاً و مقبولاً لدى المجتمع الإلهي و الإنساني.

الأعمال المتنوعة كالأعضاء و الجوارح و الجوانح للجسم الحيّ النامي يُكَمَّل
بعضها الآخر.

تتبلور الجاذبة الدينية و المدنية لثقافة العمل في تفسير الأعمال المتنوعة مع
بعض لتكون الأعمال مُبَيَّنَة و مُكَمَّلَة لبعضها الآخر و تُلبّي جميع الطلبات
الصادقة للمجتمع البشري بأحسن وجه.

و من هذا المنطلق يُقال: إن العمل هدف أسمى لا لنفس العمل.

الهمة في الإنتاج و القناعة في الاستهلاك

واحدة من المسائل المؤثرة في سلامة البيئة الروحية لدى كل مجتمع هي
الهمة العالية للأفراد.

وإن عزة الشعب وكرامته مرهونة بالهمم العالية فيه، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الشرف بالهمم العالية»^١، وقال أيضاً: «الفعل الجميل ينبئ عن علو الهمة»^٢، وقال كذلك: «من شرفت همته عظمت قيمته»^٣.

وإن القناعة في الاستهلاك أيضاً كاهمة في الإنتاج توجب العزة والرفعة للفرد والمجتمع، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس»^٤، وروي عن علي عليه السلام أيضاً أنه قال: «بالقناعة يكون العز»^٥، فلا ينبغي أن تحل القناعة في الاستهلاك محلّ الهمة في الإنتاج غصباً وأن توضع الهمة في الإنتاج موضع القناعة في الاستهلاك جهلاً لأن ثمرة هذا الانقلاب الباطل هي الخمول والاستهلاكية و ينتج من اجتماع هذين العنصرين الزائفين الخسرة والانحطاط.

ثم إن الاهتمام بالإنتاج والعمل لازدياد الأرباح والسعي الحثيث لاستخراج حصيلة المعامل والمزارع والمراعي وسائر المنابع المالية من أجل تأمين حاجة المجتمع البشري من جانب، والزهد والقناعة من جانب آخر، والإيثار للآخرين من جانب ثالث، تهيؤ أرضية ازدهار الحيثية الملكوتية والسلامة الروحية للإنسان التي تشكّل الجزء الأعظم من رسالة أئمة الحق وقد

١. شرح غرر الحكم، ج ٢، ص ١٠٦.

٢. شرح غرر الحكم، ج ١، ص ٣٦٥.

٣. شرح غرر الحكم، ج ٤، ص ٥٠٠.

٤. من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٥٨.

٥. شرح غرر الحكم، ج ٣، ص ٣٢٤.

نزلت بعض الآيات من قبيل ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^١ و ﴿وَأَخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾^٢ و ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾^٣ و ... لذمّ الاهتمام بالنفس النباتية و الحيوانية و آيات أخرى من قبيل ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^٤ و ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^٥ و ... للحثّ على العمل لازدهار النفس الإنسانية.

وصية الإسلام بالنظافة و الطيب للبدن و المنزل و محلّ العمل

تشكّل الخطوط الرئيسية هندسة الدين الإلهي عناصر خطيرة و مهمة نظير «العدل و الحرية» في المسائل الحقوقية و الأخلاقية و «النظافة و الطيب» في الأمور الصحية. و كما أن غضب الله يسير بإمامة رحمته «تسعى رحمته أمام غضبه»^٦، فإن جميع البرامج الدينية في مختلف شؤون الحياة تُدوّن و تُعرض بزعامة «العدل و الحرية» من جانب و «الطهارة و الطيب» من جانب آخر.

١. سورة الفجر، الآية ٢٠.

٢. سورة النساء، الآية ١٢٨.

٣. سورة المزة، الآية ٢.

٤. سورة الحشر، الآية ٩.

٥. سورة طه، الآية ١٣١.

٦. الصحيفة السجادية، الدعاء ١٦.

فقد روي عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَنَظِفُوا أَفْنِيَتِكُمْ». و إن الذي يُسْتَنْبَط من هذا الحديث الشريف:

أولاً: إن للأصول البيئية من منظار الرسول الأكرم ﷺ صبغة ملكوتية و السبب من مراعاة الطهارة و الطيب في البدن و المنزل و محلّ العمل و فناء البيت و المكتب و مراكز الأبحاث و ... هو أن الإنسان خليفة الله و على الخليفة أن يجعل سنة و سيرة المستخلف عنه سريره و أن يكون محباً للنظافة و الطيب لكونهما محبوبين عند الله.

ثانياً: إن الطيب و مراعاة النظافة يُلطِّقان الروح، لأن روح الإنسان بجوار بدنه و إن التفاعل المتبادل بينهما معقول لدى الحكيم و مقبول عند الطيب و في ضوء طيب البدن و طهارته تقوى الروح الملكوتية و يتأق لها الطيران إلى حيث المحلّ الأسمى.

ثالثاً: يتبين من خلال الغور في علم الحديث بأن الأمر المذكور مقترن بثلاثة أصول و هي العموم و الدوام و الإطلاق، بمعنى أنه أمر عام و دائم و شامل فيتحتّم على جميع الناس من النساء و الرجال و الشيوخ و الشبان و في جميع مراحل الحياة و أيام العمر و من جميع الجهات بتطبيب و تنظيف البدن و المنزل و محلّ العمل و عدم تلويثها و المبادرة إلى تنظيفها إن تلوّثت تلقائياً. و إن

مراعاة أصول الحقوق و الوظائف هذه متقابلة بين جميع المواطنين و متبادلة بين الحكومة و الشعب أيضاً.

رباعاً: إن النسيم اللطيف الذي يمرّ على النواحي و الأحياء الطيبة و المعطرة يأخذ بالعطر إلى شامة المواطنين و يأتي إليهم برسالة الصدق و الصفاء و الوفاء، فإن مثل هذا الجوّ الطاهر العطر محبوب عند الله الجميل الذي يحبّ الجمال و الطيب و العطر. و يمكننا أن نترنّم حول هذه الأرض الحية و النشيطة بهذا الشعر:

هبّ ريح الصبا ببشرى حلول موسم الطرب و السرور و الابتهاج
و جاء فصل الربيع بانتشار العطور و اخضرار الأشجار و تغريد الطيور
فعلى المرء أن يستبدل الاضطراب بالسكينة لأن ابتعاد الشيطان يؤول إلى
نزول فيض الرحمن^١

اهتمام الإسلام بالمحيط النظيف و الجوّ الطاهر العطر

قال النبي الأكرم ﷺ: «إنّ الإسلام نظيف فتتظّفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف»^٢ و «تتظّفوا بكلّ ما استطعتم فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة و لن يدخل الجنة إلا كلّ نظيف»^٣.

١. ديوان حافظ، الفزل ١٧٥.

٢. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٩٩٨.

٣. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٩٩٨.

إن تركيبة الإسلام المنتظمة هي عقيدة التوحيد الطاهرة من لوث الشرك و الإلحاد و الكفر و الزندقة، و الأخلاق هو الحُسن البعيد عن روث الظلم و الحقد و الحسد و كلّ رذيلة أخرى، و الفقه و الأحكام هي السلوك المنزه عن فرث الانحراف و ضياع العمر و موت السوء.

و حريّ بمثل هذا الدين الإلهي أن يكون أهله طاهرون من كلّ نجاسة و رجاسة، فإن النبي الأعظم ﷺ اعتبر النظافة كالتقوى وظيفـة مستمرة شاملة للجميع و كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^١ فقد أوصى النبي ﷺ قائلاً: «تَنْظِفُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ»^٢، ليـمكننا بشأن هذه الأمة العارفة بالإسلام العاملة بالدين أن نترنم شعراً:

نور مجلس الصالحين و عطر محفلهم

و قل بأن يأخذوا من بركات مجلسهم هذا و يزفوه هدية إلى الجنان^٣

و بما أن الطيب محبوب عند الله و النبي الأكرم ﷺ حبيبه فمن هنا قال ﷺ:

«حَبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ... و الطيب و جعل قرّة عيني في الصلاة»^٤، و قال للترغيب على الطيب و الحثّ على التعطّر و تطيب الجو: «لو أذن الله تعالى في التجارة لأهل الجنة لا تجروا في البرّ و العطر»^٥ و الحال أن جميع احتياجات

١. سورة التّغابن، الآية ١٦.

٢. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٦٠٦.

٣. ديوان حافظ، الغزل ٣٩٧.

٤. بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ١٤١.

٥. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٦٠٧.

البدن والروح مؤمّنة في الجنة من دون عناء التجارة، وهذا إنّما ينبأ عن اهتمام الإسلام بخبز الناس الذي يحصل في ضوء الاقتصاد السالم واهتمامه أيضاً بالمحيط السالم والجوّ النظيف والمعطر الذي يتوافر في ظل الأصول البيئية. إذن فالأمة المتخلّقة بأخلاق أهل الجنّة تسعى للحصول على اقتصاد سالم بعيد عن الفاصلة الطبقيّة بين الغنيّ والفقير وكذا الوصول إلى محيط سالم و بحار و قفار و فضاء بعيدة عن السلاح المخربّ الفاقد للصلاح، و أما الدولة الغاشمة المتصّفة بصفات أهل النار فهي تجهد عبر الحظر الاقتصادي للبلدان المنادية بالعدالة والحريّة و من خلال تصدير الأسلحة الجرثومية المتدنّسة إلى الشركات المتهورّة أن تسوق منطقة واسعة إلى الهاوية للوصول إلى نجاح كاذب غافلين عن تاريخ الدنيا العريق الذي لا تمرّ أيامه مؤاتية للطواغيت و الجبابرة بل تأخذ بهم في المآل إلى حيث الزوال و الاضمحلال:

لا تستجلب المصلحة لنفسك فيكون مصيرك إلى الهلاك^١

الصدقة الجارية في الطبيعة الخضراء

قال النبي الأكرم ﷺ: «ثلاث يجلين البصر، النظر إلى الخضرة و إلى الماء الجاري و إلى الوجه الحسن»^٢، فلو كان جلاء البصر في النظر إلى الخضرة و الماء الجاري يظهر أن إيجاد و حفظ البساتين و رياض الأزهار و الحدائق و

١. حديقة الحقيقة، ص ٤٧٤.

٢. نهج الفصاحة، ج ١، ص ٢٩٢.

جعل الماء الصافي جارياً أمر مطلوب في الإسلام، فلا ينبغي التقصير في اكتسابها و القصور في حراستها و الفتور في صيانة الثروات الطبيعية و المراعي و رياض الزهور و النباتات.

و لو اقترنت الطبيعة الخضراء بزرع الفسيلة أو غرس الغصن المثمر لتضاعف الخير. فقد اعتبر الرسول الأعظم ﷺ غرس الشجرة المثمرة صدقة يُثاب عليها و قال في الحثّ على ذلك: «من غرس غرساً لم يأكل منه آدمي و لا خلق من خلق الله إلا كان له صدقة»^١. فإن امتداد فيض الله أدى إلى عدم اختصاص ثواب الصدقة عبر زرع أو غرس الشجرة المثمرة بانتفاع البشر بل ينطبق عنوان الصدقة على استفادة كل مخلوق سواء كان حيواناً أو إنساناً، كما روى أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: «من زرع زرعاً فأكل منه الطير كان له صدقة»^٢.

وصية الإسلام بإيجاد الرياض الخضراء

لا بد من الالتفات إلى هذه المسألة و هي أن قيمة الرياض و تأمينها عبر الزرع أو الغرس لا تختص بوجود الأمل لدى المزارع أو البستاني للارتفاع بها شخصياً، بل إن أمر الإسلام بإيجاد الرياض سارٍ حتى فيما إذا كان المزارع أو البستاني فاقداً لأمله في البقاء على قيد الحياة. و فيما يلي نستعرض مثالين من الروايات التي تحثّ على الزرع و الغرس حيث تتعلق الأولى بوجود الأمل و الثانية بفقدانه.

١. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٥٦٣.

٢. نهج الفصاحة، ج ١، ص ٤٣٥.

الرواية الأولى المتعلقة بوجود الأمل: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما الأمل رحمة من الله لأمتي، لولا الأمل ما أرضعت أمّ ولدًا و لا غرس غارس شجراً»، و ذلك لأنّ الأم لا علم لها ببقاء ولدها و نشوئه و الغارس أيضاً لا علم له بنموّ الشجرة و الانتفاع بها.

الرواية الثانية المرتبطة بفقدان الأمل: روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»^١.

غرس الأشجار في عداد أكثر الأعمال قداسة

إن اهتمام الإسلام بالرياض الخضراء و لاسيما بالعنقود أو الغصن المثمر مشهود بالكامل في المتون الدينية بين طيات تعاليم أئمة الحق، بحيث أن غرس الأشجار قد يقع في عداد أفضل أعمال الخير و أكثرها قداسة كما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «سبع يجري للعبد أجرهنّ و هو في قبره بعد موته: من علّم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»^٢.

فقد وقع غرس الأشجار في هذا الحديث الشريف إلى جانب تعليم العلم و بناء المسجد و توريث القرآن أو كتاب علمي مفيد و غيرها و إنّ هذه المقارنة

١. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٧١٣.

٢. نهج الفصاحة، ج ٢، ص ٧١٣.

٣. نهج الفصاحة، ج ١، ص ٤٩٧.

تكشف عن النسبة العالية لاهتمام الإسلام بغرس الأشجار. ولذا فقد وردت نصوص في الأمر بحفظ الشجرة و سقيها و في اجتناب قطعها أيضاً، حيث روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من سقى طلحة أو سدرة فكأنما سقى مؤمناً من ظمأ!». و روي أيضاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «وأن يُحترز عن قطع الأشجار الرطبة إلا عند الضرورة»^٢.

كما وردت عن الإمام الرضا و الإمام الصادق عليه السلام أحاديث نافعة في هذا الشأن تقول بكرهية قطع الأشجار في المناطق الصحراوية و البوادي القليلة الأشجار و بكونه لا مانع فيه إذا استبدل بشجر آخر^٣.

ضرورة الحصول و الحفاظ على الماء و الهواء الطيب و الأرض الصالحة للزراعة

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يطيب السكنى إلا بثلاث، الهواء الطيب و الماء الغزير و الأرض الخوارة»^٤.

فقد آمن الله جميع العناصر المحورية المطلوبة في حياة البشر و جعل استغلالها و استخدامها من حقوقهم و كلفهم بصيانتها عن الآفة و الانقراض و النقص و أمثالها.

١. وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٤٢.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٣١٩.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٩، ص ٣٩.

٤. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٣٤.

و من قصر في معرفة هذه الأصول الرئيسية و فرط في اكتسابها أو صيانتها من فرد أو مجتمع و من حكومة أو شعب فقد تقاعس عن أداء وظيفته الدينية، و معنى ذلك أنه لا بد في أصل الهواء من البحث الدقيق و التحقيق العميق في كيفية استغلال هذه الأمانة الإلهية و معرفة الأمور التي تبعث على تلوثه و مرضه و المسائل التي تؤثر في تطهيره و علاجه و كيفية تنقيته.

كما و لا بد من الإبداع الفني في أصل الماء العذب و كيفية الانتفاع بهذه الذخيرة الإلهية و معرفة المسائل التي تسبب تلوثه و مرضه و الأمور التي تؤثر في تطهيره و تنظيفه و كيفية تصفيته.

و لا بد أيضاً من الدراسة في أصل الأرض الصالحة للزراعة و كيفية الاستفادة من هذه المائدة الإلهية المنبسطة و معرفة الأمور التي تبعث على دمارها و مرضها و المسائل التي لها أثر بالغ في إحيائها و تسطيحها و تشجيرها و صيانتها من الهزات و الزلازل و تطبيق ذلك على أرض الواقع بفن و مهارة، كل ذلك امتثالاً لأمر الإسلام.

وصية الإسلام برعاية حقوق الحيوانات

لقد حثّ الدين الإسلامي المقدس و رغب على كل ما للرياض الخضراء من فوائد و منافع للناس و الحيوانات الرواكض و الزواحف و المواشي و الطيور و أمثالها لأن قادة الحق كانوا يحسنون إلى كل موجود حي لا يضرّ بالإنسان أو بأي شيء آخر و كانوا يوصون الآخرين بذلك فقد روي عن

النبي عيسى عليه السلام أنه لما مرّ على شاطئ البحر رمى بقرص من قوته في الماء، فقال له بعض الحواريين: يا روح الله و كلمته لم فعلت هذا وإنما هو من قوتك؟ فقال: «فعلت هذا لدابة تأكله من دوابّ الماء و ثوابه عند الله عظيم»^١.

و روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن الله تبارك و تعالى يحبّ إبراد الكبد الحراء و من سقى كبداً حراء من بهيمة و غيرها أظله الله في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله»^٢.

و يتّضح من هذه التعاليم الفعلية و القولية لقادة الدين أنّ هناك علاقة بين الأخلاق و العبادة و بين الرياض الخضراء و مراعاة حقوق الحيوانات و أمثالهما، لأنّ الجانب الملكوتي لهذه الأعمال و هو التوجه إلى ثواب الله و العناية بالقيامة و الاهتمام بالمُدخّر لما بعد الموت مشهود بالكامل.

١. وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٤٠٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ١٧٠.

الفصل الخامس

تأثير حسن العشرة

في سلامة البيئة

إن تأمين سلامة البيئة و طرق الوصول إلى محيط سالم إضافة إلى كونها من حقوق الإنسان الرئيسية تعتبر واحدة من الوظائف البشرية و من هنا و علاوة على العناية بالتركيبة المنتظمة للإنسان و العالم و علاقة الإنسان مع العالم التي مرّت في الأبحاث السابقة و علاقته مع نفسه لا بد من الاهتمام بعلاقة الإنسان مع الآخرين أيضاً. فإن واحدة من أبعاد سلامة البيئة هي سلامة السلوك و العلاقة الحسنة بين أفراد المجتمع فيما بينهم و من أجل تحقيق هذا الأمر فقد حظيت الوصية بحسن العشرة و العلاقة الحسنة مع أعضاء العائلة و المجتمع و سائر المجتمعات البشرية في تعاليم الإسلام السماوية بالعناية و الاهتمام لتتوافر في ضوء هذه التعاليم بيئة سالمة لحياة الإنسان.

مدح العلاقات الودية في الإسلام

لقد صيغت النداءات القرآنية في قالب الجمع حيث تدعو الناس إلى الاجتماع و تضع المسؤولية على كاهل المجتمع. و تتصدى في التعاملات الاجتماعية لتعليم آداب و سنن تتلاءم مع كرامة الإنسان و تتناسب مع اتّصاف البشر بأحسن تقويم لتمتع البيئة البشرية بالسلم و الأمن و الاستقرار و لذا فقد

ذمّ جميع الأوصاف التي تبعث على النصب و الفصال و مدح جميع الفضائل التي تدعو إلى الودّ و الوصال.

و لا يُؤيد تأثير الاختلافات العنصرية و الوطنية و الزمنية و الإقليمية و ما شاكلها إلا في إطار أداة التعارف على بعض لا التفاخر على الآخرين و يعتبر الطريق الوحيد للمباهاة هو ترك التفاخر و الابتعاد عن شرّ المباهاة و طرد فساد حبّ الجاه و إزالة غبار الكبر و شقّ ظلمة البيروقراطية و سائر المعاصي.

و إن القرآن لا يخصّ ضرورة أدب التعامل مع الآخرين في دائرة الأخوة المسلمين و يتصدى لإحياء معالم الأخوة و المساواة بين المسلمين عبر قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^١، بل و لشموليته يعتبر الودّ و الإخاء الإنساني نافعاً في جميع المجتمعات البشرية و يدعو إلى التعامل مع الناس بأسرهم على أساس ميزان القسط و العدل و يقوم بحفظ الاحترام المتبادل عبر تكريم العدالة الشاملة ما زالوا مجانين لشبّ نار الفتنة و مبتعدين عن التربّع على كرسى الظلم و الجور؛ ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^٢؛ ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^٣.

١. سورة الحجرات، الآية ١٠.

٢. سورة الممتحنة، الآية ٨.

٣. سورة الممتحنة، الآية ٩.

الوصية بالمعاشرة الأحسن

بما أن الإنسان قد خُلِقَ في ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^١ و حريّ بمثل هذا المخلوق أن يتصف بالسلوك الأحسن لذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا التَّيْبَةَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾^٢؛ ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^٣ و المراد بالقول لا يختص بالتعامل اللفظي بل يشمل مطلق السلوك و المعاشرة.

فإن ردّ الهجوم على الحدود الإسلامية و طرد التخاصم و قمع غزو الأعداء بجميع أنواعها و أصنافها و إن كان أمراً ضرورياً، و لكن إن نشب الاختلاف و العداة في داخل حوزة الإسلام فلا ينبغي القضاء على الأخ المسلم الذي عُدَّ عدواً بل لا بد في هذه الحالة القضاء على العداة معه لا على العدو. فإن ردع العدو ليس بالأمر العسير، و أما القضاء على العداة و استعادة الودّ و الإخاء فهو من شأن الحكماء الصالحاء؛ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^٤.

و إن الحوزة الإسلامية كنطاق الأسرة تدور على مدار العطف و محور المحبة حيث تجد نداء ﴿... وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^٥ يدويّ دوماً في الأرجاء و فصالحهم و وصالحهم على أساس الإحسان و اللطف؛ ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ

١. سورة التين، الآية ٤.

٢. سورة الإسراء، الآية ٥٣.

٣. سورة البقرة، الآية ٨٣.

٤. سورة فصلت، الآية ٣٤.

٥. سورة النساء، الآية ١٩.

بِإِحْسَانٍ^١ وإكرام الكبار بأمر ﴿وَإِمَّا يَنْتُلِقَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^٢ سارية المفعول على الدوام، كما أن حنان الكبار يُخَيِّم دوماً على حياة الصغار و يغمرهم بعطف عقلائي.

المعاشرة الحقوقية على أساس القسط المتساوي والعدل المتبادل

إن آداب العشرة الحقوقية في المجتمع الإنساني تبتني في الرؤية القرآنية على أساس القسط المتساوي والعدل المتبادل و لذا ففي الوقت الذي يأمر بالعدل ينهى عن تحمّل البغي أيضاً و في غضون النهي عن الظلم ينهى عن الرضوخ إلى الظلم كذلك و هذا ما يتم استنباطه من متون الآيات القرآنية فإن بعض الآيات تعتبر نداء جميع الأنبياء هو القيام بالقسط و العدل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^٣ و بعضها الآخر تؤكد على أنّ تطبيق العدل لا يتيسر من دون التجهيز الشامل و الاستعداد الكامل و لذا لا يكفي أن يكون الإنسان قائماً بل لابد له أن يكون قواماً؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾^٤؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾^٥.

١. سورة البقرة، الآية ٢٢٩.

٢. سورة الإسراء، الآية ٢٣.

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥.

٤. سورة المائدة، الآية ٨.

٥. سورة النساء، الآية ١٣٥.

و الطائفة الأخرى من الآيات التي تتحدث في الجانب السلبي و في إزاء الأمر بالعدل تنهى عن الظلم، لا تُفرِّق بين الاستعمار و قبوله و تزدّم الظلم كما تزدّم الرضوخ للظلم و تنهى عن كلا الأمرين؛ ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^١.

تحريم الاستهانة و هتك حرمة و استثمار الآخرين

يعتبر القرآن الكريم أن الاختلاف في القدرات و المواهب مدعاة للابتلاء و وسيلة لتقسيم الأعمال الاجتماعية بالعدالة و تسخير متبادل لأفراد المجتمع و يردع كل ضروب الاستهانة و هتك الحرمة أو الاستفادة المجانية و الانتفاع الشخصي؛ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٢؛ ﴿أَهُمْ يَسْئِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ إِذْ أَنْتُمْ لَهَا وَاسِعُونَ وَإِنَّ أُولَئِكَ لَشَرٌّ عَلَى النَّاسِ لَا يُدْرِكُهُمُ الْعَذَابُ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^٣.

مع ملاحظة الآيات المذكورة يتضح أن المواهب الإلهية بكل أصنافها إنما هي ابتلاء لعباد الله لا تكريم لواجديها و تحقير لفاقديها و الهدف منها التقسيم العادل للمهام الاجتماعية و إن آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى

١. سورة البقرة، الآية ٢٧٩.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

٣. سورة الزخرف، الآية ٣٢.

أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ^١! قد وقفت أمام كل ضروب التحقير و التفاخر و أوجبت حفظ الاحترام المتبادل على الجميع لتهييء معايشة المجتمع في ضوء تأمين الكرامة أرضية ظهور المدينة الفاضلة و تتحقق سلامة بيئـة الإنسان الذي هو خليفة الله.

الوظيفة الأكبر للمسؤولين في حسن العشرة

إن حسن العشرة لكل مواطن في المدينة الفاضلة تتعين إزاء مسؤوليته و لذا فإن للمسؤولين الكبار في المجتمع وظيفة أكبر من سائر الناس في هذا المجال؛ كما أمر موسى الكليم و هارون عليهما السلام أن يبدأ بتبليغ الدين عبر القول اللين؛ **﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾**^٢، و إن كان مصير فرعون بسوء اختياره و كذا أتباعه المتعصين هو الفرق في البحر؛ **﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ اللَّيْلِ مَا وَشِيَهِمْ﴾**^٣، و كما أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالعطف و التواضع في السلوك و اللين في القول؛ **﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**^٤، و إن مسألة المشورة التي تؤدي إلى احترام آراء الآخرين و تعتبر خير وسيلة لوحدة المجتمع و اجتذاب القوى الفاعلة و إيجاد التلاحم بين المنظرين و نضج الرأي النهائي هي من هذا الباب حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله بها.

١. سورة الحجرات، الآية ١١.

٢. سورة طه، الآية ٤٤.

٣. سورة طه، الآية ٧٨.

٤. سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

كما أن سيرته بناء على وصية الله سبحانه هي خفض الجناح و التواضع للمؤمنين؛ ﴿وَاحْفِظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^١، و إن كانت مواقفه الصارمة أمام الطغاة و إعلان براءته من المجرمين سنة إسلامية لا تُنسى؛ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾^٢.

ثم إن خفض الجناح في القرآن قد يكون من باب إظهار الذلّ و الطاعة كما في الولد بالنسبة لأبيه؛ ﴿وَاحْفِظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾^٣ و قد يكون من باب الرأفة و الترحّم و التلطّف على الصغير كالذي أمر به القائد الإلهي. و إنّ من أهم الرسائل القرآنية في تحسين أدب العشرة هي تأسيس المجتمع السامي و المتمدّن و الأمر بحسن الظنّ في مثل هذا المجتمع. بخلاف المجتمع الفاسد حيث لا تكون الوظيفة الأولى فيه حسن الظن و أما في المجتمع الصالح فإن الأمر الأول هو حسن الظنّ بالنسبة للآخرين: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^٤.

فطرية حسن العلاقة مع الآخرين

الإنسان متمدّن على أساس فطرته التي فطر عليها: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ التَّسِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^٥. فيتعامل مع الآخرين و يحترم حقوقهم على أساس فطرته

١. سورة الشعراء، الآية ٢١٥.

٢. سورة الشعراء، الآية ٢١٦.

٣. سورة الإسراء، الآية ٢٤.

٤. سورة الحجرات، الآية ١٢.

٥. سورة الروم، الآية ٣٠.

الإلهية. و إن هذا التعاون و التعامل الذي له جذوره في المدينة المطلوبة لدى الدين موجود في فطرة الإنسان الحقيقية. و في هذا الشأن يقول الشاعر المرحوم «سعدى»:

بنو آدم أعضاء لجسد واحد و قد خلقوا من جوهر واحد
فإذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء^١

فإن مضمون هذا الشعر بالإضافة إلى كونه عصاراة لبعض الأحاديث الدينية الشريفة^٢، يعتبر من المستلزمات القطعية لفطرة الإنسان، لأن الإنسان بمقتضى فطرته يحزن لحزن الآخرين و يفرح لفرحهم.

و من جانب آخر فإن الإنسان بالاستناد إلى فطرته الإنسانية يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه و يكره لغيره ما يكره لنفسه. و إن هذه الخصيصة كما أنها من مستلزمات الإيمان كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»^٣، هي من مستلزمات الفطرة أيضاً لأن الإنسان مفطور على الإيمان و هذا ما يتم استظهاره من صدر هذه الآية: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^٤.

و من هنا فإن مدينة الإنسان الفطرية لا تنسجم بتاتاً مع نهب الثروات الطبيعية و تلويث البيئة و التعدي على حقوق الآخرين و إنه و إن كان يسير

١. گلستان سعدى.

٢. راجع: الكافي، ج ٢، ص ١٦٦.

٣. بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٥٧.

٤. سورة الروم، الآية ٣٠.

وراء المنافع الدنيوية حسب متطلباته المادية ولكن لا يتعدى على مصالح الآخرين للوصول إلى مآربه بل يسعى لأن يفض الطرف عن حقوقه أيضاً من أجل مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم؛ ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^١، لأن الإنسان الذي تطابق أعماله الفطرة السليمة لا تكون دوافعه الدنيوية ومطامعه المادية مبرراً لمعوثته ومساعدته للآخرين وبما أن فطرته الإلهية الخفيفة متوجهة صوب المبدأ الأزلي الربوبي على الدوام، لا يُروى غليله بالدوافع والمنافع الدنيوية والمادية الصرفة ولذا تجده في ما وراء أي عمل يقوم به من مساعدة الآخرين يبحث عن ماء الحياة وعن ضالته الحقيقية؛ ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾^٢.

وإن كل ما قيل من مفاهيم كالتعاون والتفاهم والمساعدة والمشاركة والشعور بالتضامن والتضحية والإيثار وما إلى ذلك إنما هي من المظاهر الاجتماعية للفطرة السليمة وإن المدنية المطلوبة لدى الدين أيضاً تتبلور على أساس مثل هذه الأمور.

صفات الإنسان الفطرية معرضة للآفة

قد يستنبط البعض من كلمة الفطرة أن مثل هذا الأمر بما أنه مودع في ذات الإنسان فإن كل فرد يتمتع به طيلة حياته من دون أي نقص، والحال أن من خصائص الفطرة البارزة أنها معرضة للآفة والضرر وذلك لطافتها وظرافتها و

١. سورة الحشر، الآية ٩.

٢. سورة الإنسان، الآية ٩.

تحتاج إلى مواظبة مستمرة و عن وعي من قبل صاحب هذه الوديعة الإلهية ليكون تأثيرها مطلوباً.

و من هنا فإن الله يوصي الناس بأن لا يُلوثوا فطرتهم بتراب الطبع و عجاج الهوي و غبار الغريزة فإن ذلك سيؤول إلى سقوطهم في ورطة ضرر كبير و إن تلوثت الفطرة بمثل هذه الأمور فعليهم عبر الجدّ و السعي الحثيث أن يزيلوا عنها درن هذه الأرجاس ليحصلوا عبر التمتع بفطرة طاهرة على الصلاح و الفلاح؛ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^١.

فقد عبر الله سبحانه في هذه الآيات عن تلوث الفطرة بجملة ﴿دَسَّاهَا﴾ و هي فعل ماضٍ من باب التفعيل و أصلها «دسو» و هو يعني إخفاء الشيء في داخل شيء آخر كالتراب (الدفن)، و معنى ذلك أن فطرة الإنسان وديعة إلهية في ذات جميع الناس و لها آثار مفيدة لا تُحصى، و لكنها تُدفن بالإعراض و الغفلة عنها و تضمحل آثارها بالكامل و تكون بحيث لا يبقى من إنسانية الإنسان إلا شكله و صورته أي أن صورته صورة إنسان، و أما سيرته و حقيقته فهي نفس الطباع و الأميال و الغرائز التي تشترك فيها سائر الحيوانات معه؛ «فالصورة صورة إنسان و القلب قلب حيوان»^٢.

و إنَّ الله سبحانه يعتبر مثل هذا الإنسان كالحیوان أو أدنى منه؛ ﴿أُولَئِكَ

١. سورة الشمس، الآية ٩-١٠.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

كَالْأَعْمَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ^١. و السرّ في كون الإنسان العاصي المنحرف أضلّ من الحيوان هو أن الحيوان يتصرّف بمقتضى الوهم والخيال في الجانب الإدراكي و الشهوة و الغضب في الجهة المحركة، و أما الإنسان فهو يتمتع على خلافهم بالعقل النظري و العملي و لكنه لا يتصرّف بمقتضى عقله فيكون في رتبة أدنى و أضلّ من الحيوان.

تعدي الناس على حقوق الآخرين

إذا ألقينا نظرة على أوضاع العالم في الوقت الحاضر - كما كان ذلك في الماضي أيضاً إلى حدّ ما - لوجدنا و للأسف أن أفراد البشر قد أعرضوا عن التفكير بفطرتهم الإلهية و الإنسانية مبادرين إلى دفن هذه الوديعة الإلهية باتباع أميألمهم و احتذاء جهلهم العلمي و جهالتهم العملية. و قد أودعوا أغلب مظاهر فطرتهم و لاسيما التي تخصّ المسائل الاجتماعية في بقعة النسيان بحيث أنهم باتوا يعتقدون أن معونة الآخرين أمر عديم الجدوى بل هو غرامة.

فهم يفكّرون بأنفسهم أكثر من كلّ شيء و يشعرون شعوراً مفرطاً ببعدهم و غرابتهم الكبيرة عن الآخرين و تتلخّص القيم لديهم في الرفاه و مزيد الأرباح و ذلك بصورة فردية على الإطلاق. و إنّ أصل التفاهم و التعاون مع سائر الناس قد مال إلى الأقول و الخمول و لم يبق منه إلا ظاهراً صورياً يتقربون الأشخاص من خلاله إلى مآربهم النفعية.

و قد أصبح اليوم التفاهم و التعاون بين الناس عرضة لطباع الناس الحيوانية بحيث أن تشكيل أصغر دائرة اجتماعية (العائلة) أصبحت تعوقها مطبات و عثرات كثيرة، بمعنى أن الناس غير قادرين بمقتضى فطرتهم - وهذا ما تسانده الأُميال الشخصية أيضاً - على أن تكون لهم حياة مشتركة مع شخص آخر و تحت سقف واحد.

تفاهم الأزمة في مركز العائلة

إن الأزمة في مركز العائلة - الذي يشكّل أسس المدنية في المجتمع - قد تجذّر و ترسّخ بجدّ أعبي علماء الاجتماع و القانون في العالم رغم علمهم بأن ضعف هذا المركز قد يوقع المجتمعات في العديد من المهاي و المهالك. فهم عاجزون عن حلّ هذه الأزمة بل و لا يملكون القدرة لإيقافها عند حدّها و عدم تراجعها بحيث أنه كلما يمضى من عمر التطور الصناعي و الرقيّ العلمي في العالم و كلما تزايدت المراحل المختلفة - التي قد سميت بأسماء مختلفة كـ «الحداثة» - كلما تضاءلت أهمية العائلة أكثر و تزايدت إحصائيات الطلاق و الإباحية و الأطفال الذين ليس لهم معيل و تصاعدت بالتالي نسبة التعدي و التجاوز و الخشونة.

و من جانب آخر فإن أردنا دراسة آثار تلوثّ الفطرة في مجال أوسع و على الصعيد الدولي لواجهتنا أوضاع أشدّ خطورة بأضعاف المرات بحيث أنّ شدة ظلم الدول الأقوى و جورهم تتزايد يوماً بعد آخر على الدول الأخرى و

إن الدول الضعيفة وإن لم تحمل اسم «المستعمرة» كما في السابق ولكنها تتحمل بالنسبة للعصور الماضية مزيداً من العذاب والأذى إزاء استعمار الدول القوية واستعبادهم واستثمارهم وبحيث أن العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية بين الدول القوية والضعيفة قد ارتكزت على أساس ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾^١ أي على أساس قانون الغاب؛ ومثلها البارز والرسمي هو حق الفيتو للدول الكبرى حيث يحق للبلدان القوية من خلاله أن يعرضوا عن مصالح وآراء عشرات الدول لتأمين مطامعهم.

والمحصل أن الناس رغم أنهم يتمتعون بذات وفطرة طاهرة وقيمة، يقومون في كثير من الأحيان و عبر تلويث فطرتهم الإلهية بالقضاء على مظاهر هذه الوديفة الإلهية - ولاسيما في بعدها الاجتماعي - و يوقعون أضراراً جسيمة على المجتمع بل وعلى المحافل الدولية أيضاً وفي كلمة واحدة يلوّثون مدينتهم وهذا ما هو ظاهر في العصر الحاضر أكثر من السابق.

تأثير العلاقات مع الأرحام و المجتمع في سلامة البيئة النفسية

لقد عنى الإسلام لتأمين سلامة البيئة علاوة على أبعادها المادية بالبعد المعنوي أيضاً معتبراً أصل الودّ والإخاء و العلاقة المحسنة بين جميع أبناء البشر مفيداً في بعد العلاقات الاجتماعية و قد بالغ في الاهتمام لهذا الأمر بإيجاد الأواصر بين أفراد العائلة و الأرحام و المجتمع الإسلامي. فمن جانب وصّى

بتعزيز هذه الأواصر و من جانب آخر نهى بشدة عن قطعها: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^١.

فإن لـ «القطع» مفهوم شامل تختلف مصاديقه بتعدد مواطنه فقد يرد القطع بمعنى طي الطريق الذي يهّد السبيل للوصل و هو قطع ممدوح و قد نسبة القرآن الكريم للمجاهدين حيث يقول: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٢، و قد يرد القطع بمعنى فصل الشيء عما أمر الله بوصله و هو قطع مذموم.

و قد ربط الله سبحانه العبد بمولاه فإن قطع عبد رابطة العبودية هذه فقط قطع بهذا العمل ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^٣ كما أنه مصداق كامل لنقض العهد الإلهي.

و كذلك بما أن الله قد جعل الإنسان موجوداً اجتماعياً، فقد أمره بالترابط مع أفراد عائلته و أرحامه و إخوته في الدين و جيرته و الأمة الإسلامية و إمام المسلمين و كذا الترابط الإنساني مع المجتمعات غير الإسلامية في ضوء الأمر بالعلاقات الدولية في الإسلام و قد تمّ تبيان جميع هذه الموارد بالإجمال و التفصيل في آيات القرآن الكريم و سنة المعصومين عليهم السلام و من قطع هذه

١. سورة البقرة، الآية ٢٧.

٢. سورة التوبة، الآية ١٢١.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٧.

الأواصر فقد نقض العهد الإلهي وقطع ما أمر الله به أن يوصل. وفيما يلي نقوم بشرح الموارد المذكورة:

١- النهي عن قطيعة الأرحام

إن قطيعة الإنسان لأبيه وأمه وأولاده من المصاديق البارزة لقطع ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^١. فإن القرآن الكريم يقول في شأن الوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾^٢ و يتعرض لاحترام الأم بمزيد من التأكيد قائلاً: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^٣ و لبيان أهمية احترام الأبوين ذكر في بادئ الأمر اسم الله المبارك ثم أردفه باسم الأب و الأم لتظهر أهمية المسألة من خلال وحدة السياق، لأن الوالدين هم مجرى فيض الخالق و عقوقهما من المصاديق البارزة لقطيعة الرحم و من الذنوب الكبيرة.

و إن قطيعة الأرحام و الأقرباء أيضاً من مصاديق قطع ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^٤ حيث يقول القرآن الكريم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^٥، و المراد بالأرحام هم الأقرباء عبر النسب و السبب حيث ذكر

١. سورة البقرة، الآية ٢٧.

٢. سورة العنكبوت، الآية ٨.

٣. سورة لقمان، الآية ١٤.

٤. سورة البقرة، الآية ٢٧.

٥. سورة النساء، الآية ١.

الأقرباء بالسبب في بعض النصوص و خطب العقد أيضاً في حكم الأرحام بالنسب، فعلى سبيل المثال يظهر من كلام رسول الله ﷺ في مراسيم زواج فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) و علي بن أبي طالب (سلام الله عليه) أو من الخطبة التي تم إيرادها في مراسيم زواج الإمام الجواد عليه السلام بأن الله يعتبر المصاهرة نسباً لاحقاً: «جعل المصاهرة نسباً لاحقاً»، فعلى الإنسان أن لا يقاطع الأرحام بالسبب أيضاً.

إن بعض الأحكام التي شرّعت في الشريعة الإسلامية مشروطة صحتها بالإسلام كالصلاة و الصوم، فإن غير المسلم و إن وجبت عليه الصلاة بيد أنها باطلة من دون اعتناق الإسلام، و بعضها الآخر غير مشروطة صحتها بالإسلام و هي من قوانين الإسلام الدولية و مراعاة حقوق الوالدين من هذا الصنف، فإن كان الأبوان ملحدين أو من أهل الكتاب أيضاً يجب على الولد احترامهما و قضاء حوائجهما؛ ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^٢.

و إن صلة الرحم لا تقتصر على زيارة الأقرباء و تفقدهم بل مصداقها الكامل هو قضاء حوائجهم و إدخال السرور عليهم قبل الآخرين.

و إن القرآن الكريم بالنسبة للمرأة و الرجل اللذين يمثلان محور العائلة أيضاً قد أمر بالوصل حيث يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^٣، فمن لم يتصرف في

١. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١١٩.

٢. سورة لقمان، الآية ١٥.

٣. سورة النساء، الآية ١٩.

البيت مع زوجته تصرفاً معقولاً يكون قد قطع ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^١، كما وجعل للطرفين حقوقاً مشتركة: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^٢، وعدم مراعاة أي منها يؤدي إلى قطع ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ لأن أساس تشكيل العائلة و تحكيمها إنما هو بأمر من الله سبحانه.

وإن الصلة التي أمر الله سبحانه بها للبعض في نطاق العائلة وإن لم يكونوا من أهل الدين تمتد إلى حيث لا تضرّ بسائر الأحكام الدينية و أما إذا تزلزلت الأحكام الدينية الأخرى بسبب هذه الصلة مع غير المتدينين فهي لم تعد غير ضرورية فحسب بل تحرم أيضاً، كما إذا أراد الأبوان غير المسلمين أن يجروا ولدهم إلى الشرك: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^٣ فلا يبقى هنا مجال لصلة الرحم. و من كلام رسول الله ﷺ الذي يعدّ من جوامع الكلم و الأصول الحاكمة على جميع الأحكام الشرعية هي قوله: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^٤، أي لا يتأق لأحد أن يعتبر نفسه معذوراً في طاعة مخلوق و إن كان أعلى منه مرتبة في إطار ما يخالف الشرع، و إن العبارة المعروفة «المأمور معذور» لا بد و أن تكون محكمة لهذا الأصل الكلبي و الجامع النبوي.

١. سورة البقرة، الآية ٢٧.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

٣. سورة لقمان، الآية ١٥.

٤. نهج البلاغة، الحكمة ١٦٥.

٢- النهي عن قطيعة الإخوة في الدين

إن المؤمنين إخوة فيما بينهم؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^١ و من لم يراع حرمة أخيه المسلم فهو قاطع لـ ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^٢.

و قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «صحة عشرين سنة قرابة»^٣ فترتب آثار القرابة على مثل هذه الصحة و لا يحق لأحد إيذاء صاحبه لعشرين سنة و القطيعة معه.

كما أن العلاقة بالجيران أيضاً إلى شعاع أربعين بيتاً توجب بروز حق الجوارء و قد أمر الله سبحانه بمراعاة حقوق الجيرة و من لم يراع هذه الحقوق فيسكون بمقداره مشمولاً لـ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^٤. علماً بأن شعاع أربعين بيتاً لا يختص بالجوار الأفقي و الحدود الأربعة المعهودة بل يشمل الجوار العمودي لسكان العمارات، أي أن الاتجاه الأعلى و الأسفل أيضاً يضاف إلى الاتجاهات الأربعة المعروفة.

٣- النهي عن قطيعة الأمة الإسلامية

إن من ينفصل عن صف المسلمين يكون مشمولاً لقطع ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^٥.

١. سورة الحجرات، الآية ١٠.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٧.

٣. بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٥٧.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٦٦٩٤ قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «كل أربعين داراً جيران من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله».

٥. سورة البقرة، الآية ٢٧.

يُوصَلُ ﴿١﴾ إذ يقول الله سبحانه في مسألة الترابط بين الأمة الإسلامية: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^١! فمن تمسك لوحده بحبل الله و انفصل عن الأمة الإسلامية و تفرّد بعمله و استبدّ برأيه يكون مشمولاً للقطع المذكور، لأن الله سبحانه دعا الأمة الإسلامية إلى توحيد الصفوف و أمرهم بالتمسك بحبل الله جميعاً. و لذا لا يحق لأحد الاستبداد بالرأي و الانفصال عن جماعة المسلمين لأن رسالة الآية المذكورة تكمن في أمرين؛ الأول الاعتصام و التمسك بحبل الله المتين و الثاني «الاجتماع في الاعتصام» و «المعية في التمسك»، كصلاة الجماعة حيث تضمّ في مكنونها بالإضافة إلى أصل الصلاة، الاجتماع و المعية في إقامة الصلاة.

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «فإن الشاذّ من الناس للشيطان كما أن الشاذّ من الغنم للذئب»^٢، فكما أن الشاة المتخلفة عن قطع الغنم تكون محرومة من صيانة الراعي و تقع طعمة بيد الذئب، كذلك الشخص المتخلف عن الأمة الإسلامية المستبدّ برأيه المتفرّد بعمله يقع طعمة بيد الشيطان أيضاً. و لذا يقول الله سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ و يذمّ الذين يبثون التفرقة قائلاً: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ وَأُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ يَبْثُثُ زُبْرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^٣ و يعتبر الاختلاف الباطل علامة على

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.

٣. سورة المؤمنون، الآية ٥٢-٥٣.

الجهل و يصف المختلفين و المخالفين بلا سبب بفقدان العقل: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^١.

٤- النهي عن قطيعة القائد الإسلامي

إِنَّ أَهَمَّ مَصْدَاقٍ لِقَطْعِ ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^٢ هُوَ قَطْعُ الْعِلَاقَةِ وَ الْإِرْتِبَاطِ مَعَ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ حَيْثُ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي هَذَا الشَّأْنِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٣، فَالْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ عِلَاوَةً عَلَى الْإِعْتِقَادِ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ لَمْ يَتْرَكُوا الْقَائِدَ فِي الْمَسَائِلِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي لَا بَدَّ مِنْ تَوَاجُدِ الْجَمِيعِ فِيهَا كَالْحَرْبِ أَيْضًا. وَ أَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَحْضُرُوا مِنَ الْأَسَاسِ فَهَمَّ مُحْكَمُونَ مِنْذُ الْخَطْوَةِ الْأُولَى وَ الَّذِينَ حَضَرُوا بَادئِ الْأَمْرِ ثُمَّ أَرَادُوا تَرْكَ السَّاحَةِ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِذْنَانَ مِنْ وَلِيِّ الْمُسْلِمِينَ وَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونُوا مَعْذُورِينَ حَقِيقَةً لِأَنَّ مِنْ يَتْرَكَ السَّاحَةَ مِنْ دُونِ إِذْنِ يَكُونُ قَدْ قَطَعَ ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^٤.

١. سورة الحشر، الآية ١٤.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٧.

٣. سورة النور، الآية ٦٢.

٤. سورة البقرة، الآية ٢٧.

فقد أمر الله سبحانه رسوله في هذه الكريمة أن يجبر حرمان الشخص المأذون له بترك الساحة بالاستغفار لأنه قد حُرِّم من فيض الحضور بين يدي الإمام كما أنه لا يتحتم على القائد الإذن بالرحيل لكل من يستأذنه بل إن زمام الأمور بيده و بإمكانه الإذن لمن شاء منهم بما يراه موافقاً للحكمة و الصلاح.

و يقول القرآن الكريم في الذين ينتظرون النبي ﷺ بتربُّص و ارتياب حين يدعوهم للحضور في المواطن الاجتماعية المهمة كالحرب أن يدير بوجهه الشريف أو أن يدخل أو يخرج شخص فيختبئون خلفه للفرار من الساحة: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذَأَ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^١، فلو لم يرتدع هؤلاء عن مخالفتهم سيصيبهم أحد الخطرين إما الفتنة أو العذاب الأليم. كما يقول الله سبحانه للذين كانوا مع النبي في جميع المراحل بأن لا يتركوا خطَّ الدفاع فيصاب القائد بضرر: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾^٢، و مضمون هذه الآية هو التحذير من «الاستيثار» و الترغيب بـ «إيثار» الرسول الأكرم ﷺ على النفس.

و الحاصل أن قطع العلاقة مع ما أمر الله بوصله يكون مشمولاً لآية ﴿وَيَنْقُطُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^٣. بيد أن بعض مصاديق القطع بارزة و

١. سورة النور، الآية ٦٣.

٢. سورة التوبة، الآية ١٢٠.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٧.

محددة و قد مُنيت بمزيد من العناية و التوجه كترك صلة الرحم و عقوق الوالدين و بعض مصاديقها غير بارزة و لا تتبادر إلى الذهن بسرعة.

إمكانية التعايش السلمي مع أتباع سائر الأديان

ليس المراد بالتعايش السلمي بين الأقوام و الملل أن يعتبر كلّ منهم الطرف الآخر من أهل جهنّم و يطرد بعضهم بعضاً و لكنهم يعيشون جنباً إلى جنب من باب الاضطرار، إذ من الممكن أن يعتبر كل واحد منهم الطرف الآخر من أهل الباطل و لكنه معذور لا أنه من أهل النار، لأنه ليس كلّ باطل و مُبطل في النار بل قد يكون التبس عليهم الأمر في تشخيص الحق و من أخطأ في تشخيص الهدف بعد السعي الحثيث فهو و إن كان محروماً من الفوز بالفيض الإلهي و لكنه قد لا يدخل النار.

و بعبارة أخرى فإن التعايش السلمي لأرباب النحل المتعددة ليس من باب تحمّل الأذى و الصبر على المكروه و في الاصطلاح التظاهر بالسلم، و بتعبير المساومة السياسية بل هو ضرب من المساومة الإنسانية إذ من الممكن أن يكون أحد على حق و الآخر على باطل بيد أن الذي على الباطل لم يكن مقصراً في تشخيص الحق بل كان قاصراً، أي أنه جدّ و اجتهد للوصول إلى الحقّ و لكنه لم يصل إلى المقصد فإن مثل هذا المرء كلامه باطل و لكنه ليس من أهل النار بل هو معذور و ممن قال الله في حقهم: ﴿وَأَخْرَوْنَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾^١ فيعود أمره إلى الله إما العذاب - في حال اقتراف الذنوب - أو التوبة و اللطف.

المعيار في التعايش السلمي

يظهر من الآيات القرآنية أن أصحاب الأديان المختلفة بإمكانهم التعايش السلمي فيما بينهم عبر قبول كل واحد منهم الخطوط العامة لدين الآخر. وعبارة أخرى يكون الدين الحاكم هو دين واحد و أتباع سائر الأديان - الذين يسرون في أحوالهم الشخصية وراء الدين الخاص بهم - يتبعون في مسائل البلد العامة الدين الحاكم.

و من هنا يقول النبي ﷺ مخاطباً أهل الكتاب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^١، ومفهوم هذه الآية هو أن نكون موحدين وأن لا يفرض أي واحد منا نفسه على الآخر وأن نتقبل الخطوط العامة للوحي، علماً بأن هذا لا يعنى التعددية الدينية بأن تكون جميع العقائد المتقابلة حقاً، فإن الحق ليس إلا المعارف المشتركة والمختصة بالدين الخاتم والدين الوحيد الحاكم هو دين الإسلام و الآخرون يعيشون في ظل الإسلام، و أما أهل النجاة في المعاد فهم فرقة واحدة لأن النجاة و السعادة الأبدية في المعاد و القيامة لها طريق واحد ليس إلا.

و بيان ذلك يكمن في سؤالين لابد من الفرز بينهما:

١- هل يصحّ التعايش السلمي مع أتباع سائر الأديان و المذاهب؟ و هل يتأتى لأصحاب الأديان و المذاهب المختلفة أن يعيشوا جنباً إلى جنب بعض من

أجل الحفاظ على استقرار البلد و أمنه؟ لهذا السؤال جواب خاص يرد في محله.

٢- هل أن وسيلة التكامل الحقيقي للإنسان واحدة أم متعددة؟ و هل ينال الإنسان الكمال النهائي عبر الاعتقاد بحقيقة واحدة و السلوك العملي لطريق واحد؟ و هل أن وسيلة تكامل الإنسان حقائق متعددة أم حقيقة واحدة؟ و هل أن ظرف ظهور كمالات تلك الحقيقة الواحدة هو القيامة؟

الجواب: بالنسبة لكمال الإنسان الحقيقي و مسألة القيامة لا يوجد إلا طريق واحد لوصل الإنسان إلى الكمال النهائي، و أما لإدارة شؤون البلد و جمع الآراء المختلفة لأرباب الفكر و النظر فهناك طريقان: ١- أن يعتنق الكلّ دين واحد. ٢- أن يتعايش أتباع الأديان المختلفة فيما بينهم سلمياً بالحفاظ على معتقداتهم و العمل بالقوانين المنحدرة من دين واحد، إذ لا يتأتى لأي أحد في النظام الدنيوي أن يكون رباً لعقائد الآخرين و أفكارهم فيقول بأن قوة التفكير مختصة بي و كل ما يترشح من فكري فهو حق و على الآخرين أن يفكروا كما أفكروا و كل فكر ما خلا هذا فهو محكوم، بل إن طريق التفكير مفتوح بوجه الجميع و لذا قال القرآن: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾^١ و معنى ذلك أن يقول بأن أفكاره لا بد و أن تكون هي الحاكمة، بل لا بد من قبول الفكرة المتقنة العميقة أيأ كان مُقدّمها.

فإن التعايش السلمي مع أتباع سائر الأديان وحریتهم في التفكير و الإدلاء بآرائهم یغایر سعادتهم بأجمعهم في الآخرة لأن الهدف من الخلق كما ذكرنا و كذلك فطرة الناس و الطريق الذي یسلکوه واحد فعلى الإنسان أن یسیر بفطرة واحدة و في طریق واحد و صوب هدف واحد للوصول إلى مقصد واحد.

فإن نظرنا إلى الآخرة في دراسة الآراء و العقائد لا یكون الحق إلا واحد و لا ینجو إلا من سلك طریقاً واحداً و لكن إن نظرنا في ذلك إلى الدنيا فبإمكان الناس بمختلف الأديان أن یعيشوا مع بعض أحراراً في التفكير و أن یسلکوا الطريق الصحيح و یصلوا إلى المقاصد الدنیویة من دون اجتياز حدود العقل و النقل، لأن الدين الحق الواحد قد بیّن كيفية التعايش السلمي فيما بین أتباع مختلف الأديان.

دعوة الإسلام إلى التعايش السلمي

إن الإسلام یوصي المسلمین أن یتعاملوا مع أتباع الأديان السماویة و المدارس البشریة الأخرى بعدالة و سلم و هذا أمر قرآني و النظام الإسلامي أيضاً یسیر على هذا المنحى. ففي القرآن الکریم:

المؤمنون و المسلمون لا بد و أن یتعایشوا فيما بینهم بصورة سلمیة أخویة:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^١.

كما ينبغي عليهم التعايش السلمى مع الموحدّين الذين يعيشون في ظلّ النظام الإسلامى كاليهود و النصرى المعتقدين بالله و النبوة الإلهية و بعبارة أخرى و من خلال نظرة خاصة أهل التوحيد - سوى المعتقدون عمداً بـ «التثليث» أو «التشبيه» -

و يتحتم عليهم كذلك التعامل السلمى مع الكفار و الملحدين الذين لا يؤمنون بالتوحيد و لا يعتقدون بالمبدأ و المعاد لاتباعهم المدارس الإلحادية و المادية و لكنهم لا يبغون الإطاحة بالنظام الإسلامى بل مستعدّون للتعايش السلمى مع المسلمين، لأنهم إن وقفوا بوجه النظام الإسلامى و بادروا إلى إسقاطه فإنّ الإسلام يأمر بالدفاع أمامهم و مجابتهم. إذ يقول الله سبحانه في سورة «المتحنة» في حقهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^١.

إذن فيسوغ التعايش السلمى مع الذين كانوا قد تركوا النبى ﷺ و شأنه عندما كان مظلوماً في مكة و لم يتعرّضوا للإسلام و المسلمين بعد الهجرة من مكة إلى المدينة و تشكيل الحكومة الإسلامية أيضاً. كما و يمكن مع الكفار المحايدين الذين لم يتحرّكوا و لم يُحرّكوا ضدّ الإسلام و بالتالى لم يعمدوا و لن يعمدوا إلى فعل يضرّ بالإسلام و المسلمين من الناحية المالية و الفكرية و

العسكرية و السياسية أن يكون هناك تعايشاً سلمياً بأن تكون الحياة معهم إنسانية و معنى ذلك لا يقتصر على اجتناب الظلم فحسب بل لابد من التعامل معهم بكامل القسط و العدل و الإحسان إليهم لأن العدل و الإنصاف و الإحسان مطلوب و إن كان للكافر و الظلم و الجور أيضاً مرفوض و إن كان على الكافر. و على هذا فإن التعايش السلمي مع أتباع الأديان و المدارس الأخرى أمر مقبول في الرؤية القرآنية و أما أنهم بأسرهم من أهل الجنة أم من أهل النار فهو بحث آخر، علماً بأن القاصر المعذور أمره موكول إلى الله.

الفرق بين التعايش السلمي و بين التسامح و التساهل

هناك فرق بين التعايش السلمي و بين التسامح و التساهل. فإن الإسلام قد دعا المسلمين أن يكون لهم مع الكافرين و المشركين تعايشاً سلمياً وفق شروط خاصة، و لكنه لم يدعهم بتاتاً إلى التسامح و التساهل و لم يقل لهم بأن يتعاملوا مع الكفار و المشركين من باب التسامح و التساهل بل قد ارتكز أساس القرآن على عدم مهادنة الباطل و أهل الباطل: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ * وَذُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾^١ مهادنة مع انحراف عن الحق. و بعبارة أخرى فإن القرآن يُحذّر نبيّ الإسلام ألا يلين قيد أغلّة أمام مقترحات المشركين المنحرفة و ألا يدهن أهل الباطل.

فإن لأهل الحق و السائرين نحو هدف محدّد، أهداف مقدسة لا يتاجرون بها بتاتاً و لا يدهنون و يتفاوضون فيها و لا يتنازلون للطرف المقابل أمام وعود

باطلة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «و لعمرى ما عليّ من قتال من خالف الحقّ و خابط النغيّ من إدهان و لا إيهان»^١.

فإنّ الإنسان المتديّن لا يضعف و لا يهن و لا يلين أمام الأعداء و التيارات الباطلة لا في مقام العمل و لا في مقام العقيدة و لا يتنازل عن مواقفه الإيديولوجية و الاعتقادية في مقام العقيدة و عن مواقفه الأصولية في مقام العمل.

و قد وُصف دين الإسلام في أحاديث المعصومين عليهم السلام بالشيعة «السمحة السهلة» لا بالتساهل و التسامح، و معنى ذلك أن دين الإسلام ينسجم مع فطرة الإنسان و لذا فهو قابل للتحمّل و لا يضمّ في مكنونه أحكاماً عسيرة لا تنسجم مع طاقة الإنسان و المجتمع.

روى الكليني أنه جاءت امرأة «عثمان بن مظعون» إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله! إنّ عثمان يصوم النهار و يقوم الليل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً ... حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: «يا عثمان! لم يُرسلني الله تعالى بالرهبانية و لكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحة أصوم و أصلي و ألمس أهلي فمن أحبّ فطرتي فليستنّ بسنتي و من سنّتي النكاح»^٢. فوصف النبي صلى الله عليه وآله دينه الحنيف بالسمحة السهلة.

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٤.

٢. الكافي، ج ٥، ص ٤٩٤، ح ١.

و روي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال: «إن الله تبارك و تعالی أعطى محمداً عليه السلام شرائع نوح و إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السلام: التوحيد و الإخلاص و خلع الأنداد و الفطرة الحنيفة السمحة و لا رهبانية و لا سياحة أحلّ فيها الطيبات و حرّم فيها الخبائث و وضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم»^١.

و يقول الله واصفاً القرآن: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^٢.

فمعارف القرآن و أحكامه و تعاليمه يسيرة يتقبلها الجميع كما وصف الله القرآن باليسر و السهولة و قد وصفه بالثقل أيضاً و معنى ذلك أن القرآن يسير و لكنه ليس بواهن خفيف فارغ و إنما هو ثقیل. فالسهولة و اليسر في قبال الصعوبة و العسر و الدين و المسائل القرآنية سهلة يسيرة و العمل بها ليس بالصعب العسير و لكنه ثقیل: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^٣. و «الثقیل» بمعنى راجح الوزن باهظ ذو محتوی غني عال و بما أن محتوی القرآن عميق غني فهو بعيد عن الوهن و الفراغ و الوهم و الظن. فإن القرآن يفوق مستوى عامة الناس و إن كان بالإمكان أن تنزّل مباحثه و معارفه السامية إلى مستوى العرف لفهم العامة و إيقاف الآخرين على هذه المعارف من خلال البيان السليس البسيط.

إذن فالدين الإسلامي سهل يسير و لكن لا سبيل للتساهل و التسامح إليه لأن التساهل و التسامح من سمات الإنسان و من الصفات المذومة التي عبّر

١. الكافي، ج ٢، ص ٤١٧، ح ١.

٢. سورة القمر، الآية ١٧.

٣. سورة المزمل، الآية ٥.

عنها القرآن بـ «المداهنة» و أما السهولة و السماحة فهي من سمات الدين و من الصفات المدوحة.

دور الإسلام في السلم العالمي و سلامة البيئة

إن الإسلام دين شمولي خالد و لذا يعتبر نفسه المفتى الأعظم للسلم العالمي و لذا لا بد من تقديم شرح مختصر بشأن الإسلام و السلم و الشمولية و سائر مبادئه التصورية و التصديقية.

يعتبر الإسلام أهمّ عامل يبعث على حياة المجتمعات البشرية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُخْشَرُونَ﴾^١. فإن حياة الإنسان التي تفوق الحياة الطبيعية لا تتحقق من دون سلم عادل.

ثم إن الإسلام قادر على قيادة السلم العالمي لما يحمل في جوهره من حياة و سلام. و من هنا فقد تمّ تعريف نبيّ الإسلام ﷺ بكونه رحمة عالمية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^٢ و السلم العالمي من المظاهر البارزة للرحمة الإلهية. و إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أنزله الله سبحانه على آدم و الخاتم و سائر الأنبياء عليهم السلام، و قد تجلّى في قرآن النبي محمد ﷺ بصورة كاملة و شاملة كلّ ما ورد في صحف إبراهيم و زبور داوود و توراة موسى الكليم و

١. سورة الأنفال، الآية ٢٤.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

إنجيل عيسى المسيح عليه السلام. وإن الاختلاف المحمود و التفاوت المدوح بين الأديان الإلهية ليس إلا في المنهج و الشريعة فقد أشار القرآن الكريم إلى الوحدة في الدين: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^١، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^٢ و بشر كذلك بتعدد المنهج و الشريعة: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^٣.

و إن السرّ في وحدة الدين هو ثبات فطرة الإنسان و اتّحادهما الشامل: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^٤ و السرّ في تعدد المنهج و الشريعة هو تغير طبيعة البشر في طول التاريخ. فإن السلم يقوم بتأمين الفطرة الإنسانية الثابتة فيما يخصّ أصول الإسلام الثابتة و بتزويد الطبيعة البشرية المتغيرة فيما يتعلق بمنهجها و شرائعها المتنوعة و المختلفة.

التصالح بين الأديان و الأنبياء و الشعوب المتدينة

إن الإسلام عبر تبيان التصالح بين الأديان و التصالح بين الأنبياء و أولياء الله و التصالح بين أمم الأنبياء الصادقة قد وضع صراط السلم العالمي نصب أعين سلك طريق التعايش السلمي لكي تعيش الحكومات مع بعض و الشعوب مع بعض و الحكومات مع شعوبها بسلام و تبقى حقوق الإنسان و

١. سورة آل عمران، الآية ١٩.

٢. سورة آل عمران، الآية ٨٥.

٣. سورة المائدة، الآية ٤٨.

٤. سورة الروم، الآية ٣٠.

لاسيما حقوق الأطفال و النساء و الشيوخ مصونة من تناول المتغطرسين المكتنزين للأموال.

أما تصالح الأديان الإلهية فلكونها قد نزلت من عند الله الواحد العليم المحض و كل ما ينزل من جانب الله الحكيم فهو مصون من خطر التنازع و الاختلاف: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^١. و من هنا لم يقع أي دين في ورطة الاختلاف الداخلي و في هاوية الاختلاف الخارجي مع دين آخر لأنها بأجمعها نازلة من عند الله الواحد الحكيم.

و أما تصالح أنبياء الله فلعلصمتهم من السهو و النسيان العلمي و صونهم من العصيان العملي. و من هنا فإن السنة الدارجة للرسول السابق هي التبشير بقدوم الرسول اللاحق و السيرة الرائجة للرسول اللاحق هي التصديق بما جاء به الرسول السابق: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾^٢. فإن استقرار مثل هذا التصالح يحول دون بروز أي ظلم مارج.

و أما تصالح أمم الأنبياء الصادقة فلكون اتباع الأنبياء المنادين بالصلح و السلام يمنع الانحراف إلى حيث الجفاء و التخاصم. و من هنا فإن القرآن الكريم يعتبر جميع أمم الأنبياء بمثابة أمة واحدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنْ

١. سورة النساء، الآية ٨٢

٢. سورة الصف، الآية ٦.

الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿١﴾!

و الآن عبر إتقان هذه المباني يمكن الاستماع إلى نداء السلم العالمي من
حنجرة الوحي الإلهي و الإصغاء إليه بإنصات كامل: ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ
حُسْنًا﴾^٢، إذ ليس المراد بـ «القول» هو الذي يُقَابِلُ الفعل و الكتابة و إنما
هو مرآة تعكس جميع الشؤون الاجتماعية كما أن المراد بـ «الناس» لا يَحْصَى
صنفًا خاصًا منهم: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^٣،
فلا تختص الحرمة بالتطفيف و المسائل الاقتصادية بل تشمل كلَّ بخس و
تضييع و تلويث و غيرها في جميع المسائل الإنسانية مما يعود إلى العين و
المنفعة و الانتفاع و غيرها و ما يرجع إلى التقنية و الإبداع و ما يتعلق
باستخدام الطبيعة من أعماق البحار إلى سَمَكِ السماء و ذروتها.

نشر السلم العالمي الثابت في ضوء نفي الظلم

من أجل التأكيد على هذا الأمر و الاهتمام بحقوق الناس، و بعد تحريم
التطفيف بالنسبة لمصالح الآخرين الوطنية نهى عن أيّ ضرب من العشو و
العيث و الظلم و الفساد: ﴿وَلَا تَغْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^٤، فلا يكفي

١. سورة المؤمنون، الآية ٥١-٥٢.

٢. سورة البقرة، الآية ٨٣

٣. سورة الأعراف، الآية ٨٥

٤. سورة الشعراء، الآية ١٨٣.

لإقرار سلم عالمي ثابت الابتعاد عن الظلم و التباهى به بل لا بد من الوقوف أمام أيّ ضرب من التعديّ لأن الفساد أولاً يهيئ الأرضية لضعف المراكز العبادية و الثقافية و ثانياً يترك أثره السيء في الأرض و أهلها كذلك.

و إن هناك آيتان في القرآن الكريم تتحدثان عن التأثير السيء لهدم السلم و تهديم بناء الصفاء و النظم الطبيعي:

١- ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمْتُمْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^١.

٢- ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^٢.

فإنّ التناهي عن الظلم و نهي الظالم و إن كانا أمرين ضروريين لنشر السلم العالمي الثابت بيد أن أثره البارز يظهر في الدفاع عن المستضعفين و النساء و الأطفال الذين لا ملجأ لهم: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ

١. سورة الحج، الآية ٤٠.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٥١.

هَذِهِ الْقَرْيَةَ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
نَصِيرًا^١.

و يتّضح بتحرير المسائل المذكورة أن صراط السليم العالمي وزاده و
سلّاه و قاده و بدايته و نهايته هي الإسلام المحمّدي الأصيل الذي تعرّض
له الإمام الخميني (رحمه الله)، مفجّر الثورة الإسلامية الإيرانية و القائد
الديني الكبير للمسلمين في أفكاره العلمية و اهتم به في دوافعه العملية.
و اليوم تمرّ الجمهورية الإسلامية بهذا النسيج في فترة انتعاشها و ازدهارها
في الشؤون الداخلية و الخارجية.

تأثير الأصول السياسية للإسلام في السلام و أمن البيئة

واحدة من أهم فروع العلوم الإنسانية هي مسألة السياسة و قواعد إدارة
البلاد. فإنّ الإسلام يعتبر الدين دستوراً للحياة الفردية و الاجتماعية في
جميع الشؤون الثقافية و الاقتصادية و العسكرية و ... و ذلك من أجل أن
يقوم الناس بالقسط و العدل الذي هو من الأركان الأصيلة للسليم العالمي:
﴿لَيَقُومَنَّ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^٢، و أنبياء الله في هذا الطريق الوعر لم ييخلوا عن
الإيثار و بذل النفس و النفيس و استقبلوا الشهادة في سبيل الله من أجل
ازدهار السليم العالمي و توافر البيئة المناسبة لحياة الإنسان الإلهية: ﴿وَكَايِنَ

١. سورة الفلم، الآية ٨-٩.

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥.

مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ^١، ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ^٢﴾،^٢ ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ^٣﴾.^٣

بيد أن الطغاة المهاجمين للسلام العادل الذي هو عين المهادنة المحمودة في هذا الخضم لم يألوا جهداً في تبديله إلى سلام ظالم مفروض و الذي هو عين المهادنة المذمومة، فتارة يعدّون أساس الدين خرافات و ترهات و أخرى يعتبرون تاريخ العمل به قد انقضى و بالأس من هذين الأمرين يلجؤون إلى حيلة حديثة و هي فصل الدين عن السياسة. و هدفهم المشؤوم من هذا الفرز اللامعقول هو خلع سلاح الدين من قدرة مجابهة القوى المهاجمة ليستنوا عليه الهجمة بعد ضعفه و يأخذونه أسيراً مكبلاً بأيديهم فيُحرقون متونه بما يصبو إليه هواهم و يُسقطون أحكامه بما تميل إليه نفوسهم كما قال علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا الإنسان العظيم من بين أئمة أهل البيت عليهم السلام: «فإنّ هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى و يُطلب به الدنيا»^٤. فإنّ الطاغية المتلاعب بالسياسة لا يُنفذ دسيسته السياسية بتاتاً من دون الاستمداد من الدين المظلوم العالق على قلوب الناس، و إنّ وجود

١. سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

٢. سورة البقرة، الآية ٦١.

٣. سورة آل عمران، الآية ١١٢.

٤. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

وَعَاظَ السُّلَاطِينَ وَمَشَايخَ السُّوءِ وَعُلَمَاءَ الْبُلَاطِ وَ... سَنَدٌ لَتَطَاوُلِ السِّيَاسَةِ الْعَاشِمَةِ عَلَى الدِّينِ بَعْدَ قَطْعِ يَدِهِ عَنِ السِّيَاسَةِ.

اهتمام أنبياء الله بإقرار السلم العالمي

إِنَّ مَا هُوَ مَشْهُودٌ فِي تَارِيخِ الْأَنْبِيَاءِ الزَّاهِي بِوصفه «بيت الغزل» و «واسطة العقد» بعد التوحيد و عبادة الله الواحد هو مقارعة الظلم لإقرار السلم العالمي العادل، و على سبيل المثال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾^١. فَإِنَّ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ ﷺ رَغِمَ تَحْمَلُهُ عَذَابُ ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾^٢ الميرير لم يترك مقارعة الطاغية فرود، و موسى الكليم ﷺ أيضاً وطأ ساحة السياسة الدينية بشعار مقارعة الظلم: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾^٣، و إنَّ المسلمين في جميع أرجاء العالم يطلبون من الله في صلواتهم الهداية لمثل هذا الطريق: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^٤.

و هكذا أمر الله سبحانه موسى الكليم ﷺ رسمياً بأن يتصدي للإطاحة بنظام السيطرة و نشر نظام العدل و السلم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ

١. سورة الممتحنة، الآية ٤.

٢. سورة الأنبياء، الآية ٦٨.

٣. سورة القصص، الآية ١٧.

٤. سورة الحمد، الآية ٧.

أَخْرَجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ^١!

فما زال الأمر بمقارعة الظلم: ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾^٢ يُدَوِّي فِي مَسَامِعِ التَّارِيخِ وَ الْأَمْرَ بِمُجَابَهَةِ الطُّغْيَانِ: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٣ يثور و يفور و ما زالت معجزة التدمير و خسف قارون: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾^٤ تهتز في قمة القوة الغيبية.

فعلى قادة الدين و القائمين على الشؤون الثقافية في العالم أن يخبروا الناس بأن أتباع نبي الله يسبب تيسير أخطر الطرق في ظل طاعة الله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾^٥. و التمرّد عن هداية رسول الله يسبب تحوّل أسهل الطرق إلى التيه و الحيرة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^٦.

و قد سُجِّلَت سيرة عيسى المسيح ﷺ في مقارعة الظلم كسائر الأنبياء في الديوان الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى

١. سورة إبراهيم، الآية ٥.

٢. سورة طه، الآية ٢٤.

٣. سورة الشعراء، الآية ١٠.

٤. سورة القصص، الآية ٨١.

٥. سورة طه، الآية ٧٧.

٦. سورة المائدة، الآية ٢٦.

ابْنُ مَرْثَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ
فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ
عَدُوَّهُمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١﴾

إذن فلابدّ من الالتفات إلى هذه المسألة وهي أن أيّ تنمية عالمية سواء
كانت في الشؤون التجارية أو السياسية أو غيرها لا تتبلور إلا في ضوء
السلم العالمي العادل وإلا فإن تنمية هذه الأمور لا تُنتج إلا تنمية الفساد و
الاضطراب، وأن الاستقامة في سبيل الله تؤدي إلى نزول الملائكة لتأييد
الذين استقاموا، وأن التجربة العذبة لجمهورية إيران الإسلامية إنما هي من
ثمار الصبر و الصمود لإقرار السلم العالمي، «فانتظر حتى بزوغ فجر دولة
المهدي (عج)».

١. سورة فصلت، الآية ٣٠.

٢. راجع: سورة الصف، الآية ١٤.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرست الروايات
- فهرست الاعلام
- فهرست الكتب
- مصادر التحقيق

فهرس الآيات

الصفحه	رقم الآيه	
		● سورة فاتحه «١»
٧١	٥	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
٣٠٣	٧	صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ...
		● سورة بقره «٢»
٧٨	١٠	فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ...
٢٨٠، ٥٦	٢٧	الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُ...
٢٩	٣٠	إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ ...
٢٩	٣١	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ...
٣٠١	٦١	وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ...
٢٩٩، ٢٦٩	٨٣	قُولُوا لِلنَّاسِ...
٣٨	١١٤	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ...

الصفحة	رقم الآية	
١٦٣	١١٦	لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...
٦٠	١٢٦	رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا...
٦٠	١٢٩	رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا...
٣٤	١٣٦	لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ...
٩١	١٣٨	صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ...
٢١١، ٢١٠، ٢٠٥، ٢٠٢	١٥٥	وَتَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ...
٢١٠، ٢٠٢	١٥٥-١٥٧	وَتَتَّبِعُوا كُمْ... * الَّذِينَ إِذَا... * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ...
٨٠	١٥٦	إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
٥٦	١٧٧	وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا...
٢٠٤	١٨٨	وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ...
١٦٩	١٩٧	تَزُودُوا فَإِنَّ حَيْرَ
٢١٨	٢٠١	رَبَّنَا آتِنَا فِي...
٣٩، ٢٥	٢٠٥	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ...
٢١٢	٢١٤	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا...
٢٨٣	٢٢٨	وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ...
٢٦٩	٢٢٩	فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ...
٣٠٠	٢٥١	فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ...
٢٧١، ٥٦	٢٧٩	لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ
		● سورة آل عمران «٣»
١٦٤	١٧	وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ...
٢٩٧	١٩	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ...

الصفحة	رقم الآية	
٢٨٩	٦٤	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا...
٥٨	٧٥	وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَيْتَارٍ...
١٦١	٨٣	وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ...
٢٩٧	٨٥	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ...
٢٨٥	١٠٣	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ...
١٥٩	١٠٨	وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا...
٣٠١	١١٢	وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ...
١٥٠	١٢٨	لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ...
٣٠١	١٤٦	وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ...
٢٧٢	١٥٩	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ...
١٤٩	١٦٥	أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ...
١٨٦	١٧٨	وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ...
١٦٣	١٨٩	وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ...
٢٣٠	١٩٠	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ...
١٨٦	١٩٧-١٩٦	لَا يُغْنِيكُمْ... * مَتَاعٌ قَلِيلٌ...

● سورة نساء «٤»

٢٨١	١	وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي...
٤٨	٥	وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ ...
١٧٥	٩	وَيُخْشِ الَّذِينَ لَوْ...
٢٠٤	١٠	إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ...
٢٨٢، ٢٦٩	١٩	وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...

الصفحة	رقم الآيه	
٥٠	٢٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا ...
٢٤٤	٣٢	لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ ...
٥٨	٥٨	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ...
١٤٤	٧٢	قَالَ قَدْ أُنْعِمَ ...
١٤٤	٧٣	يَلْبِسْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ ...
٣٠٠	٧٥	وَمَا لَكُمْ لَأ...
٢٤٥ . ٢٤٤ . ٢٤٣	٧٨	وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ ...
١٥٠ . ١٤٨ . ١٤٣	٧٩	وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ ...
١٤٣	٧٨-٧٩	وَإِنْ تُصِيبُهُمْ... * مَا أَصَابَكَ مِنْ...
٢٩٨	٨٢	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ...
٢٤	١١٩	فَلْيَعْبُرْنَ خَلْقَ اللَّهِ ...
٢٥٤	١٢٨	وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ ...
٢٧٠	١٣٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...

● سورة مائده «٥»

٢٧٠	٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...
٥٩	٢٠	... أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ...
٣٠٤	٢٦	قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ ...
٢٩٧	٤٨	لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ ...
١٨٢	٦٦	وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ ...

● سورة انعام «٦»

٦٨	١٤	قُلْ أَعْيِرَ اللَّهُ أَلْخِذُ ...
----	----	------------------------------------

الصفحة	رقم الآية	
٢١٨	٤٤-٤٢	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا... * فَلَوْلَا إِذْ... * فَلَمَّا نَسُوا...
٢١٨ ، ١٨٥	٤٤-٤٣	وَلَكِنْ قَسَتْ... * فَلَمَّا نَسُوا...
٢٧١	١٦٥	هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ...
		● سورة اعراف «٧»
٢٤٤	١٠	وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ...
١٤٦	٢٨	قُلْ إِنْ أَلَّاهَ لَا يَأْمُرُ...
١٤٤	٣١	فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ...
١٢١	٥٧	هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ...
٢٩٩	٨٥	فَاَوْفُوا الكَيْلَ...
١٨٥ ، ١٨٢ ، ١٠٥ ، ٧٩	٩٦	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى...
٢١١	١٣٠	وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ...
١٤٥	١٣١	وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا...
٢١٥ ، ١٤٣	١٦٨	وَيَلْوَتُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ...
٨١	١٧٢	أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ...
٢٧٧	١٧٩	أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ...
١٨٦	١٨٣-١٨٢	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا... * وَأَمْلَى لَهُمْ...
		● سورة انفال «٨»
١٩٣	١٩	وَإِنْ تَعُدُّوا...
٢٩٦	٢٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ...
٢١٠	٢٨	وَاعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ الْكُفَّ...

الصفحة	رقم الآيه	
١٨٣	٢٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن...
١٩٣	٣٨	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا...
١٨٠، ١٤٨، ١٨٠	٥٣	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ...
٥٦	٥٦	الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ...
● سورة توبه «٩»		
٥٧	١٢	وَإِن نَّكُنُتُمْ أِيمَانُكُمْ مِنْ ...
٣٨	١٨	إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ ...
٤٩	٣٤	الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ ...
١٦٤	٣٦	فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ...
٢١٤، ١٨٧	٥٥	فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ...
١٠١	١٠٤	إِنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ...
٢٨٨	١٠٦	وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ...
٢٨٧، ٢٠٤	١٢٠	مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ...
٢٨٠	١٢١	وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا...
● سورة يونس «١٠»		
١٦٣	٣١	أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ...
سورة هود «١١»		
٥٣	٣٧	اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ...
١٢٠	٤٠	وَقَارَ التَّنُورُ...
١٢٠	٤١	قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا...

الصفحة	رقم الآية	
٣٦	٦٠	أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ...
٣٥، ٢٩	٦١	هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ...
٢٥٠	١١٢	فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ...
١٤٣	١١٤	إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ...
٦٨	١٢٣	وَأِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ ...
● سورة يوسف «١٢»		
١٨٣	٩٠	إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ...
سورة رعد «١٣»		
١٢٩	٢	اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ...
١٣٠	٥-٣	وَهُوَ الَّذِي... * وَقَسَى الْأَرْضِ... * وَإِنْ تَعَجَبَ...
١٧٩، ١٤٩	١١	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ...
● سورة ابراهيم «١٤»		
٧٦	١	الرَّكِيبِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ...
٣٠٣	٥	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى...
١٩٧	٧	لَئِنْ شَكَرْتُمْ...
٣٢	٢٨	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا ...
٣٠	٣٣-٣٢	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ... * وَسَخَّرَ لَكُمْ...
٣١	٣٣	سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ...
٣٢	٣٤	إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ...

الصفحة	رقم الآيه	
٦٠	٣٥	وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ ...
		● سورة حجر «١٥»
٧٩	٢١	وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ...
٢٢٦، ٢١٩، ٨٠، ٤٤، ٣٦	٢٩	تَفَحَّتْ فِيهِ مِنْ ...
٣٤	٨٠	وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ ...
		● سورة نحل «١٦»
		وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا... * وَلَكُمْ فِيهَا... *
١٣١	٨-٥	وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ... * وَالْحَيْلَ وَالْبِقَالَ...
١٣١، ٣٢	٨	وَالْحَيْلَ وَالْبِقَالَ وَالْحَمِيرَ ...
٢٢٦	١٤	وَهُوَ الَّذِي سَحَّرَ...
١٣١	٢٢	إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...
١٤٩	٣٤	فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ...
١٦١	٤٩	لِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي...
٢١٧، ١٤٨	٥٣	وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ...
١١١	٦٥	وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...
٨٨	٦٩	فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ...
٣٢	٧٩	أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ...
١٤٦	٩٠	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...
١٦٦	١١٢	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا...

الصفحة

رقم الآيه

● سورة اسراء «١٧»

١٧٢	٧	إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُم
١٩٣	٨	عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن
٩٢	٩	وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ...
١١١	١٥	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ...
١٩٤	١٦	وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ...
٢٧٠	٢٣	وَإِنَّمَا يَبْلُغْنَ...
٢٧٣	٢٤	وَاحْفَظْ لَهَا جَنَاحَ...
٥٦	٣٤	وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ...
١٤٦	٣٨	كُلُّ ذَلِكَ كَانَ...
٢٦٩	٥٣	قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا...
٢٢٤, ٢٥	٧٠	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي...
٨٦	٧٩	وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ...

● سورة كهف «١٨»

٢٠٩	٧	إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَىٰ...
٢٠٩	٨	وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا...
١٥٢	٣٣	كَلِمَاتِ الْجُنَّتَيْنِ إِذْ...
٢١٠	٤٦	الْمَالُ وَالْبَنُونَ...
١٧٥	٨٢	وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ...
١٧٠	٨٤	وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ...
٥٤	٩٦	ءَأْتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا...

الصفحة	رقم الآية	
١٧٠	٩٨	هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ ...
		● سورة طه «٢٠»
٣٠٣	٢٤	اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ...
٢٧٢، ٢١١	٤٤	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا...
١٥٣، ١٢٨، ٤٤، ٢٤	٥٠	رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ ...
٨٠	٥٥	مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا ...
٢٧٩، ١٦٨	٦٤	قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ...
٣٠٤	٧٧	وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى ...
٢٧٢، ١٦١	٧٨	فَعَشِيهِمْ مِنَ الْيَمِّ...
٢٥٥، ٢١٣	١٣١	وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...
		● سورة انبياء «٢١»
٣٤	٢٥	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ...
١٩٠، ١٦١	٣٠	وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ...
٢١٥	٣٥	وَيَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ...
٣٠٣	٦٨	حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا...
١٧٠، ٥٢	٨٠	وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ...
٢٩٦	١٠٧	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا...
		● سورة حج «٢٢»
٣٠٠	٤٠	الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ ...

الصفحة	رقم الآية	
		● سورة مؤمنون «٢٣»
٥٨	٨	وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ ...
٢٢	١٤	فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ ...
٥٣	٢٧	فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ ...
٨٠	٣٧	إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ...
٢٩٨	٥٢-٥١	يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ... * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ...
٢٨٥	٥٣-٥٢	وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ... * فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ...
٢١٤ ، ١٨٦	٥٦-٥٥	أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا... * نُسَارِعُ لَهُمْ...
٢١٤	٦١-٥٧	إِنَّ الَّذِينَ... * وَالَّذِينَ هُمْ... * وَالَّذِينَ هُمْ... * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ... * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ...
		● سورة نور «٢٤»
٤٧	٣٣	وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ ...
٢٣٦ ، ٨١	٣٧	رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ...
٢٠١ ، ١٣٢ ، ٧٩	٤٣	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ...
١٣٢	٤٦-٤٣	أَلَمْ تَرَ أَنَّ... * يُغْلِبُ اللَّهُ الْبَيْل... * وَاللَّهُ خَلَقَ... * لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ...
٢٨٦	٦٢	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ...
٢٨٧	٦٣	قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ...
		● سورة فرقان «٢٥»
١٥٣	٢	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ...

الصفحة	رقم الآيه	
		● سورة شعراء «٢٦»
٣٠٣	١٠	وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ...
٧٨	٨٩	إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ ...
٢٤٩	١٣٨	وَلَا تَبْخَسُوا...
٣٥	١٤١	كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ...
٣٥	١٦٠	كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ...
٢٩٩	١٨٣	وَلَا تَعْتُوا فِي ...
٢٧٣	٢١٥	وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ...
٢٧٣	٢١٦	فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ...
		● سورة نمل «٢٧»
٧٣، ٤١، ٣٩	٣٤	إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً ...
١٩٧	٤٠	قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلٍ ...
٥٢	٤٤	قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا ...
		● سورة قصص «٢٨»
٣٠٣	١٧	رَبِّ بِمَا أَعْمَتَ...
١٧٣	٥٤	أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ...
٣٠٣	٨١	فَحَسَبْنَا بِهِ وَيَدَارِهِ...
		● سورة عنكبوت «٢٩»
١٩٧	٣	وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ ...
٢٨١	٨	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ...

الصفحة	رقم الآية	
		● سورة روم «٣٠»
٢٩٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣	٣٠	فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي ...
١٩٤ ، ١٤٩ ، ٧٢ ، ٢٥	٤١	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...
		● سورة لقمان «٣١»
٢٨١	١٤	حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا ...
٢٨٢	١٥	وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا ...
٢٠٧	١٧	وَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا ...
٢٢٤ ، ١٦٠	٢٠	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ ...
		● سورة سجده «٣٢»
١٥٣ ، ٢٢	٧	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ...
٧٧	١٢	رَبَّنَا ابْصُرْنَا وَسَمِعْنَا ...
٢٠١ ، ١٠٦ ، ٧٩	٢٧	أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ...
		● سورة احزاب «٣٣»
٢١١	١١-١٠	إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ ... * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ ...
٢١٢	١٢	وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ...
٢١٢	٢٣	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ...
٢١٥	٤٣	هُوَ الَّذِي يُصَلِّي ...
		● سورة سبأ «٣٤»
٥٢	١١-١٠	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ ... * أَنْ اْعْمَلْ ...
١٣٤ ، ٥٢	١١-١٠	وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اْعْمَلْ ...

الصفحة	رقم الآية	
٨١	١٠	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا ...
٥١	١٢	وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ...
٥١	١٣	يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ ...
٦٩	٧٠	لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ...
		● سورة صافات «٣٧»
٧٨	٨٤	إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ...
٢١٠	٦	إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ...
		● سورة ص «٣٨»
٤٤	٧٢-٧١	إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا... * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ...
		● سورة زمر «٣٩»
٢٠٦	١٠	إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ...
١٥٣، ٢١	٦٢	اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى ...
		● سورة غافر «٤٠»
٢٢	٦٤	فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ...
١٩٥	٢١	أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي...
		● سورة فصلت «٤١»
٧٩	١٠	قَدَّرَ فِيهَا أَفْوَتْهَا فِي ...
١٦١، ٧١	١١	آتَيْنَا طَائِعِينَ...
٣٠٤	٣٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

الصفحة	رقم الآية	
٢٦٩	٣٤	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ...
٣٣	٤٣	مَا يُقَالُ لَكَ إِذَا مَا ...
		● سورة شورى «٤٢»
١٩٥ . ١٩٤ . ١٤٩	٣٠	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ ...
٢١٧	٤٨	وَإِنَّا إِذَا أَدْقْنَا ...
		● سورة زخرف «٤٣»
١١٥	٨٤	هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ...
١٦٨	١٣-١٤	سُبْحَانَ الَّذِي ... * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا ...
٢٧١	٣٢	أَهُمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ ...
١٩٧	٣٣-٣٥	وَلَوْ لَا أَنْ ... * وَلِيُوتِيَهُمْ ... * وَزُخْرُفًا وَإِنْ ...
		● سورة جاثية «٤٥»
٢٣٠	٣-٤	إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ ... * وَفِي خَلْقِكُمْ ...
٢٦	٢٣	أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ ...
١٠٥	٢٤	مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ...
١٦٨	٣٦	فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ ...
		● سورة احقاف «٤٦»
٣٣	٩	مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ ...
		● سورة محمد «٤٧»
٧٤	٢٧	فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ...

الصفحة	رقم الآية	
٢١٢	٣١	وَتَبْلُوكُمْ حَتَّى...
		● سورة فتح «٤٨»
١٣٣	٢٩	أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...
		● سورة حجرات «٤٩»
٢٠٩	٧	وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ...
٢٩١، ٢٨٤، ٢٦٨	١٠	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ...
٢٧٢	١١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...
٢٧٣	١٢	اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ...
٥٧	١٣	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ...
		● سورة ذاريات «٥١»
٨٦	١٧	كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ...
٨٦	١٨	وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
٢٣٠	٢١	وَقِي أَنفُسِكُمْ...
١٦١	٤٠	فَتَبَذْنَاهُمْ فِي...
١١٦	٥٦	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ...
		● سورة طور «٥٢»
٩٧	١٦	إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا...
١٧٦، ١٧٤	٢١	كُلُّ أَمْرٍ بِمَا...

الصفحة	رقم الآيه	
		● سورة نجم «٥٣»
٧٥	٩-٨	ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ... أَمْ لَمْ يُنَبِّأ... * وَإِبْرَاهِيمَ... * أَلَّا تَزِرُ... وَأَنْ لَيْسَ... * وَأَنْ سَعِيَهُ... وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ... ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ...
١٨٢	٣٨-٣٦	
١٧٣	٤٠-٣٩	
١٧٦	٣٩	
١٧٣	٤١	
		● سورة قمر «٥٤»
٢٩٥	١٧	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا...
		● سورة الرحمن «٥٥»
١٥٤	٤٥-٤٣	هَذِهِ جَهَنَّمُ... * يَطُوفُونَ فِيهَا... * فَبِأَيِّ آءِ... كُلَّ يَوْمٍ هُوَ... يَسْأَلُهُ مَنْ فِي...
٢٢٥	٢٩	
٢٢٥	٢٩	
		● سورة حديد «٥٧»
٢١٧	٢٣-٢٢	مَا أَصَابَ... * لِكَيْلَا تَأْسَوْا... وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْفِلِينَ فِيهِ... اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ... لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ... يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ...
٤٨	٧	
٢٣٣، ٢٣١	٢٠	
٣٠١، ٢٠٧، ١٣٤، ٧٦	٢٥	
١٧٣	٢٨	
		● سورة حشر «٥٩»
٤٩	٧	كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ...

الصفحة	رقم الآية	
٢٧٥ ، ٢٥٥	٩	وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ ...
٢٨٦	١٤	تُحْسِبُهُمْ جَمِيعاً ...
		● سورة ممتحنه «٦٠»
٣٠٣	٤	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ ...
٢٦٨	٩	إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ ...
٢٩٢	٩-٨	لَا يَنْهَاكُمُ ... * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ...
		● سورة صف «٦١»
٢٩٨	٦	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ...
		● سورة جمعه «٦٢»
١٦١	١	يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ...
٤٦	٢	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي ...
		● سورة تقاين «٦٤»
٢٢	٣	وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ...
٢٥٧	١٦	فَاتَّقُوا اللَّهَ ...
		● سورة طلاق «٦٥»
١١٦	١٢	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
		● سورة تحريم «٦٦»
٩٧	٧١	إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا ...

الصفحة	رقم الآية	
		● سورة ملك «٦٧»
٢٢٦ . ١٨٧	١٥	فَأَمْشُوا فِي مَنَاجِبِهَا...
١٨٢	٣٠	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ...
		● سورة قلم «٦٨»
٢٩٣	٩-٨	فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ...
		● سورة حاقه «٦٩»
١٦٢	٧	سَحَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ...
		● سورة معارج «٦٩»
٨٦	٢٣	الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ...
		● سورة جن «٧٢»
٢١٤ . ٢٠١ . ١٨٩ . ١٨١	١٦	وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا...
٢١٤	١٧-١٦	وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا... * لَتَفْتَنَهُمْ فِيهِ...
		● سورة مزمل «٧٣»
٢٩٥	٥	إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ...
٢٢٦	٧	إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ...
		● سورة مدثر «٧٤»
١٧٤	٣٩-٣٨	كُلُّ نَفْسٍ... * إِنَّا أَصْحَابُ...
		● سورة انسان «٧٦»
٩٩	١	هَلْ أَمَى عَلَى الْإِنْسَانِ...

الصفحة	رقم الآية	
١٦٣	٢	فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا...
٨٧	٨	وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ...
٢٧٥	٩	إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوجْهِ...
		● سورة نبا «٧٨»
١٧٣	٢٦	جَزَاءً وِفَاقًا...
٢٢٦	١١	وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا
		● سورة عبس «٨٠»
٣٠	٢٠	ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ...
		● سورة تكوير «٨١»
٧٦	١	إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ
٧٦	٢	إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ
		● سورة مطففين «٨٣»
١٩١	٣-١	وتِلْ... * إِذَا اكْتَالُوا عَلَى... * وَإِذَا كَالُوهُمْ...
		● سورة انشقاق «٨٤»
٩٩	٦	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ...
		● سورة اعلی «٨٧»
١٦٧	١٤	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

الصفحة	رقم الآيه	
		● سورة فجر «٨٩»
٢١٦	١٧-١٥	فَأَمَّا الْإِنْسَانُ... * وَأَمَّا إِذَا... * كَلًّا
٢٥٤	٢٠	وَتُحِبُّونَ الْمَالَ...
		● سورة بلد «٩٠»
١٨٧	٤	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ...
١٦٣	٩-٨	أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ
		● سورة شمس «٩١»
٢٧٦	١٠-٩	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ...
		● سورة تين «٩٥»
١٨٧ .٢٢	٤	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ ...
		● سورة تكاثر «١٠٢»
٧٧	٧-٥	كَلَّا لَوْ... * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا...
		● سورة همزة «١٠٤»
٢٥٤	٢	الَّذِي جَمَعَ مَالًا...
		● سورة قريش «١٠٦»
١٦٧	٤-١	لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشتاء... * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ... * الَّذِي أَطَقَهُمْ...

الصفحة	رقم الآية	
٢٠٥	٤	الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ...
		● سورة نصر «١١٠»
١٠٢	٣-١	إِذَا جَاءَ نَصْرُ* وَرَأَيْتَ*... فَسَبِّحْ بِحَمْدِ...

فهرس الأحادس

الصفا

الحديث

٣٤	● حضرت رسول (ص) ما قلت ولا قال ...
٤٢	أيما إمرئٍ ولي... أطيب الطيب...
٦٦	إن أفواهمك طرق القرآن... هذا أحد جبل...
٧٢	من أمار عن طريق...
٨٣	ثلاث ملعون من فلهن...
٩٢	نية المؤمن خير...
١٠١	النكاح سقى...

الصفحة	المحدث
١٠١	من تزوج فقد...
١٧٣	من سنّ سنة حسنةً فله...
١٧٤	أيها الناس! إن...
١٩٠	أدم الطهارة يدم عليك...
٢٦١، ١٩٣	من سقى طلحة او سدره...
٢٦٠، ٢٢٧	ان قامت الساعة و في يد...
٢٣٩	اللهم بارك لنا في...
٢٤١	من ققه الرجل أن يصلح...
٢٤٢	اصلحوا دنياكم و اعملوا...
٢٤٢	اعمل عمل امرء يظن...
٢٤٢	الصراط أدق من الشعرة...
٢٤٨	إن الله عزوجل يحب...
٢٤٨	ما ولت أمة أمرها رجلاً...
٢٤٧	فمن دعا الناس إلى...
٢٤٨	إن الله يحب إذا عمل...
٢٤٨	يحب الله العامل اذا...
٢٤٩	...لكن الله يحب عبداً...
٢٥٥	إن الله تعالى طيب يحب...
٢٥٧	إن الاسلام نظيف فتظفوا...
٢٥٨	حبب إلى من دنياكم...
٢٥٨	لو أذن الله تعالى في...
٢٥٧	تظفوا بكل ما استطتم...

الصفحه	الحديث
٢٥٩	ثلاث يجلين البصر، النظر...
٢٥٩	من غرس غرساً، ...
٢٦٠	من زرع زرعاً فأكل...
٢٦٠	إنما الأمل رحمة من الله...
٢٦١	سبعٌ يمى للعبد اجرهن...
٢٧٤	لا يستكمل المرء الإيمان...
٢٩٤	يا عثمان! لم يرسلنى الله...

● حضرت على(ع)

٢٣	ومن أعجبها خلقاً الطاوس...
٢٣	وتشهد له المراتي...
٢٦	من عرف نفسه...
٢٤٦، ٣٥	من وجد ماءً و تراباً...
٤٢	وليكن نظرك في عمارة...
٧٢	وكم من عقل أسير...
٧٣	اضرب بظرفك حيث...
٨٦	الشريعة رياضة...
٨٦	انما هي نفسى...
٨٧	أسهروا عيونكم وأضمروا...
٨٧	أشرف لباس ابن آدم...
١٠١	إنّ المسكين رسول الله...
١٢٥	ويتبروا لهم دفائن العقول...

الصفحة

المحدث

- ١٣٦ ولا تَكُونُوا عَلَيْهِمْ سَبِيحًا...
- ٢١٦ ... مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ...
- ٢١٦ من وَسَّعَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ...
- ٢٣٢ يتنافسون فِي دُنْيَا دُنْيَةٍ... ..
- ٢٣٣ فصار جَيْفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ...
- ٢٣٣ إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ مَاتِ...
- ٢٤٦ إِنَّكَ وَالْكَسْلُ وَ...
- ٢٤٦ آفَةُ النَّجْحِ الْكَسْلُ...
- ٢٥٠ أَخْلَصُوا إِذَا عَمَلْتُمْ...
- ٢٥٤ مِنْ قَتَعَ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ...
- ٢٥٤ بِالْقَنَاعَةِ يَكُونُ الْعِزُّ...
- ٢٧٦ فَالصُّورَةُ، صُورَةُ إِنْسَانٍ...
- ٢٨٣ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي...
- ٢٨٥ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ...
- ٢٩٤ وَلِعَمْرِي مَا عَلِيٌّ مِنْ قِتَالٍ...
- ٣٠٢ فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أُسِيرًا...

● امام سجاده (ع)

- ٩٢ لَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ...
- ١٥١ الدَّانِي فِي عُلُوِّهِ وَ...
- ١٥١ وَهَبْ لِي مَعَالِي...
- ١٥٠ فَكَلَّمَا قُلْتُ لَكَ الْحَمْدَ...

الصفحة	المحدث
٢١٧، ١٨٠	كلّ نعلك ابتداء...
٢٥٥	تسمى رحمته أمام...
	● امام محمد باقر(ع)
٩٤	من طلب الدنيا استغافاً...
١٩٨	أما إنه ليست سنة أمطر من...
٢٢٩	لو جاءني والله الموت...
	● امام صادق(ع)
٨٢	إن الله عزّوجلّ إذا أنعم...
٨٥	لا تطيب السكنى إلّا...
٨٥	لا يستغنى اهل كل بلد...
٢٣٦، ٩٤	الكاذب على عياله كالجهاد...
١٠٦	ما من قطرة تنزل من...
١٣٥	سألت أبا عبد الله عن التستين...
١٧١	من لا يلهو ولا يلعب...
١٩٩	أن المؤمن لينوي...
٢٣٩	نعم العون على الآخرة...
٢٤٥	أغدُ إلى عزك...
٢٤٥	خرجت في طلب الرزق...
٢٤٦	طلب المواعج الى الناس...
٢٥١	إن الله يحبّ معالي...

الصفحة	المحدث
٢٥٢	الكيمياء الأكبر الزراعة...
٢٦٢	لا يطيب السكنى الأبتلات...
٢٨٤	صحبة عشرين سنة قرابة...
٢٩٥	إنَّ الله تبارك و تعالی أعطى...
	● امام موسى كاظم(ع)
٢٢٨، ٢٢٤	إنَّ الله ليغض العبد...
٢٢٨	إياك و الكسل و الضجر...
	● امام رضا(ع)
٩٤	الذي يطلب من فضل...
١٠٤	علينا إلقاء الاصول و...
١٢٢	علينا إلقاء الاصول إليكم...
	● امام محمد تقى(ع)
٢٨٢	جعل المصاهرة نسباً لاحقاً...

فهرس الاعلام

- د
حضرت داود(ع): ٥١، ٥٢، ٥٤، ٨١، ١٣٤، ١٦٩،
٣٠٠
- ذ
ذوالقرنين: ٥٤، ١٦٩
- ر
الراغب: ١٨٥
الإمام الرضا(ع): ٩٤، ١٠٤، ٢٦١
- س
الإمام السجاد(ع): ١٥٠، ١٥١، ٢١٧
سعدى: ٢٧٤
سليمان(ع): ٥٠، ٥١، ٥٢، ١٦٩، ١٩٦

- آ
آدم(ع): ٢٩، ٢٩٦
ابن سينا: ١٨٨
- ب
الإمام الباقر(ع): ٩٤، ١٩٨، ٢٦٣
- ج
جالوت: ٣٠٠
الإمام جواد(ع): ٢٨٢
- ح
حارثة بن مالك: ٧٧
امام حسين(سيد الشهداء(ع)): ١٠٠، ٢٥١
- خ
الحضر(ع): ١٧٥
الإمام الخميني(ره): ٣٠٠

- ش
شيخ الاشراف: ١٥٨
الشيطان (ابليس): ٢٤، ٦٧، ١٥٤، ٢٥٧، ٢٦٩، ٢٨٥
- ص
الإمام صادق(ع): ٨٢، ٨٥، ٩٤، ١٠٦، ١٣٥، ١٧١، ١٩٩، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٩٥
حضرت صالح(ع): ٣٥
- ط
طالوت: ١٧٠
العلامة الطباطبائي: ١٥١
- ع
عبدالأعلى: ٢٤٥
عثمان بن مظعون: ٢٩٤
امام الموحدين على(ع): ٢٣، ٨٨، ٢٦٦، ٢٦٣، ٢٩٥
حضرت عيسى(مسيح(ع)): ٨٤، ٢٦٣، ٢٩٥، ٢٩٧
- ف
الفاطمه الزهرا(عليها السلام): ٨٦، ٢٨٢
فرعون: ١٦١، ٢٧٢، ٣٠٣
- ق
قارون: ١٩٥، ٣٠٣
- ك
الإمام الكاظم(ع): ٢٢٨
- ل
حضرت لوط(ع): ٣٥
- م
مأجوج: ١٧٠
مالك الأشر: ١٣٦
النبي محمد رسول الله(ص): ٣٤، ٦٦، ٧٢، ٨٣، ٩٢، ١٩٨، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٨، ٢٩٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٤
- ن
نمرود: ٣٠٣
النبي نوح(ع): ٥٣، ١٢٠، ١٩٦، ٢٩٥
- هـ
هارون(ع): ٢١١، ٢٧٢
هشام: ١٣٥
- ي
يأجوج: ١٧٠

فهرس الكتب

● الف

انجيل: ۱۸۲، ۲۹۶

الهیات الشفاء: ۱۸۸

● ب

بهارالاتوار: ۶۶، ۷۲، ۸۲، ۸۳، ۸۴، ۸۵، ۱۰۱، ۱۲۳،

۱۷۳، ۱۷۴، ۱۷۷، ۱۹۰، ۱۹۳، ۲۱۶، ۲۲۹، ۲۴۶، ۲۴۸،

۲۵۸، ۲۶۱، ۳۷۴، ۲۸۲، ۲۸۴

● ت

توحيد صدوق: ۳۴

تفسير قرطبي: ۸۸

تاريخ اندیشه و نظريه‌های انسان‌شناسی: ۶۵

● ث

نواب الأعمال و عقاب الأعمال: ۱۹۸، ۱۹۹

● ح

حديقة الحقيقة: ۴۲، ۲۵۹

● د

ديوان حافظ: ۲۳، ۲۵، ۲۵۸

● ر

رسالة‌ای در باب انسان: ۶۴

روح المعاني: ۱۸۳

● ش

شرح غررالحکم: ۸۶، ۲۴۶، ۲۵۱، ۲۵۳، ۲۵۴

شور جاودانگی: ۶۴

● ص

الصحيفة السجادية: ۱۵۱، ۱۸۰، ۲۱۷، ۲۵۵

الكافي: ٩٢، ٩٤، ١٧١، ٢٢٨، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٨٤.

٢٩٤، ١٩٥

كتاب العين: ١٨٩

● گ

گلستان سعدی: ٢٧٤

● ع

عیون اخبار الرضا(ع): ١٧٤

علل الشرايع: ١٧٦

● ف

قاموس دهخدا: ٢٠٣

● ك

کلیات سعدی: ١٥، ٢٢٣، ٨١

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.

احياء العلوم: ابو حامد بن محمد غزالي، بيروت، دار الكتب العلمية.

الالهيات من كتاب الشفاء: الشيخ الرئيس ابن سينا، م ٤٢٨ هـ. ق، طبع مصر.

بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمداقر مجلسي، دار احياء التراث

العربي، بيروت، (١٤٠٣ هـ ق).

البرهان في تفسير القرآن: سيد هاشم حسيني بحراني (م ١١٧٠ ق)، قم، دار التفسير،

چاپ اول، ١٤١٧ ق.

تاريخ انديشه و نظريه های انسان شناسی: ناصر فکوهی، تهران، نشر نی، الطبعة الاولى،

١٣٨١ ش.

التبيان في تفسير القرآن: ابو جعفر محمد بن حسن طوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ ق) تحقيق: أحمد

حبيب قصير العاملي، بيروت، احياء التراث العربي.

تحف العقول عن آل الرسول: الشيخ ابو محمد الحسين بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (قرن

چهارم)، تصحيح و تعليق: علي اكبر الغفاري، جامعه مدرسين، چاپ چهارم، ١٤١٦ ق. قم.

تسنيم تفسير قرآن كريم: عبدالله جوادی آملی، قم، دارالنشر للإسراء.

تفسير التحرير والتنوير: محمد طاهر بن عاشور (م ١٣٩٣ ق)، مؤسسه تاريخ العربي،

بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٠ ق.

تفسير موضوعی قرآن كريم جلد ١٤ (صورت و سيرت انسان در قرآن): آيت الله

جوادى آملی، قم، دارالنشر للإسراء، چاپ اسوه، ١٣٧٩ هـ. ش.

- التوحيد: محمد بن علي بن حسين بن بابويه قمی، م ۳۸۱ ق، مقدمه علی اکبر غفاری، منشورات جامعه مدرسين، قم، ۱۴۱۶ هـ. ق.
- نواب الأعمال و عقاب الأعمال: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه قمی، بيروت، موسسه الاعلمي للمطبوعات، ۱۴۰۳ ق.
- الجامع لاحكام القرآن: ابو عبدالله محمد بن احمد انصاری قرطبي، بيروت، دارالفکر، ۱۴۱۵ ق.
- حديقة الحديقة و شريعة الطريقة: أبوالمجد مجدود بن آدم سنایی غزنوی، به تصحيح و تحشیه مدرس رضوی، دانشگاه تهران، تهران، ۱۳۵۹ هـ. ق.
- ديوان حافظ: خواجه شمس الدين محمد حافظ شیرازی (م ۷۲۹ هـ. ق)، به اهتمام دکتر خليل خطيب رهبر، انتشارات صفی علی شاه، الطبعة الثالثة، ۱۳۶۵.
- ديوان فروغی بسطامي: انتشارات صفی علی شاه، تهران.
- رحمة من الرحمن في تفسير و اشارات القرآن: محيى الدين ابن العربي (م ۶۳۸ ق)، مطبعة نضر، دمشق، ۱۴۱۰ ق.
- رساله‌ای در باب انسان: ارنست کاسیرر، ترجمه بزرگ نادرزاده، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: سيد شهاب الدين محمد آلوسی بغدادی (م ۱۲۷۰ ق)، تحقيق: محمد حسين عرب، بيروت، دار الفكر، الطبعة الاولى، ۱۴۱۴ ق.
- شرح غرر الحكم و درر الكلم: عبد الواحد آمدی (م ۵۱۰ هـ. ق) انتشارات دانشگاه تهران، ۱۳۷۳ هـ. ش.
- شور جاودانگی: دیوید جاید ستر، ترجمه، غلام حسین توکلی، مرکز مطالعات و تحقیقات ادیان و مذاهب، الطبعة الاولى، ۱۳۸۰ ش.
- صحيفة سجادية: امام سجاد (عليه السلام)، ترجمه محيى الدين مهدى الهى قمشاهى، دار النشر الإسلامی، ۱۳۸۷ هـ. ق.
- علل الشرايع: ابو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه قمی (م ۳۸۱ ق)، مؤسسة الأعلمي، ۱۴۰۴ ق.

- عيون اخبار الرضا: ابو جعفر محمد بن علي بن حسين ابن بابويه قمى (م ٣٨١ ق)، بيروت، مؤسسة الأعلمى، ١٤٠٤ ق.
- كافي: اصول و فروع: محمد بن يعقوب كليني رازى (م ٢٣٨ هـ . ق)، تصحيح على اكبر غفارى، بيروت، ١٤٠١ هـ . ق.
- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: الخواجه نصير الدين طوسى والعلامة حلى، بيروت، ١٣٩٩ هـ . ق.
- كليات سعدى: مصلح بن عبدالله (م ٦٩١ هـ . ق)، انتشارات ميلاد، ١٣٨٠ هـ . ش، الطبعة الثانية.
- كنز العمال في سنن و الأقوال: علاء الدين على متقى (م ٩٧٥ هـ . ق)، مؤسسه رسالت، بيروت، ١٤٠٥ هـ . ق.
- لسان العرب
- مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل: حاج ميرزا حسين نورى طبرسى (م ١٣٢٠ هـ . ق)، تحقيق و نشر مؤسسه آل البيت للحياة التراث، قم، طبع اول، ١٤٠٧ هـ . ق.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: امين الاسلام فضل بن حسن الطبرسى (م ٥٤٨ ق)، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٨ ق.
- مفاتيح الجنان: حاج شيخ عباس قمى (١٢٩٤ - ١٣٥٩ هـ . ق).
- مفردات الفاظ القرآن: راغب اصفهانى (م ٤٢٥ ق)، تحقيق صفوان عدنان داودى، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشاميه، الطبعة الاولى، ١٤١٦ ق.
- مطارحات: مجموعه مصنفات شيخ اشراق، ج ١، يحيى سهروردى م ٥٨٧ ق. هانرى كرين، يزوهشگاه علوم انسانى - تهران، ١٣٨٠ ش.
- من لا يحضره الفقيه: شيخ صدوق، محمد بن علي بن حسين بن بابويه قمى (م ٣٨١ هـ . ق)، دار التعارف، بيروت.
- الميزان في تفسير القرآن: سيد محمد حسين الطباطبائى، (م ١٤٠٢ ق)، بيروت، مؤسسه اعلمى للمطبوعات.

نهج البلاغه: محمد بن حسين بن موسى، سيد رضى (م ٤٠٦ ق)، صبحى صالح، بيروت، دار
الأسوة، ١٤١٥ ق.

نهج الفصاحة الحاوى لقصار كلمات الرسول الاكرم: تحقيق غلامحسين مجيدى، مؤسسه
انصاريان، الطبعة الاولى، ١٣٧٩.

وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن حسن حر عاملى (م ١١٠٤ ق)،
تحقيق مؤسسه آل البيت، بيروت، دار احياء التراث العربى، چاپ اول، ١٤١٤ ق.



By Ayatullah Javadi Amuli

ISBN 964-8739-28-2



9 789648 739282



نشر مرکز پژوهش‌ها و تحقیقات در علوم اسلامی

میدان فلسطین، بلوار آیت‌الله خرمی، قم، ایران
تلفن: ۰۲۶۱۱۳۱۱۱ - ۰۲۶۱۱۳۱۱۲ - ۰۲۶۱۱۳۱۱۳
پست الکترونیک: Publish_center@csraco.net
وبسایت: www.csraco.net